

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة التعليم عن بعد
كلية الشريعة ـ الانتساب المطور

(ثقف "١٥٣")

مقرر مناهج البحث

المستوى الثاني

أستاذ المادة:

د . عبد الله العويسي.

(المذكرات تم تفريغها سماعاً من المحاضرات الصوتية)
إعداد طلاب وطالبات كلية الشريعة
انتساب مطور

نسخة مدققة و مزيدة

١٤٣٢هـ

(كتب الله أجر كل من عمل على إعدادها وجعلها له صدقة جارية)

﴿ تقديم ﴾

هذه هي الطبعة النهائية لمذكرات كلية الشريعة انتساب مطور تعليم عن بعد

وقد اعتمدت بتوفيق من الله بعد أن تم تدقيقها أكثر من مرة

من قبل طلاب وطالبات كلية الشريعة انتساب مطور

واخترنا أفضلها تدقيقاً وتم تلوينها وتنسيقها لتكون هي الطبعة النهائية

ولأنها جهد بشري لا يخلو من الخطأ ولا يصل للكمال

فنرجو عند وجود خطأ أو ملاحظة

كتابة تنبيه في الموضوع المخصص لذلك في منتدى المستوى الخاص بالمذكرة

في منتدى مكتبة كلية الشريعة: www.imam8.com

وسوف يتم تصحيح الأخطاء بعد التنبيه عليها من قبل القائمين على إعداد المذكرات

ونسأل الله جزيل الثواب لكل من يعين على ذلك ويشاركنا فيه

(مجموعة إعداد مذكرات كلية الشريعة انتساب مطور)

مفردات المقرر

يدرس فيه ما يلي:

القسم الأول: الإسلام والعلم.. ويتناول:

أ- مفهوم العلم ومكانته في الشريعة الإسلامية.

ب- منهج الإسلام في الدعوة إلى العلم.

ج- نقض التعارض بين الدين والعلم.

د- أثر العلم والعلماء المسلمين في الحضارة الإنسانية

ﻫ- .

القسم الثاني: المكتبة.. ويتناول:

أ- نشأة المكتبة في الإسلام.

ب- أهداف المكتبات وآثارها التربوية.

ج- أشهر المكتبات التي تضم التراث الإسلامي.

د- المخطوطات حول:

١- القيمة العلمية للمخطوطة.

٢- خطوات العمل في المخطوطة.

٣- تحقيق النص.

٤- نبذة عن معهد إحياء المخطوطات العربية.

القسم الثالث: منهج البحث.. ويتناول:

أ- التعريف بمنهج البحث.

ب- أنواع البحوث.

ج- خطوات الباحث في إعداد بحثه.

د- الصفات التي يجب توافرها في الباحث.

القسم الرابع: المصادر والمراجع:

١- يختار أستاذ المقرر عشرة مصادر ويرشد الطلاب إلى طريقة الاستفادة منها.

٢- تكليف الطلاب باختيار عشرة مصادر والاطلاع عليها بإشراف أستاذهم وكتابة تقرير مفصل عن كل كتاب وإبداء رأيه.

٣- تكليف الطلاب في نهاية العام الإجابة على أسئلة الامتحان التي تتضمن استيعاب الطالب لهذه المصادر والمراجع.

٤- وتدور هذه المصادر والمراجع حول العلوم الآتية:

١	القرآن الكريم	٢	المعاجم القرآنية
٣	السنة وعلوم الحديث	٤	معاجم كتب السنة
٥	السيرة النبوية	٦	العقيدة الإسلامية
٧	الفقه الإسلامي	٨	أصول الفقه
٩	التاريخ الإسلامي	١٠	الحضارة الإسلامية
١١	الموسوعة العلمية	١٢	اللغة العربية

الحلقة (١)

هذا المقرر سيتم بإذن الله تناوله في عدة حلقات، نمر من خلالها على أقسام المنهج الخمسة، القسم الأول: الإسلام والعلم، والقسم الثاني: المكتبة والمخطوطات، والقسم الثالث: عن البحث وكيفية إعداده، والقسم الرابع: عن المصادر والمراجع وكيفية التعامل معها، القسم الخامس: هو توجيه في مجال التدريب على كتابة البحث، وهو توجيه في الجانب التطبيقي.

❖ **الإسلام والعلم: فيه عدة فقرات:**

أولاً: التعريف بالعلم:

ما المراد بالعلم؟ يطلق العلم على المعرفة والإدراك والإتقان، ويطلق على الإخبار، فيقال أعلمه وأخبره.

ويعرف بأنه: إدراك الشيء بحقيقته، **ويعرف** باعتباره علم قائم بذاته بأنه: مجموع مسائل وأصول كلية يجمعها وحدة واحدة، وتعالج بمنهج معين، فنقول مثال: علم الفقه، علم أصول الفقه، وعلم التوحيد، وكل علم له عدة مسائل تجمعها أصول كلية وينتهج فيه مناهج خاصة.

فهناك إذاً تعريف للعلم بوصفه **إدراك**، وتعريف بوصفه **اختصاصاً** في مجال معين من مجالات الدين أو مجالات الحياة.

ويعرف بأنه: معرفة المعلوم على ما هو به، وأنه صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً، وعلى أنه الجزم المطابق للحق، وصفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض.

كل تعريف من هذه التعريفات نظر إلى العلم من زاوية معينة، بعضها نظر للعلم كإدراك للحقائق وانكشاف لما هو مأمول أو لما هو مطلوب، وبعضهم نظر إلى العلم بوصفه اختصاصاً في مجال معين، وبعضهم نظر إلى العلم بوصفه نتيجة، جزم مطابق للحق، أو انكشاف أو إدراك لما ينتهي إليه أو بوظيفته:

١- من حيث وظيفته.
٢- من حيث نتيجته.
٣- من حيث اختصاصه بمجال معين.

من حيث وظيفته يعني لماذا كان العلم وماذا يؤدي من وظيفة، ومن حيث ما يفضي إليه أو نتيجته التي يتوصل إليها، ومن حيث كونه مختصاً بمجال من مجالات الدين أو الحياة.

❖ **أقسام العلم:**

١.**ضروري:** وهو ما لزم نفس المخلوق لزوماً لا يمكنه الفكاك منه والخروج عنه دون اختيار أو قصد، فمثلاً: هناك من العلوم ما جُبل الإنسان عليها فطريا مثل علم الإنسان أن (٢) أكبر من (١) وأن الكل أكبر من الجزء، وعلم الإنسان أن النقيضين لا يجتمعان، هذه من العلوم التي جبل عليها.

٢.**هناك من العلم ما يقع تلقائياً أو يحصل تلقائيا**، سواء أراده أو لم يرد ذلك، مثل ما يكون مصدره البصر أو السمع، حينما يقع البصر على شيء ينقل صورة عنه إلى الدماغ فيعلمه الإنسان مباشرة حتى ولو لم يرد العلم بالشيء، لأن البصر أشبه بالكاميرا التي تصور ما أمامها، كذلك ما تسمعه الأذن من أصوات وهو لا يريد السماع ولكن الأذن تلتقطه لأنها مفتوحة لسماع الأصوات، ولذلك فرقوا بين الاستماع والسماع، فكون الإنسان يسمع الأشياء هذا ضروري لا يمتنع إلا إذا أغلق سمعه، وإلا فهو سيسمع كل ما يكون في حدود سماعه، أما الاستماع فهو الإنصات وإرخاء السمع.

٣.**علوم البديهية، وبعضهم سماها ضرورية:** وهو مثل أن يعلم أن الجزء أصغر من الكل والنقيضين لا يجتمعا وهكذا.

٤.**العلم النظري**: ما احتاج إلى نظر واستدلال وتفكر حتى يصل إلى النتيجة.

٥.**العلم التجريبي**: وهو ما تتوسطه التجربة للوصول إلى العلم، تكون التجربة واسطة إلى العلم ليس فقط مجرد النظر العقلي.

٦.**العلم الحدسي**: وهو ما يجد الإنسان أثره في القلب دون تفكر أو تدبر.

❖**العلم في الإسلام:**

يطلق العلم على الشامل المحيط الذي هو علم الله عز وجل، ويطلق على العلم النسبي الذي هو علم المخلوق، وعلم المخلوق يتفرع منه علم ضروري جبلي، ومنه علم مصدره الحواس، ومنه علم يخضع للتجربة المنضبطة يسمى العلم التجريبي، ومنه علم نظري استدلالي عقلي ويسمى علوم عقلية.

❖**العلم في المفهوم المعاصر:**

في الثقافة الغربية ضيقوا مفهوم العلم وأخرج منه العديد مما يطلق عليه علماً كالعلم الضروري ونحوه من العلوم، وحددوه بأنه المعرفة المنسقة الناتجة عن الملاحظة والدراسة والتجريب لتحديد طبيعة الشيء المدروس وأصوله، فإذا لم يخضع الشيء للكم والقياس والإحصاء والتجريب لا يعتبر علماً، وبذلك يخرجون من نطاق العلم ما يتصل بالجانب الغيب فمثلاً: الوحي ونحوه لا يعتبرونه علماً ولا يعترفون به، وهنا الإشكال الذي دخل على المسلمين في نطاق وعيهم فأحدث بلبلة، حينما يطلب البعض: يقول تبين لي بطريقة علمية، فلا يقبل - وإن كان البعض مسلماً- لا يقبل الاستدلال بالقرآن والسنة وهكذا، وإنما يطالب الآخر بأن يأتيه بمعرفة أو شواهد من معرفة تجريبية أو معرفة عقلية يمكن أن يسلِّم بها، فهذا الأثر الذي حصل في بلاد المسلمين هو نتيجة الالتقاء مع الثقافة الغربية التي ضيقت مفهوم العلم، وأخرجت منه الوحي، وقصرته على ما يخضع لمنهج التجربة أو الاستنباط والاستدلال وفق المنطق المحدد علمياً، سواء كان المنهج الاستقرائي أو المنهج الاستنباطي أو نحو ذلك.

وهذا التنبيه حتى ينتبه إلى هذا الفرق الحاصل في مفهوم بين المسلمين وبين غيرهم، أو بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، وهناك في الثقافة الغربية مسلَّمات معينة لابد من مراعاتها من ناحية العلم كالحتمية (أي القطعية يقينية)، وإن كان الآن تجاوزوا الحتمية إلى الاحتمالية والتجريبية والعمومية.

بعد أن عرّفنا العلم وبينا اتساع مفهوم العلم في الإسلام، وتضييقه في الثقافة الغربية بما يخرج الوحي؛ فلا يكون مصدراً للعلم بحسب الثقافة الغربية، وإنما هو بحسب الثقافة الإسلامية هو المصدر الأساس للعلم؛ لأنه من لدن عليم خبير، أحاط بكل شيء علماً.

وقد بين الله عز و جل أن ما يظهره للإنسان في الآفاق وفي الأنفس سيكون شاهدا للقرآن بأنه الحق، يقول سبحانه وتعالى :{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } الله يوجه وينبه بأن العلم منه ما يظهر تدريجياً وينكشف شيئاً فشيئاً بجهود الإنسان في تدخله وكشفه في نظره في المجال الكوني والمجال الإنساني، فنظره في حقيقة الإنسان وحاله وما يحتويه هذا الكيان، وفي نظره في الكون أن هذا النظر سيكون شاهداً على أن القرآن حق، فما يزال العلم يكتشف ويكتشف، وكلما اتسعت مساحة الاكتشاف في المجال الإنساني وفي المجال الكوني كلما كان ذلك مقرباً من القرآن الكريم، ونلاحظ من هذه الكشوفات أنها تكتشف حقائق أرشد أو أشار إليها القرآن الكريم، حتى إن بعض علماء الفلك أو العلماء المختصين بدراسة الإنسان من الناحية العضوية، أو علماء الطب أو نحوهم يذهلون أحياناً حينما يسمعون من

علماء المسلمين آيات عن ظواهر لم يكتشفوها إلا في هذا العصر الحديث، وبعضهم يسلم، وبعضهم يرى في ذلك عجباً لما يراه من هذا التطابق بين منطق القرآن ومنطق العلم، وهذا ليس بمستغرب، لأن الوحي كلام الله عز وجل، والكون نتيجة فعله، وهو خلقه سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يناقض قوله فعله سبحانه وتعالى.

فالعلم وإن كان بهذا المفهوم الضيق فميزته أنه ينضبط، وبالتالي سيكون من حيث لا يريد أهله شاهداً للقرآن الكريم، وقد بدت بوادر كثيرة، ولاسيما في هذا العصر مع تقدم العلوم تبين هذا التطابق.

❖مكانة العلم في الشريعة الإسلامية:

عندما نتكلم عن الشريعة الإسلامية نتناول ذلك من خلال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا نظرنا في القرآن الكريم هو بذاته علم، أوحاه الله عز و جل إلى نبيه ليبلغ الناس ويضعهم في المسار الصحيح الذي يؤدي بهم إلى سعادة الدارين، وكلام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ علم، علمه الله لكي يفسر ويوضح ويبين هذا الكتاب الذي أنزله الله عز وجل، وكان فيهما العلم: علم السعادة الذي يوصل الإنسان إلى هذا الخير، والبر، والأمن، والسلام في الدنيا والآخرة، بما يراعي جبلة الإنسان، لن تكون هناك جنة على الأرض! إنما الله بين أن وجود الإنسان على الأرض سيجعله في تعب، وشقاء، وبلاء، وعناء، وألم، لأن هذه طبيعتها، ومن الغفلة والخطأ أن يتصور الإنسان أنه يحصل على السعادة الكاملة في هذه الدار، لذلك بين الله أن السعادة في دار أخرى، فكان آدم عليه السلام قبل أن يهبط إلى الأرض قيل له: { إِنَّ لَكَ أَلاّ تَجُوعَ فِيهَا ولا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤا فِيهَا ولا تَضْحَى }، لكن لما نزل قيل على الإنسان في الأرض: { إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ} ، { لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} ، فالدنيا دار معاناة ومكابدة وابتلاء وامتحان والله يبلو الإنسان فيها بالخير والشر فتنة، ومرجعه إلى الله سبحانه وتعالى.

الشاهد: أن هذا العلم المتضمن (القرآن والسنة) هما علم أنزله الله لكي يكون الإنسان سعيداً في دنياه وأخراه، وبالتالي حمل من التوجيهات العظيمة على الحث على العلم وتعلمه والمسارعة إليه.

العلم الأصلي وهو علم السعادة وهو: معرفة الله ومعرفة أحكامه الموصلة إليه، والعلم النافع للإنسان في معاشه الذي جاءت الإشارات للإنسان بأن يتعلمه لأن فيه سعادة له، وفيه تحصيل لمعاشه، فكما أنه حث على علم السعادة كذلك على ما ينتفع به، فنجد آيات كثيرة تحث الإنسان على التعلم، وكذلك في السنة الشريفة، وحسبنا أن نستعرض هنا بعض هذه الآيات.

آيات تدل على عظم مكانة العلم في شرع الله:

قال تعالى: {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } فكان أولو العلم في المرتبة الثالثة، شهادة الله في المرتبة الأولى، ثم شهادة الملائكة في المرتبة الثانية، ثم شهادة أولو العلم، لأن **رأس العلم وأصله هو العلم بالله سبحانه وتعالى**، وهو الذي يثمر الخير في القلب، ويرفع الإنسان في الدرجات العلا، قال تعالى: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}، فحتى في العلم وجه سبحانه وتعالى أن الإنسان يرتفع فيه درجات، لما قال على سليمان عليه السلام وعن داوود: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً}، فالعلم موجود لدى الاثنين وزيد في الفهم لسليمان عليه السلام، فالعلم منه علم يؤخذ مباشرة، يسمع ويتضح به المراد من سماعه، وعلم يفهم فهما، وهذا الفهم فيه جانب إلهي وتوجيه وتيسير إلهي ولطف من الله سبحانه وتعالى، فتصل به الأذهان إلى هذه العلوم، لذلك وجه الله نبيه بقوله: {رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} ولم يُوجه إلى طلب الزيادة من شيء، النبي محمد صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه الدنيا

بحذافيرها رفضها واختار أن يبقى في حال الفقر وليس في حال الغنى، ولا يُفهم من ذلك أنه ذم للغنى، البعض قد يشطح به الذهن ويظن أن الإسلام ذم المال والاتجار ونحو ذلك وأوصى بالزهد، خطأً منهم في معنى الزهد.

والزهد الحقيقي: هو الزهد فيما سوى الله، زهد القلب فيما سوى الله، وإن كان تاجراً وإن كان عاملاً في دنياه بما يرضي الله سبحانه وتعالى لكن قلبه لا يتحرك شعرة، كما قال بعض السلف: (لو زالت الدنيا من يده لحظة لما تحرك قلبه شعرة، ولو أتته الدنيا لحظة لم يتحرك قلبه شعرة، لأن قلبه مع الله سبحانه وتعالى) فهذا هو الزاهد الحقيقي، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم تأتيه الأموال فيقسمها قبل أن يقوم من مقامه لا يهتم من ذلك بشيء، فلا تشغل قلبه هذه الدنيا، هذا هو الزاهد الحقيقي، وليس الزاهد الذي يترك الدنيا وهو مهموم القلب بها، تخطر له في كل لحظة، يغضب لها ويرضى لها، وإن خرج منها شكلاً؛ ولكن المهم الخروج منها جوهراً وقلباً.

الشاهد: إن الله بين أن العلم يرفع الإنسان في الدرجات، وحصر الخشية في العلماء، فقال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} لأن العلم يثمر في القلب نوراً ومعرفة أكثر، كلما ازداد العلم كان الشخص أكثر خشية لله، ولذلك نجد أن العلماء في مجال معين لاسيما في الطبيعة والفلك وغيره نجد أنهم أقرب إلى الاعتراف بالله والإيمان به وإجلاله من غيرهم، كما نرى جفاف القلوب عند الفلاسفة، لا نجد هذا الجفاف عند العلماء بالمجال الطبيعي والمجال الفلكي ونحوه من الأمور لما يرون من آيات الله العظيمة، ولذلك ترق قلوبهم وتنبهر بما تراه ، والبعض منهم قد يقول بالشهادة لله بأنه الخالق ويعترف بذلك، في حين أن العناد والجحود وغيره يظهر عند من يتفلسف نظرياً دون أن يماس هذا الوجود بنظامه وتناسقه وإبداع الخالق عز وجل فيه.

فهنا إنما قال الله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} فكلما كان الإنسان أعلم بالله كان أخشى له، ولذلك قيل أو ورد أن أول علم يرفع هو علم الخشوع، لأن الخشوع لا يكون إلا بتوافر الإيمان وبتعاظمه، وكلما قل الإيمان أو ضعف قلت نورانية القلب وبالتالي ارتفع من قلبه الخشوع والخشية لله سبحانه وتعالى، ولهذا نرى أن تكاثر هذا النوع من الذين يخشون الله أو قلته يترافق مع المجال الاجتماعي والحال الاجتماعية من الإقبال والإدبار كما قال عليه الصلاة و السلام: (إن لهذا الدين إقبالا وإدبار) فمن إقباله أن تكون الحال السائدة أو الأكثر حال الإيمان والتقوى والمسارعة إلى الله عز وجل، ومن إدباره أن يكون الفسق والفجور هو الظاهر وصاحب الخير والحق والإيمان مقموع.

الشاهد: أن الله تعالى أثنى على العلماء الذين يخشونه ويراقبونه، وأن من خصائص هذا العلم: إيراث القلب الخشية لله والتقوى له.

الحلقة (٢)

قال تعالى في قصة سيدنا سليمان لما طلب من الأبالسة أن يأتوه بعرش بلقيس إليه فقال: {أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي}.

الشاهد: أن الله أمده بقوة العلم، فحينما عرف هذا العلم الذي يستحضر به الأشياء في لمح البصر، استعمله وأحضر هذا العرش في لمح البصر، هذا بيان لمنحة العلم من الله لهذا الشخص كيف كان سبباً في استحضار هذه الأشياء، جانب شيء عجز عنه غيره، كذلك بيان فضل العلم بفضل أهله الذين يدفعون عن الناس الضر ويبينون لهم الخير ويحذرونه من الشر {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ...} فهذا بيان لفضل العلم وأثره على الناس وردعهم عما قد يضرهم

وتوجيههم إلى ما فيه الخير.
كذلك آية أخرى {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الذينَ يستَنْبطونهُ منهم} هنا دور العلم في تصحيح الحياة واستقامتها وعدم إظهار أو إشاعة فهم خاطئ أو إشاعة أمر سيء قد يضر بالناس، في حين أن رد هذا الأمر إلى أهل العلم سيكون سبباً لدفع هذه المضار التي تحدث بالمسارعة لنشر على ما يرد على الناس من أخبار وهم لم يمحصوها بعد ولم يرجعوا فيها إلى أهل الاختصاص، هنا دور المختصين في توجيه المجتمع توجيهاً صحيحاً وسليماً.
وكذلك فضل العلم في التعقل والإدراك العميق حيث قال عز وجل: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} لأنهم لا يقفون عند ظواهر الشيء؛ وإنما يتعمقون لمعرفة الحكمة، واكتساب العبرة، ثم يفويضونها مع ما أعطاهم الله من علم على غيرهم لكي تنتشر الحكمة وينتشر الخير ودفع الشر.
كذلك فضل العلم في تمييز الإنسان بهذا البيان {خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}، ومن فضل الله عز وجل على الناس بأن جعل هذا البيان سبباً لتطور الحياة وتصاعدها، وسبباً لقدرة الناس على توجيه بعضهم بعضاً والأخذ بأيدي بعضهم بعضاً، فلو لم يكن لدى الإنسان بيان لما استطاع أن يوجه حياته توجيهاً سليماً، ولا أن ينقل الخبرات السابقة إلى الأجيال اللاحقة، وهذا البيان هو سبيل للتوجيه وسبيل لنقل الخبرات والتراث، لذلك امتن الله به على هذا الإنسان.
ومن الأمور الملفتة المهمة إلى أهمية العلم والقراءة أن من أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالقراءة، قال تعالى: { اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } هنا امتنان لهذا وتوجيه للقراءة والعلم والتحصيل، لأن بالعلم يزهو الإنسان، وتتطور الحياة، تجتنب الانحرافات، وتحصل السعادة الدنيوية والأخروية.
هذه طائفة من آيات كريمة حثت على العلم وبينت فضل العلماء اللذين يحملونه، ومنها آية أخرى { فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِ فِرْقَةٍ مِنْهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقّهُوا فِي الدِينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم إذَا رَجَعُوا إليهِم لَعَلّهُم يَحْذَرُونَ} هذه الآية ترشد إلى جانب مهم، فطبيعة المجتمعات البشرية إذا استعرضناها نجد فيها نخب واعية متعلمة هي عادة تتولى زمام التوجيه في المجتمع، وبناء على هذه السُّنة الاجتماعية وجه الله إلى أن يكون في الناس أو في المجتمعات والقرى وفي الأقوام من يقوم وينهض للتفقه في الدين حتى يكون معلماً ومفقهاً للبقية، وكان النبي يرسل من يُقرئ الناس ويعلمهم الدين، فإذا دخل مجتمع معين إلى الإسلام أرسل معهم من يعلمهم ومن يقرؤهم هذا الأمر لتوجيه الحياة توجيهاً صحيحاً.

ومن الأحاديث الشريفة التي تدل على عظم مكانة العلم:

قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) فمن تفقه في الدين حصل على خير كبير وأجر عظيم، بل وفضل ومرتبة عند الله سبحانه وتعالى، فلا يمكن أن يحصل على الفقه في الدين إلا من ارتضاه الله سبحانه تعالى وهداه ووفقه، والفقه في الدين أوسع من فقه الأحكام فقط، وأعظم الفقه في الدين معرفة الله سبحانه وتعالى، ومعرفة أحكامه، ومعرفة سننه، فمن أراد الله به خيراً جمع الله له الفقه كله فكان فقيها في دينه، فهذا من خيار الناس، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)، فعندنا خيرية مصدرها معدن الإنسان وخيرية مصدرها فقه الإنسان، فالعلم والمعدن، بعض الناس قد يكون معدنه طيباً وأخلاقه عالية ولكنه لم يكتسب العلم ولم يتزود منه، فيبقى عنده جانب نقص، لذلك حينما يكون جمع الخصلتين معا يكون فائقاً، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) لأن الإسلام لا يكتفي فقط بالمعدن أو الجبلة، بل لابد أن يضاف إليه صقل الجبلة بالعلم والتفقه في الدين.

ومنها: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (العلماء ورثة الأنبياء)، بيَّن أن (الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)، فالعالم خليفة للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا العلم من هذا الوجه الذي أخذه، فمن علم بالأحكام فكذلك علم بالعقائد كذلك، وعلم بالأخلاق والسلوك كذلك، فبحسب اختصاصه، فيأخذ ويرث من علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدر ما يأخذ من تراثه صلى الله عليه وسلم.

وجاء في الحديث خصلتان لا تكون في منافق: (حسن سمت، وفقه في الدين) فالله عز وجل ذم المنافقين، فبين أن أقوالهم قد تعجب الناس، يقول تسمع لقولهم، ولكن بيّن أن قلوبهم خالية من الفقه في الدين ومن الخشية لله عز وجل، وقد قال: { كأنهم خشب مسندة}، {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ}.

الفقه في الدين لا يمكن أن يكون إلا في الإنسان الذي منحه الله التقوى لأنها دلالة خير ودلالة محبة الله عز وجل للعبد، والله لا يحب المنافقين.

أيضاً من ذلك (فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي) ففضل النبي ليس على أي واحد من أصحابه؛ بل على أدنى رجل، ومعلوم أن الصحابة متفاوتون، فمنهم السابقون ومنهم الأقل والأقل وهكذا، ولذلك قال تعالى: { لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} وقوله تعالى: { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ}، فالصحابة ليسوا على مستوى واحد، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم يبين هنا أن فضل العالم على العابد كفضل النبي صلى الله عليه وسلم على أدنى أصحابه، مما يدل على هذه المكانة الرفيعة للعالم وما اختص به.

وكذلك من الأحاديث الشريفة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) فالعلم طريق الجنة، **لماذا؟** لأن العلم هادٍ إلى السعادة وكاشف للظلمة، وطريق الجنة طريق نور، وطريق النار طريق ظلمة، وكلما تعلم الإنسان كلما كان أحرى لأن تنكشف عن بصيرته الغشاوة، ونحن هنا نقصد العلم النافع في الآخرة وليس العلم المعاشي، وإن كان العلم المعاشي مهماً ومفيداً بل وواجباً على المسلمين وهو من فروض الكفايات كما قال العلماء: من فروض الكفايات على المسلمين أن يتعلموا علم المعاشي؛ الطبي، والهندسي، من العلوم المعاشية وهو فرض كفاية، والمعنى إذا أهمله المسلمون كلهم أثموا، ولكن لا بد أن يقوم به أحد منهم أو طائفة من المسلمين بما يسد حاجة الأمة، ولو تركوه وحصل نقص في الأمة أثموا، إذن فعلم المعاشي ليس مذموماً لذاته وإنما المذموم أن يفضله الإنسان ويراه أرفع منزلة من العلم بالدين والعلم بالله وأحكام الله، فحينما ينظر المرء إليه من هذه الناحية فرؤيته فيها نقص وفيها خطأ، أما كونه مهماً ولابد منه فهذا أساس، والشرع وجه إليه كما قلت، وأن العلماء رحمهم الله بينوا أنه من فروض الكفايات على المجتمعات وعلى الأمة، والعلم المعاشي وحده لا يوصل إلى السعادة، بل قد يكون سبباً للهلاك إذا اغتر الناس بعلمهم بالظاهر، وقد حكى الله عز وجل لنا عن هذه الأمور، فمثلاً قوله تعالى: { يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ }، هذه طبيعة المجتمعات الحضارية من انهماكها في الدنيا والتنافس فيها وطلبها، تصبح العلوم المعاشية ترتقي للدرجة العليا وتكون هي المطلوبة وهي الأساس والمفضلة وهي المرغوبة، وتتضائل علوم الآخرة بقدر سيطرة المادة والنزوع إليها والتنافس فيها، كذلك كانت العلوم حينما اغتر بها أصحابها بما عرفوه من مصادر قوة بواسطة هذه العلوم كانت سبباً لهلاكهم لما أخلدوا إلى الدنيا وإلى القوة التي عرفوها، فمثلاً قوم عاد {قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً }، فاغتروا بما توصلوا إليه من

مصادر القوة والجبروت، وغيرهم من الأمم الأخرى الذين اكتشفوا الجانب الصناعي أو عملوا في الجانب التجاري، أو نحتوا الجبال أو بنوا الأشياء العظيمة، وكل هذه الأمور لا تكون إلا بعلم، فمن المستحيل أن يصل الإنسان إلى هذه القدرات وهذه المهارات وهذه القوة إلا بعلوم، فكانوا على مستوى من العلوم أوصلهم إلى هذه القوى وهذه الصناعات، حتى قال الله عن قريش يبين أنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه السابقون قال: { وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} فيبين الله سبحانه وتعالى عن هذه الأمم وجبروتها في نحت الجبال وغير ذلك مما كان، لكن العلم المعاشي ليس مذموماً لذاته، ولذلك عندما علِمه سليمان وداود عليهم السلام امتدحهم الله بهذا الأمر وبين أنه من نعمه تعالى عليهم، لأنهم استخدموه استخداماً صحيحاً في نطاقه؛ نطاق الحق، ولنصرة الحق، فكان خيراً وكان براً وكان نعمة {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} فبين الله عز وجل أن هذه العلوم والمهارات إذا استعملت في الحق كانت سبب خير وسبب ظهور للحق.

الشاهد: أن العلم منه علم معاشي ومنه علم معادي، والعلم المعادي هو العلم الأساسي في السعادة، والعلم المعاشي هو أساس في السعادة الدنيوية، وقد يُوْرِث الشقاء إذا لم يجتمع معه العلم المعادي

منهج الإسلام في الدعوة إلى العلم :

إن القارئ للقرآن الكريم والسنة المطهرة، يجد أن هناك عدة أساليب لحث الناس على العلم، قد يكون في حديثنا السابق إشارات لهذه الأشياء أو لهذه الأساليب:

فمثلاً **بيان العلم النافع** سبب من أسباب التشمير إليه، فهناك طريقة **الحث المباشر على تلقي العلم والنهوض إليه وعلى المسارعة إليه**، هذا أسلوب من الأساليب التي نجدها في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة.

وهناك سبيل آخر وهو **سبيل استثارة الذهن وما أعطاه الله للإنسان من حواس وإمكانات ليستخدمها في تحصيل العلم** {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، فهذا توجيه للإنسان أنك أيها الإنسان لديك طاقات وأدوات تستطيع من خلالها أن تكتسب ثروة لم تكن لديك من قبل (الثروة العلمية) فأنت خرجت من بطن أمك لا رأس مال عندك في العلم، وهنا نفرق بين أمرين، فإن الطفل يعلم بعض الأشياء، نقول إن هناك علم غريزي جبلي وليس الحديث عنه هنا، وإنما يبين الله لنا عن العلم المكتسب، لأن الإنسان إذا خرج من بطن أمه لا يكون عنده شيء من العلم المكتسب الذي يرده عن طريق السمع وعن طريق البصر وعن طريق الفؤاد، فهذه المنافذ التي يرث العلم منها، لم يكتسب بعد علم حين خروجه من بطن أمه، فهو يحتاج إلى توظيفها توظيفاً صحيحاً وسليماً لكي يصل من خلال ذلك إلى العلم.

ومن الأساليب التي وجدت في القرآن الكريم **تحميل الإنسان لمسؤولية الأدوات التي أعطيت له لتحصيل العلم** {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} فهنا مسؤولية الإنسان لذا جاء في الحديث الشريف: (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع) وذكر منها (وعن علمه ماذا عمل به)، أنت تعلمت علماً فهل طبقت، هل أديت الأمانة بالبلاغ..... إلخ، يُسأل الإنسان عن هذا العلم لأنه مسؤولية.

كذلك في **الحث على إبلاغه** (بلغوا عني ولو آية) (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَ) أو كما قال عليه السلام (فرب مبلغ أوعى من سامع) فهنا التعاون على نقل العلم والمعرفة العلمية جيلاً بعد جيل، فهذه من الوسائل، ومعلوم ما لهذا الأمر أي نقل العلم والحفاظ عليه وتلقيه وتحمله وأدائه من أثر عظيم من الحضارة الإسلامية، حتى إن بعض العلوم قامت من أجل

هذا الشيء، مثلاً علم الإسناد، ومصطلح الحديث، ونحوه من العلوم التي جاءت للتثبت من النص ونقله صحيحا سليما.

وأيضا من الطرق والأساليب التي جاءت **ضرورة التدقيق في العلم وألا ينقل إلا الصحيح**، لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :(من كذب علي متعمداً فليبوأ مقعده من النار)، التحذير من التوسع في النقل والتساهل فيه، بحيث لا تنقل العلم إلا بدقة متناهية، يثبت عندك معناها علم صحيح، وأن القول بهذا الشكل، لأن العبارة إذا اختلفت قد يختلف المعنى، وكذلك العبارة إذا كانت خاطئة يتطرق الخطأ إلى المنقول إليه وهذا من الأساليب، أسلوب التثبت في النقل بالنص العلمي بحيث يكون نصاً صحيحا.

وكذلك من الأساليب في الدعوة **الحث على التعلم ونشر العلم** { فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِ فِرْقَةٍ مِنْهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقّهُوا فِي الدِينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم }.

كذلك من الأساليب **بيان فضل العلماء ومكانتهم وما لهم من الأجر العظيم** عند الله عز وجل.

وكذلك **التنبيه أن العلم طريق إلى السعادة والرضا والخير**، فهذه عدة أساليب من الأساليب التي وجه إليها القرآن والسنة لتحصيل العلم والتشجيع على ذلك غاية التشجيع، وقد أنتج هذا الحث وهذه الدعوة آثار عظيمة من العلوم التي خلفها العلماء المتكاثرون في مختلف الفنون في الحضارة الإسلامية، حتى كان العلم النظري فيها أو العلم الشرعي غالب على العلوم الطبيعية فيها، فكانت حضارة فائقة في هذا المجال، المجال الإنساني، والمجال الديني أكثر من المجال الطبيعي.

الحلقة (٣)

(إشكال أن الدين والعلم متعارضان)

وهذه أطروحة! وهناك أطروحة تقول أنهما غير متعارضين ولكن لكل مجاله، ولكن لا دخل للدين في مجال العلم، ولا دخل للعلم في مجال الدين، فذاك مجال له مختصون فيه، والدين خارج إطار العلم، ويأتي في مقابل ذلك من يقول لا يمكن حسم القضية بهذا الشكل، فهناك نقاط التقاء وافتراق في مجال العلم وفي مجال الدين، نحاول نحن تصوير هذه الإشكالية وعلتها أو مصدرها التاريخي، ثم نحاول معالجتها.

- الإشكالية الأساسية التي تقول أن الدين والعلم متعارضان لا التقاء بينهم، وأن أحدهم نقيض الآخر، **أين نشأت؟ وفي أي محيط ظهرت؟ هل ظهرت في محيط الثقافة الإسلامية أم في محيط آخر؟**

إذا نظرنا في الواقع نرى أنها ظهرت في محيط الثقافة الغربية حينما بدأت أوروبا في نهضتها الحديثة، فقد كان الوضع السائد في أوروبا في المجال العلمي هو التراث الكنسي أو العلم الديني النصراني، الموجود بأيدي العلماء في الدين لديهم، ومن المعلوم السائد آنذاك هو الكاثوليك، حينما بدأ بالاتصال بالحضارة الإسلامية الناهضة آنذاك، واكتشف الأوربيون؛ العلوم والفلسفات والعلوم المختلفة لدى المسلمين، ولا سيما مناهج العلوم والمنهج التجريبي على وجه الخصوص، وخاصة أن المسلمين قد برزوا في هذه المناهج سواء الرياضية أو التجريبية، أو المناهج العقلية كالشك المنهجي الذي طرحه ديكارتيو ونظّر له في أوروبا.

هؤلاء لما اكتشفوا هذه العلوم وبدؤوا في تطبيقها وفي تدارس الواقع الطبيعي والكوني والإنساني في ضوء هذه المنهجيات؛ اكتشفوا أشياء جديدة تخالف ما عليه الكنيسة، ومن ذلك مثلاً: ما يتعلق بكروية الأرض وبدورانها وباختلاف فصولها وأيامها ولياليها بحسب هذا الدوران، ونحو ذلك من العلوم التي اكتشفها أولئك الغربيون، ولما قالوا بهذه النتائج كانت تعارض اجتهادات رجال الدين النصراني، فهذا التعارض أوجد تناقضاً، وأوجد تحدياً من الطرفين، فقامت المعركة بين

المختصين بالدين الكَنَسي وبين المختصين بالعلوم الطبيعية والإنسانية الذين كانوا هم الفلاسفة، فظهر الصراع قوياً ووصل إلى حد تحريق بعض هؤلاء العلماء الذين قالوا بدوران الأرض ونحوها من النتائج الفلكية التي تعارض ما لدى الكنيسة، فاستعملت معهم التعذيب والتحريق والقتل والتشريد ونحو ذلك، واشتد الصراع بين الطرفين، وكانت النتيجة في النهاية والحسم هو لأصحاب العلم الحديث، الذين طبقوا هذه المنهجيات التي أخذوا أصلها من الحضارة الإسلامية، فهذا الصراع أوجد نفوراً من الدين وأفرز هذه المقولة (إن العلم والدين متعارضان).

ولكن بجانبها من قال أنهما ليسا متعارضين ولكن لكلٍ مجاله، فلا دخل للدين في العلم ولا دخل للعلم في الدين، ولما انفتح العالم الإسلامي على العالم الغربي وذهبت ثلة من أبنائه للدراسة هناك، درسوا وفق مناهج التفكير الغربي، وهي مناهج تستبعد الدين إما استبعاداً كلياً على أساس أنه نوع من الخرافة، ونوع من العوائد والأشياء اللاعلمية، أو على أنه له مجاله الخاص ولا دخل لنا فيه وبالتالي لا دخل له في دنياه.

هذه الطلائع التي ذهبت إلى الغرب واستفادت هذه المنهجية العلمية نقلتها كما هي في مجال الثقافة الإسلامية، وساعد على ذلك ما كانت تعيشه العلوم الإسلامية من شبه توقف ومن جمود في الغالب، بحيث وجد بعض أولئك نفوراً من علماء المسلمين ورفضاً لما يقولونه، دون أن يكون هنالك مجال للمناقشة والنظر واستقصاء مصدر الإشكال ومحاولة الخروج بطريقة علمية عقلية تراعي المجال الديني والمجال العلمي وما بينهما من تلاق وما لكل منهما من مجال.

• **الخلاصة**: يجب أن لا نكون أصحاب مطلقات، وهذه الأفكار المطلقة هي طبيعة الإيدولوجيات والمذهبيات التي تريد أن تسقط الآخر دون أن تصل إلى الحقيقة، والله عز وجل قد أمرنا في محكم كتابه أن نسير بطريقة علمية عقلية توصلنا إلى الحقيقة، فمثلاً: في القرآن الكريم: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} {وجَادِلْهُمْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ} {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}لابد أن يكون الجدل والنقاش مبنيا على أصل علمي، فهذه الأصول العلمية المشتركة توصل إلى الاتفاق وليس إلى التضاد، ولكن عدم الانطلاق من الأصول المشتركة والابتداء أساسا بالرفض المطلق أو القبول المطلق لا يتفق مع منهج الإسلام.

فالله عز و جل لم يطلب من الآخرين أن يؤمنوا دون أن يمروا بتفكير ونظر وتدبر {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}، {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، فالتفكر والنظر والاستدلال أمر أساسي، والله عز وجل علمنا ذلك في القرآن الكريم { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ}، {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}، {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} {وَضَرَبَ لَنَا مثلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ،قلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} وهكذا يوجهنا إلى الاستدلال والنظر باستعمال الأدلة الفطرية، والأدلة العقلية، التي هي مشتركة بين البشر.

هنا يجب أن ننتبه حتى لا يكون حكمنا جائراً على الآخرين، ولا حكمنا متحيزاً دون دليل، أننا نرد القضية إلى واقعها.

أولا: القضية نتيجة مشكلة اجتماعية تاريخية معينة في مجتمع معين **لماذا؟**

لأن الدين أشمل من الفكر وأوسع من الفكر، فالدين الحق محيط وشامل، ولذلك قال تعالى: {ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيء} وقال أيضا:{ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ} لكن العجز يتطرق إلى الإنسان، فالعجز هو في النسبي وليس في الدين، فالدين حق وشامل

ومحيط، والإنسان ناقص ومن طبيعته النقص في نظره وفي النتائج، فلذلك يحتاج إلى تصحيح وتصويب نظره، ويتسع أفقه بقدر اتساع علمه، ولابد أن يكون في علمه متكاملاً بين جانب الخلق وجانب الشرع، وحينما تختل قاعدة من هذه القواعد أو مجال من هذه المجالات ينعكس على النتيجة، وبالتالي يظهر هذا التضاد أو التعارض الموهوم، فالتعارض والتضاد ليس بين الدين في أصله أو مصادره الحق وبين العلم، وإنما هو تعارض بين الفهم الإنساني للدين وبين مستوى الفهم أو العلم الذي وصل إليه أولئك.

ونبين هذا من خلال الواقع نجد أن العالم الغربي في وقت من الأوقات تخلوا عن تراثهم الديني جملة وتفصيلا ورفضوه، ونظروا إلى أن هذه من نتائج الاجتماع، ثم زاد الأمر حتى وصلوا إلى الإلحاد، فكانوا قد أبقوا على مسألة وجود الله عز وجل وردّ الكون إليه، وقيود النفس الإنسانية وبعض القضايا العصرية التي لم يجدوا منها مهرباً، لما تطورت العلوم لديهم واتسعت مساحة الرؤيا إلى حد ما، ظنوا أنهم أحاطوا بكل شيء.

ولذلك لما طرح نيوتن نظريته قالوا: انتهينا من فكرة الإله، واكتشفنا أن الكون عبارة عن مكينة تدير نفسها بنفسها فلا حاجة للإله، ثم لما جاءهم داروين بنظرية التطور، قالوا انتهينا من مسألة الخلق، فلا خلق ولا إله، وإنما هي في إطار هذه المادة، ثم لما جاء فرويد بالشعور واللاشعور قالوا: تخلصنا من الوحي ومن الأنبياء، فهو من الشعور إلى اللاشعور فوظفوا نتائج علم معين مع عدم الجزم.

هل كان العلم سيتوقف عند نيوتن أو عند داروين أو فرويد أم أن العلم سيتطور، العلم يتطور ومساحته تزداد اتساعاً، وكلما زادت مساحة العلم كلما عاد الإنسان على أصوله الفلسفية للعلم بالتنقيح والنظر، فإذاً لما كان القرن الثامن عشر والتاسع عشر كان عصر الإلحاد، فالإيمان نفي فيه جملة وتفصيلا واعتبر من مخلفات القرون، لكن العلم ما زال يتسع شيئاً فشيئاً، فجاءت النظرية النسبية لتنتقد نظرية المطلقات عند نيوتن، ثم جاءت نظرية الكوانتوم الفيزيائية لتكشف عن أن المادة تتموج لتصبح طاقة والطاقة تتجسد وتصبح مادة، ولم يعد الوجود محصوراً في الذرات اللامتناهية كما يذهب الماديون، وتقدمت جراحة الأعصاب حتى اكتشف الناس أن الروح ليست مصدرها الجسد، وأن هناك مصدر آخر للروح خارج النطاق المادي، وكذلك التطورات في مجال علم بالإنسان والعلم بالأحياء، فتكتشف شيئاً ليس ما يجزم به ويقول به دارو، وإنما هناك أطوار وليس تطور، وفرق بين الأطوار والتطور، معنى الطور الأول للخلق كان مادياً طبيعياً جماداً بلغتنا الإنسانية وإن كان كل شيء حي ثم حياة تليق به، ثم جاء طور الحياة والأحياء، وهكذا ينتقل الكون من طور إلى طور حتى يأتي طور الإنسان الذي يقول الدين هو أعلى أو آخر المخلوقات: الإنسان.

تبقى القضية قضية الخلق وقضية التطور، الله عز وجل لم ينفِ أن كل خلق تم عبر أطوار، ولكن ننفي من الدين أن يكون صدفة وأن كل شيء انبثق من الآخر انبثاقاً تلقائياً، وإنما كل خلق هو بحكمةٍ وإرادةٍ إلهية في وقته الذي يريده الله عز وجل، وينتقل ويظهر شيئاً فشيئاً بأطوار يعلمها الله سبحانه وتعالى أشار إلى بعضها كما في أطوار خلق الإنسان، وكما في أطوار خلق السموات والأرض وغير ذلك، فإذاً هناك نقاط التقاء وافتراق.

إذاً الغربيون بعد هذه التطورات العلمية بدأت تظهر نظرية إيمانية جديدة، العلماء يرون أن الكون له خالق، وأنه موجود من خارجه، وبدؤوا يتحدثون عن لحظة الانفجار الأعظم وعن بداية الخلق وعن نهايته، ولا سيما لما اكتشفوا ما يسمى بالقانون الثاني للديناميكة الحرارية الذي يقضي بأنّ الكون يفقد حرارته شيئاً فشيئاً وما فقد لا يعوض، وقد أعطى هذا دليلاً حاسماً على أن الكون له بداية ونهاية، وأنه موجود بعد أن لم يكن، إلى غير ذلك من الكشوفات العلمية الباهرة التي

جعلت الإنسان يتراجع عن الإلحاد، ويعود إلى أن هناك خالق للخلق ويعود بنظرية الخلق ونحوها، لا يعني هذا أن النظرية الأولى اندثرت تماما، لكن لها قيمتها ولها المنتفعون منها إلى آخره، لكن تبقى هذه نظرية قائمة وبقوة تتنامى بقدر تنامي العلم الحديث وتطوره، والعلم كلما تطور أفضى إلى تطوير لفلسفة العلم، قد كتب علماء الغرب في هذا الشيء كتابات يبينون فيه تطور فلسفة العلوم بتطور العلم، وكلما اتسعت مساحة الاكتشاف والنظر كلما أعيد النظر في فلسفة العلم وأقيم على فلسفة جديدة.

فإذن مصدر الإشكال مصدر تاريخي في مرحلة معينة تصادم قوى معينة في مجتمع معين.

- **المصدر الآخر للإشكال هو:** قصور المعرفة أو نقص المعرفة، فكلما اتسعت المعرفة كلما انحل الإشكال.
- **المصدر الثالث هو:** الخلط بين العلم من الناحية الفنية والعلم من الناحية الشرعية.

فالعلم من الناحية الفنية أو السننية التي تكشف قوانين الأشياء وكيف تشتغل، وينبني عليها بناء العلوم على الجانب السنني، لا يمكن أن يتعارض مع بناء العلوم على الناحية الشرعية، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يختلط المجال التجريبي المعاشي بالجانب الديني؛ نهي المسلمين عن أن يأخذوا بالجانب الديني في الجانب الفني، لأنه سيؤدي إلى تخريب الحياة وإلى ما أدى إليه في الغرب من وجود هذا التناقض، النبي صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم بالمدينة ورأى رجل يلقح النخل فقال: (لو لم يفعل هذا لصلح)، النبي يريد أن يشد القلوب من التوقف مع الأسباب إلى خالق الأسباب ومسببها سبحانه وتعالى، حتى لا يلتفت الناس إلى العادة وينسوا ما وراء العادة، فالعادة أن الإنسان إذا لقح النخل خرج الثمر طيباً وهذه حكمة الله، فإذا لم تسقِ الزرع يموت، وإذا لم تصلحه تلف ولم يؤت بالثمر الجيدة، وهكذا سنة الله في كل شيء، فالتعرف على هذا الأمر مبناه على التجربة، لأن الله أراد أن يكون الكون منتظما حتى يستطيع الإنسان عبر هذا الانتظام أن يقيم حياته المعاشية وأن يتدبر أمره في هذا الكون، ولو شاء سبحانه وتعالى لجعله بطريقة مفاجئة وإعجازية ولكن من حكمة الله أن جعله منتظما حتى يستفيد منه الكل، لأن الناس كلهم لا يطيقون الغيب، والله عز وجل يصطفي من رسله من يشاء، فالنبي حتى يشد القلوب إلى الله عز وجل ويخرجها من رابطة العادة والركون إليها؛ قال: (لو لم يفعل هذا لصلح)، وهذا ليس نهياً من النبي من تأبير النخل، بل هو لفت الانتباه والقلوب إلى الله عز وجل وتحذيرها من الوقوف مع الأسباب.

هذه الكلمة من النبي فُهمَت فهماً خاطئاً فتركوا تأبير النخل فجاء التمر شيصاً _غير صالح للأكل_ فلما سألهم النبي عن السبب، قالوا: أنت قلت: (لو لم يفعل هذا لصلح)، فالنبي حتى يقطع الطريق على الأفهام الخاطئة التي تخلط بين الجانب السنني التجريبي وبين الجانب الديني الاعتقادي قال: (أنتم أعلم بشؤون دنياكم) أو كما قال الرسول: (ما حدثتكم عن الله فخذوه وأنتم أعلم بشؤون دنياكم) فهنا ابتدأ الخلط في وقت مبكر في وقت النبوة بين الجانب الاعتقادي والجانب العملي التجريبي، الجانب الفني والجانب الشرعي، فهذا مصدر ثالث من مصادر الخلق، وبالتالي لا بد أن يعطى كلٌّ حظه وحقه، فالعالم بالدين لا يتكلم بشيء من الأمور الفنية إلا بعد أن يتبصر به من أصحابه، والعالم بالناحية الفنية لا يخوض في الشرع إلا بعلم، فإن لم يكن عنده علم أمسك ورجع إلى المختصين فيه.

تنبيه على كلمة هنا تقال وتطلق وهي كلمة حق قد يتطرق من خلالها الباطل، فلما يقول بعض الناس (لا كهنوت في الإسلام) نعم لا أحد يتوسط بين العبد وبين ربه، فلا تحتاج كما تحتاج النصارى في الصلاة إلى كاهن ليتوسط لك حتى تتوب، فهنا في المجال السلوكي العبادي يجب أن لا تُجرّ على الجانب العلمي بالنص، فالعلم بالنص شيء، والتوسط بين النص وبين الله عز وجل شيء آخر، العلماء لا يزعمون أنهم يتوسطون في فهم النص بين الله وبين عباده فيقولون: (لا ترجعون إلا إلينا)، يقولون:

إن الشرع علم كسائر العلوم، هناك أدوات ومناهج تجعل الإنسان مختصاً في هذا العلم كما يكون مختصاً في الفقه أو في الاعتقاد ونحوه كما يكون مختصاً في الفيزياء والطب والكيمياء والهندسة ونحوها، فلذلك كما أن العالم في الفقه لا يخوض في الفيزياء ولا في الكيمياء ولا في الطب وغير ذلك، لا يجوز لعالم الطب أن يخوض في الفقه بغير علم، إما أن يجلس إلى أهله ويتعلم العلم الشرعي ثم يخوض فيه بعلم وعدل، فهنا لا إشكال فيه حينها، فلا أحد يقول له لا تخض ما دام تعلم، لكن المنهي عنه أن يتكلم الإنسان في الشرع وأن يكون الشرع مباحاً لكل أحد، بحيث نرى أن المتخصص في الطب أو الكيمياء أو غيره يخوض في الدين وفي الشرع وهو لم يتعلمه على أصوله، فهذا مذموم منهي عنه، وهذا من مصادر الأخطاء حينما يتكلم في الشرع من لا يحسنه، أو من يتكلم في العلوم المعاشية من لم يحسنها، والأصل أن كل علم قائم بذاته ولا بد أن يتعلمه ويدخل إليه من بابه، ولا مجال هنا للاحتجاج لا كهنوت في الإسلام لمنع غير المتخصص في الشرع من الحديث فيه.

الحلقة (٤)

تحدثت في الحلقة السابقة عن شبهة التعارض بين الدين والعلم! وبينت أن هذه الشبهة مردها إلى واقع تاريخي، فهي في حقيقتها ليست تناقضاً بين العلم والدين الحق، إنما هي تناقض بين واقع معين وفهم معين وتطبيق معين للدين، وبين علم يتطور ويكتشف هذه الأخطاء المتراكمة لدى أولئك الناس في الدين أو في الواقع، ويكتشف تصادم نتائج العلم مع نصوص دين يقال: أنها نصوص حق مع أن ذلك الدين دخل فيه التحريف.

فإذن السبب الحقيقي لهذا الذي بدا لأولئك الناس تعارضا بين العلم والدين هو أولاً كما قلت: النص المحرف، الذي دخلته آراء البشر ولم يبقَ كما هو غضاً طرياً، نحن هنا نتحدث عن مشكلة التعارض بين العلم والدين في أوروبا قبل أن تنتقل آثارها إلى العالم الإسلامي، فإذن كان النص المحرف سبباً من الأسباب، ثم الجانب الآخر هو: الفهم المعوج وغير المستقيم، المسألة الثالثة التطبيق الخاطئ.

ثلاثة عناصر اجتمعت، وظهر من خلال هذه العناصر أن ما أفضى إليه العلم الحديث آنذاك هو بخلاف ما يقوله أولئك الناس من ناحية الدين ومن ناحية تطبيقه، فلذلك حدث هذا التعارض، بل التناقض، بل الصراع الذي أدى إلى إحراق بعض العلماء في المجال الفلكي وفي المجال الطبيعي ونحوه وإيذائهم ومطاردتهم وقتلهم، إلى غير ذلك من المسائل.

فإذن يتجلى لنا أن هذا التعارض هو تعارض بين واقع معين ودين محرف وبين علم لم تثبت كل معطياته إنما هو في تطور دائم، لذلك لا يمكن الجزم بنتائجه التي أدت إلى التعارض جزما مطلقا.

هذا الواقع أطل على العالم الإسلامي في حالة ضعف وفي حالة انحطاط، وكان هناك شيوعاً للخرافة والأسطورة ولا سيما بين العوام في العالم الإسلامي.

الأمر الثاني: جمود الفكر آنذاك.

الأمر الثالث: الإغراق في التخصص، فلم يكن الجانب الشمولي في الفهم والفكر حاضرا كما كان في عصور الإسلام الأولى، هذه الأمور أدت إلى نوع من التعارض الظاهر بين بعض ما يقول به العلم وبين ما يمارسه الناس، سواء من فهم أو تطبيق خاطئ للدين في العالم الإسلامي، مما أوجب إرباكا لدى بعض من درس من شباب العالم الإسلامي في العالم الغربي.

إذن لم يكن منشأ الشبهة هو التصادم بين الدين الحق وبين العلم، بل هو: تصادم واقع تاريخي معين مع نتائج علم تتطور وتظهر شيئا فشيئا وتزيل الغشاوة شيئا فشيئا، وإلا فالعلم سيفضي إلى الشهادة بأن القرآن هو الحق، وذلك قوله تعالى:

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} فإذن نتائج العلم تفضي شيئاً فشيئاً إلى إثبات وحدانية الله تعالى، وإلى إثبات أن ما جاء به القرآن هو الحق، سواء في مجال الأنفس أو في مجال الأكوان، فكل هذه الكشوفات تؤدي إلى هذا السبيل، وقد ظهرت بوادرها في أشياء كثيرة وفي اكتشاف أمور عديدة كان لها إشارات في القرآن والسنة المطهرة أذهلت الكثير من العلماء المتخصصين عندما اكتشفوا هذا التطابق بين الحقائق العلمية وبين ما في القرآن الكريم.

والحق أنه ليس بمستغرب لأن القرآن وحي الله وكلامه المحيط علمه بكل شيء، والذي قال الله عنه: {ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْء} وقال تعالى: {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} والخلق فعله وهو العليم {وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً} وما يزال العلم يكشف حتى يبين ويشهد أن القرآن هو الحق، وقد بين بعض العلماء من الغرب الذين كتبوا في هذا الشأن ومنهم الطبيب موريس موكاي الذي كتب عن الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، وثبت له من خلال دراسته أن القرآن يتطابق مع نتائج العلم في حين أن التوراة والإنجيل فيها اختلاف كثير، وذلك لما دخل فيهما من تحريف، وإلا فأصلهما من عند الله كما قال الله تعالى، لكن الأمر أنها دخلها التحريف.

أثر العلم والعلماء المسلمين في الحضارة الإنسانية:

تعددت المجتمعات التي أسهمت في رقي الحضارة الإنسانية وتطورها، فكل مجتمع ولا شك يسهم إسهاما معينا يتوافق مع مزاج هذه الحضارة ومع مبادئها ومع ما تؤمن به، لذلك نجد اختلاف الحضارات ما بين حضارات تهتم بالجانب الدنيوي من حيث إثارة الأرض وتصنيعها والاستفادة منها ماديا، دون أن ترفع رأسا بالجانب الغيبي، ونجد حضارات تؤسس على الجانب الغيبي وتهتم به، ويكون هو الأساس والأصل والمنطلق، فالحضارة الإسلامية حضارة قامت على الدين الإسلامي.

ما الذي جعل المسلمين يسهمون وبقوة في الحضارة الإنسانية؟

أولاً: القرآن الكريم كتاب يدعو للعلم وللتفكر والتدبر والنظر، وإلى الأحكام المتجردة العادلة التي لا تحابي في نظرها وفي تحليلها وفي استقرائها للأمور، لذلك يقول الله تعالى: {وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ}، وقوله تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}، وقوله تعالى {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ} فأمر سبحانه وتعالى بهذا التجرد وبهذه الدقة في النظر والتحليل والاستقراء والتصور، إلخ، هذه الأوامر الإلهية التي أمرت بهذا الجانب بالإضافة إلى

ثانياً: التنبيهات والتأكيدات المتعددة في القرآن والسنة للنظر والتدبر والسير في الأرض والاعتبار والتفكير والمسؤولية عن السمع والبصر والفؤاد، إلخ من الأمور.

هذا الأمران كانا من الأمور التي أسهمت في إيجاد بيئة علمية تدفع نحو العلم واستثارة الأرض وتحريك الفكر والنظر في المجتمعات وفي السير ونحوها، فكان من نتائجها أن وُجدت حركة علمية قوية في العالم الإسلامي، ومناخا للتفكير العلمي أنتج ما أنتج من الأمور الكثيرة.

الجانب الآخر الذي أثّر في إيجاد نتائج دفعت بالحضارة الإنسانية شوطا كبيرا

ثالثاً: هو الانطلاق من الإسلام وهو خطاب للإنسانية، فالإسلام خطاب للبشر كلهم قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}، وقوله تعالى: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} هذا الخطاب الذي للناس أجمع راعى هذه البشرية في اجتماعاتها وافتراقها وفي جبلتها، وفيما تحتاجه في ضرورياتها، وفيما تحتاجه في سلمها وفي حربها وفي حياتها وفي كل أمورها، فكان الانطلاق من هذه المبادئ الشاملة التي تستوعب الحياة الإنسانية كلها وتوجهها الوجهة التي فيها السعادة؛ من أعظم الأسباب في إثراء الحضارة الإنسانية بالأفكار النافعة، نتيجة دراسة هذا الدين واكتشاف نصوصه وتوجيهاته العظيمة فيما يتعلق بالتعامل الإنساني في

المجتمعات المسلمة بخاصة، وفي المجتمع الإنساني عامة، فكان له أثر عظيم في توجيه أفكار العلماء أو نتائج بحوثهم نحو ما ينفع الإنسانية.

الأمر الآخر: التأكيد على القيم الإسلامية، فالقيم الإسلامية قيم تعنى بالإنسان، تحافظ ليس فقط على الإنسان بل البيئة كاملة وبكل ما فيها، وتُشعر الإنسان بأنه عابد وأن الكون أيضا عابد، وأن العلاقة بين الإنسان وبين الكون علاقة محبة ومودة ومواءمة، وليس علاقة صراع وعنف ونحو ذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عن أُحد (جبل يحبنا ونحبه)، هنا مبادلة للحب بين الجبل وبين الإنسان، كذلك الآيات الأخرى التي تبين هذا التواؤُم بين الإنسان المؤمن وبين الكون، بحيث لا تغدو المسألة صراعا وتنافسا يؤدي إلى العنف وزيادته، بل إلى التكامل وإلى الرحمة وإلى الإنتاج الفاعل المفيد وإلى تقليل الفاسد والمفسد إلى حد أكبر، فهذه القيم التي تعمل بهذا الشكل أدت إلى إثراء الحضارة الإنسانية عن طريق العلماء بهذه القيم، وتأكيدها تأكيدا كبيرا، سواء كانت هذه القيم من الناحية المنهجية أم من الناحية المعرفية أم من الناحية التطبيقية.

ومن المعلوم أن هذه التوجيهات في مجال استقراء الكون والنظر فيه كان لها أثرا عظيما في اهتمام المسلمين بالمنهج التجريبي، ومعلوم أنه قبل الحضارة الإسلامية كان هناك نوع اهتمام بالتطبيقات عند اليونان، لكنه منهج يعتبرونه أضعف من المنطق الذي ينطلقون فيه من الأعلى إلى الأسفل أو من القواعد الكلية إلى الجزئيات، في حين أن القواعد الكلية لم تأتِ إلا نتيجة استقراء الجزئيات، ومن هنا اهتم العلماء المسلمين بالاستقراء اهتماما كبيرا وطبقوه في عدة مجالات، سواء في المجال الشرعي لاستنباط علل الأحكام أو لمعرفة مقاصد التشريع، وطبقوه في المجال الإنساني أو التاريخي وسبقوا في ذلك، كان ابن خلدون سابقا للغرب في دراسة التاريخ دراسة سننية مما أذهل الغربيون كيف اكتشف هذا العبقري! وما أسباب ظهوره، في حين أن ظهوره كان محتملا وممكنا في إطار التوجهات الإسلامية والتوجهات القرآنية للنظر والاستقراء والتدبر ومعرفة السنن، فلم يكن غريبا أن يظهر مثل هذا الشخص في إطار الحضارة الإسلامية، فكان له أثر في إثراء الحضارة الإنسانية من هذا الجانب.

طبقوه أيضا في المجال الذي يسمح بالتجربة، وأنتجوا أشياء كثيرة سواء في مجال الطب ومجالات أخرى كالصيدلة ونحوها، وقد كان الغرب في إبان نهضتهم يكاد يعتمد على ما وُجد في الحضارة الإسلامية، فانطلق من تلك المرحلة وسار وتطور ولم يقف عند تلك المرحلة، ولكنها كانت هي البداية والمنطلق له، فاعتمد على هذه النتائج واستفاد من المنهج التجريبي فائدة عظيمة، فكان له أثر في تطوير هذه الحضارة الغربية التي نعيش أثارها ونلمسها بقوة، هذا من ثمرات علماء المسلمين في إثراء الحضارة الإنسانية.

مجالات التأثير ليست فقط في الطب والصيدلة بل تعدتها إلى أمور أخرى كالعمارة وكالفنون الحربية التي طورها المسلمون تطويرا كبيرا لحاجتهم إليها، وكذلك في مجال الصناعات الأخرى، وظهر أيضا النتائج في المجال التشريعي، ومن الثروة التشريعية أو الفقهية استفاد الغربيون كثيرا وأدخلوا الكثير في قوانينهم نتيجة الوعي والمعرفة بالفقه الإسلامي.

فمجالات التأثير في الحضارة الإسلامية متعددة، منها ما يتعلق بالقيم، ومنها ما يتعلق في مجال التشريع، ومنها في مجال الفكر ومناهج النظر، ومنها في الصناعات، ومنها في مجال التكافل والمؤسسات الخيرية، فالمؤسسات الوقفية كانت في العالم الإسلامي لها دور كبير في نهضة العالم الإسلامي وبناء مجتمعه، وكان المسلمون قد توسعوا فيها توسعا كبيرا إلى درجة أن يكون هناك أوقافا على الكلاب الضالة، وأوقافا للإنارة....إلخ من الأوقاف المتعددة التي تغطي أوجه الحضارة آنذاك.

فإذن هذا الاهتمام بالجانب الخيري والعناية به وتوظيف الأوقاف توظيفاً اجتماعياً فعالاً كان أيضا من ثمرات الحضارة الإسلامية التي استفاد منها الغربيون كثيراً وطوروها وساروا بها شوطا كبيراً، فالآن العجيب مثلاً من الجامعات الغربية وكثيرا من المؤسسات تقوم على هذه الأوقاف.

هذه لمحة عن تأثير العلم والعلماء المسلمين في الحضارة الإنسانية، وقد كُتب في ذلك كثيراً سواء ما كتبه المسلمون أو ما كتبه غيرهم، ومما كُتب من الكتب التي تبين هذا الأثر العظيم كتاب لـ زغريد هونكة: **[شمس العرب تسطع على الغرب]،** هذا الكتاب المؤلفة أوضحت فيه جوانب كبيرة من أثر العلم والعلماء على الحضارة الإنسانية، وكثير من الغربيين المنصفين أشاروا إلى ذلك وكتبوا فيه، وفي مجالات الحضارة المتعددة، بعضهم كان مخصصا في مجال من المجالات كمجال الفكر فكتب فيه، وبعضهم في مجال المناهج فكتب فيه، وغيرها من المجالات المتعددة، فالبعض كتب في مجال وبعضهم كتب في مجالات متعددة، بهذا نكون انتهينا من القسم الأول قسم الإسلام والعلم.

المكتبة: تعريفاً، ونشأة وأهدافاً وأشهر المكتبات ضمن التراث الإسلامي.

نبدأ في تعريف المكتبة:

هي مؤسسة ثقافية معرفية تنشأ في المجتمع وتحوي أوعية معرفية متنوعة تلبي بها حاجة المجتمع أو فئة من فئاته في المجال المعرفي والثقافي.

فهي إذن تنشأ في المجتمع بفعل فاعل، إما أن تكون بفعل جهة رسمية، أو أن تكون بفعل فئة أو شريحة من المجتمع اهتمت بإنشاء هذه المؤسسة التي هي المكتبة.

المكتبات كما سيأتي متنوعة ومتعددة ومستوياتها مختلفة، وكل نمط وله وضعه وله منشأه ونحو ذلك، لكن نحن نتكلم عنها فنقول أنها مؤسسة ثقافية معرفية تنشأ في المجتمع: سواء أنشأها شخص أو أنشأتها الدولة أو أي شخص، فهي تنشأ في المجتمع.

وتحوي أوعية معرفية متنوعة: قلنا أوعية معرفية حتى لا نقول كتب، في السابق ربما كانت المكتبات ليس فيها إلا الكتب، لكن الآن المكتبات أصبح وضعها آخر، فأوعية المعرفة متنوعة، لم تعد الكتب وحدها، قد تكون كتاب، قد تكون صحيفة، قد تكون شريطا سمعيا، قد تكون قرصا ممغنطا أو مدمجا، قد تكون مفتوحة على الإنترنت شبكات، قد تكون تحوي أوعية معرفية متنوعة ومتعددة بتعدد التطور العلمي في هذا الجانب، فإذن الأوعية المعرفية لا نستطيع حصرها، لذلك لم نقل كتبا وإنما قلنا أوعية معرفية متنوعة بحسب ما يستجد من هذه الأوعية المعرفية التي لا يتوقف الإنتاج فيها، فما نفتأ نلاحظ تجددا دائما في مجال أوعية المعرفة.

الأمر الآخر أيضاً: لا يقتصر الوعاء المعرفي على الكتاب وعلى القرص المدمج وعلى ما ينقل المعرفة، بل قد يكون وهذا ما تفعله بعض المكتبات يكون فيها متحفا يحوي إما وثائق أو ما هو أكبر من الوثائق، كبعض التحف التي فيها توثيق لجانب معرفي، كما تلاحظ في بعض المكتبات، مثل مكتبة الإسكندرية التي هي قامت على أنقاض مكتبة الإسكندرية القديمة ومن ضمن ما تحويه المتحف، هذا المتحف فيه لوحات أثرية، فيه لوحات تبين نمط الملابس مثلاً، تبين النقود، تبين الأسلحة، وتبين تطور هذه الأشياء في الحضارات المختلفة، بل إن فيها ما يتعلق بالتحنيط عند الفراعنة ونحو ذلك.

فإذن المكتبات تختلف، قد تكون متوسعة وتحوي شيئاً كبيراً إذا كانت مكتبة عامة أو وطنية أو نحوها، وقد تكون المكتبة

صغيرة وقد تكون بحسب وضعها، فنحن طرحنا تعريفا عاما يشمل أو يستوعب المكتبة مهما كان وضعها صغيراً أو كبيراً أو متوسطاً أو نحو ذلك، فقلنا إنها إذن مؤسسة ثقافية معرفية تجمع بين الثقافة والمعرفة، وتنشأ في المجتمع، وتحوي أوعية معرفية متنوعة مهما كانت هذه الأوعية لتلبية حاجة المجتمع أو فئة من فئاته في المجال المعرفي والثقافي.

هذا تعريف المكتبة بشكل عام، يندرج كما قلت في هذا التعريف ما كان منها متوسعا وما كان منها متوسطاً، وما كان منها صغيراً.

أما عن نشأة المكتبة في الإسلام:

أولا: المجتمعات الإنسانية ما من مجتمع من المجتمعات التي أصبح لها نصيب من الحضارة إلا وجدنا أن المكتبة جزء لا يتجزأ من حياتها، ولو نظرنا في بعض المجتمعات القديمة لوجدنا أن المكتبة قد كان لها نصيب في حياة ذلك المجتمع، وإن كانت بشكل محدود ويسير.

أقدم المكتبات التي اكتشف أنها فيها ألواحا طينية محفوظة في مكان معين، وهذه الألواح الطينية عليها كتابات سواء كتاب عقود أو وثائق أو معارف أو نحو ذلك.

فكانت أشبه إذن ببيت الكتب أو المكتبة آنذاك عند أولئك الأقوام، ومازالت المجتمعات كما قلت التي لها نصيب من الحضارة يكون عندها المكتبة، وكلما اتسع نطاقها الحضاري كلما ظهر الاهتمام لديها بالمكتبة وإنشائها، لما لها من فوائد في تطوير الحياة وتلبية ما يستجد من إشكالات ونوازل تنزل بالناس يحتاجون فيها إلى اللجوء إلى المكتبة، لإدراك أو محاولة حل المشكلة بالاستفادة مما هو مطروح ومكتوب، سواء كان قديما أو حديثا مما ترصده المكتبات، وقد اتضحت في هذا العصر الحديث ما يسمى بسلطة المعرفة وأهميتها في الحياة الاجتماعية، بل الحياة الإنسانية، وأصبح هناك عناية بالجانب المعرفي وبتسويق المعرفة وباقتصاد المعرفة ونحو ذلك مما نسمعه الآن !! لأن المعرفة أصبح لها الأولوية أو قفزت في المقدمة باعتبارها الهادية للمجتمع أو للنشاط البشري بكل صنوفه، فنشاط ديني لا بد من علم لكي يكون النشاط صحيحا، نشاط دنيوي لا بد من علم لكي يكون النشاط صحيحا ومثمرا، نشاط اجتماعي لابد أن يكون العلم يهديه لكي يكون صحيحا، وهكذا أي نشاط يمارسه الإنسان لابد أن يسبقه العلم حتى تكون ثمراته فاعلة ومنتجة، فهذه هي مسألة الاهتمام بالعلم أو المعرفة ودروها الكبير في قيادة المجتمع الإنساني، من أجل ذلك كانت نشأة المكتبات كما قلت لتحقيق هذا الأمر وهو هداية المجتمع، وتسديد نشاط الإنسان في كل ما يأتيه ويذره، سواء كان فردا أو مجموعا، لا بد أن يكون نشاطه مؤثَّرا وموجَّها بالعلم والمعرفة.

الحلقة (٥)

في هذه الحلقة سيكون تكميلاً لما بدأناه عن الحديث عن نشأة المكتبة في الإسلام.

وكنت قد قدمت في حلقة سابقة لهذا الموضوع بالحديث عن نشأة المكتبة بعامة واهتمام البشرية بتحصيل المعرفة لأنها تحقق أمرين:

تحقق قوة وسلطة للمجتمع، وتفيد في توجيه حياته ونشاطه وتسديده.

فإذن هذه الحاجة للمعرفة قائمة لدى الناس، والأمر الآخر أن الإنسان متدين بغريزته فيحتاج لمعرفة توجهه فيما يتعلق بمصيره ومستقبله الأخروي.

بالنسبة للحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامي وكيف نشأت المكتبة فيه؟ كان نشأة المكتبة له دوافع، الدافع الأساس هو النص المنزّل **لماذا ؟؟** لأن الأمة الإسلامية أمة رسالة، تبلغ هذا النص المنزل للعالمين، وبلاغه يحتاج إلى بيان وإيضاح، ويحتاج إلى أمور أخرى ولذلك نشأت حول النص عدة علوم، العلوم الموثقة أو علوم التوثيق التي توثق النص وتبين صحته وبما يتعلق بعلوم القرآن وتعتني بالقرآن وبكتابته وجمعه إلى... إلخ مما يتعلق بتوثيق هذا النص العظيم.

والأمر الآخر في السنة أيضا، ونشأ حول النص النبوي، مجموعة من العلوم التي توثق هذا النص، وتبين الصحيح وما حاول البعض إدخاله من الأحاديث الموضوعة، فنقدت الأحاديث وبينت المزيف وأثبت الصحيح، فنشأت عدة علوم كمصطلح الحديث وعلم الرجال وعلم العلل ونحوها من العلوم المتعددة المعروفة بعلوم الحديث، هذه **علوم مُوثِّقة للنص**، وهناك **علوم شارحة** التي تشرح وتبين المراد بحسب الطاقة، كعلم الفقه والتفسير الذي يكشف عن معاني النصوص وفقه الحديث ونحو ذلك من العلوم التي تتحدث عن هذه الجوانب وتشرح من خلالها وتبين النص.

كذلك نشأت علوم منهجية، بمعنى العلوم التي لا بد لمن يجتهد في شرح النص وبيانه أن يكون عارف بها ومنضبطا بقواعدها، ولا يكون النص خاضعا للتشهي والهوى في شرحه وفي بيانه.

فهذه كلها علوم نشأت في إطار النص أو في خدمة النص، فكانت بدايات لنشأة المكتبة في الإسلام، هذه البدايات في المجال العلمي أو الديني توسعت ومازالت تتوسع إلى شيءٍ كبير، كذلك من العلوم التي نشأت في خدمة النص **علوم وسائل** كعلم اللغة وما يتصل بعلوم اللغة والأدب والبلاغة والبيان ونحوها، التي تعين على فهم النص والاقتراب من روحه، أيضا كان للمستجدات والنوازل أثرا كبيرا في تطور المكتبة في الإسلام وتكاثر ما كُتب من علوم ومعارف في هذا الشأن، فإذن هذا جانب من الجوانب الذي كان سببا في نشأة المكتبة في الإسلام.

جانب آخر هو الواقع بما فيه من تطورات وتغيرات، فمعلوم أن العرب كانوا في الجزيرة العربية ولها عوائدها ولها وضعها من حيث التطور المادي وتطور الوسائل وغير ذلك، ثم لما توسع المسلمون وانتشروا في الأرض تلاقوا مع مجتمعات قطعت شوطا في الحضارة والتقدم والصناعة، كالمجتمع الفارسي والمجتمع الروماني والمجتمع المصري ونحو ذلك من المجتمعات الأخرى التي انفتح المسلمون عليها، فكان لذلك أيضا أثرا آخر في تطوير المعرفة، وفي استحداث علوم معاشية يُحتاج إليها في التطبيق، هذه العلوم بعضها لم يكن مما استحدثه المسلمون، وإنما كان لدى الآخرين واستفادة المسلمون من خلال التلاقي والتثاقف مع هذه المجتمعات الأخرى، فأسهمت هذه المعارف في تطوير المكتبة في الحضارة الإسلامية.

فإذن **الجانب الأول**:النص والرسالة رسالة الأمة **والجانب الثاني**: اتساع نطاق الأمة جغرافيا واتساع حاجتها زمنيا، **والجانب الثالث**: تلاقيها مع الأمم المتقدمة معاشياً وماديا والاستفادة من هذه التجارب وإدماجها في الحضارة الإسلامية.

كل هذه الأمور الثلاثة كانت روافد للمكتبة في الإسلام، هذه الروافد أسهمت في التوسع الكبير في مكتبات العالم الإسلامي، فما زالت تتسع حتى انتقلت نقلة أخرى، طبعا في البداية كانت المكتبات أقرب من أن تكون عند الأشخاص أو أن تكون في دور التعليم، لكن اهتمام الدول الإسلامية بمسألة المكتبات وإنشائها طوّر هذا الأمر فأصبح هناك مكتبات ضخمة ومعروفة في التاريخ، من أشهرها دار بيت الحكمة في بغداد أنشأها هارون الرشيد ثم طورها من بعده المأمون، وكانت فيها المصنفات من مختلف العلوم والفنون، كذلك من المكتبات دار الحكمة في القاهرة وكانت تضاهي بيت الحكمة في بغداد، بل كان بينهما تنافس شديد في أن تحصل كل مكتبة على الكتاب قبل الأخرى.

كذلك من المكتبات مكتبة قرطبة في الأندلس أيام الدولة الأموية في الأندلس التي كانت هي الأخرى تنافس وتحاول ولها

رواد يشترون الكتاب من المشرق قبل أن يخرج هناك لكي يدخل مكتبة قرطبة، فكان هناك تنافس بين هذه المكتبات أدى إلى ظهورها، بجانب ذلك كان هناك مكتبات في المساجد، ومن المعلوم أن التعليم فيها كان حيا وقويا ومازال التعليم ينسب إلى هذه الجوامع وإن كان استقل عنها وأصبح في أماكن أخرى يدرس مثل الأزهر والزيتونة والقرويين وغيرها كان التعليم فيها، وكانت تحوي المكتبات، بالإضافة إلى مكتبات أخرى متعددة، سواء كانت لعلماء أو وجهاء من المكتبات الشهيرة ويشار إليها بالبنان في العالم الإسلامي، وكلما زاد ازدهاره آنذاك كلما اتسع نطاق المكتبات فيه مثل مكتبات المساجد والمكتبات الخاصة ومكتبات الخلفاء وهناك مكتبات عامة ومكتبات مدارس.....إلخ

وبعض هذه المكتبات القديمة في العالم الإسلامي تم إحيائها كالمكتبة الظاهرية ونحوها، وهناك من المكتبات ما اندثر وانتهى بسبب ظروف عرضت له مثل مكتبة دار الحكمة بالقاهرة التي انتهت حين أصبح صلاح الدين حاكم في مصر فعمل على إنهاء هذه المكتبة.

ما الأهداف التي تترياها المكتبات؟ أو لماذا تنشأ المكتبات ؟؟

في التعريف أشرت إلى أنها تلبي حاجات المجتمع أو فئة من الفئات، إذن قد تكون الأهداف على مستوى عام للمجتمع، وقد تكون موجهة لخدمة فئة من الفئات، فمن المكتبات الموجهة لخدمة فئة من الفئات مكتبات الأطفال ومكتبات الشباب مثلاً والمكتبات الخاصة ونحو ذلك، بعض الجهات المعينة قد تحتاج لمكتبة لتلبي حاجاتها وقد يغلب عليها اهتمامها كالجانب القانوني أو العسكري أو الجانب السياسي أو الجانب الإداري ونحوه، فنجد أن المكتبة التي في هذه الإدارة تعنى بحاجة هذه الإدارة أو هذه الفئة من الناس، إذن المكتبة تتعدد أهدافها بتعدد أنواعها، لكن حسبنا أن نشير إلى بعض الأهداف العامة التي قد تصدق على بعض المكتبات بعامة وتصدق على بعضها دون بعض.

من أهداف المكتبات :

١.**تثقيف الأمة:** فلا شك أن هذا هدف من الأهداف الأساسية السامية لإنشاء المكتبة، فما من أمة من الأمم إلا وتهدف إلى الرقي بذاتها والوصول إلى مصاف الأمم، وتسعى جاهدة للحصول على ذلك، ومن أهم الطرق للرقي لمستوى الوعي أن يتم تثقيف الأمة وتعليمها وتطويرها، ولاشك أن المكتبات تسهم في ذلك إسهاما كبيرا، بقدر وجود المكتبات الثرية وبقدر الإقبال عليها والقراءة فيها واستثمارها يكون مستوى الوعي، ولذلك يقال عن شعب معين بأنه شعب قارئ وعن شعب آخر أنه ليس بقارئ، وقد تكون المكتبات متوفرة جدا لكن القراء لا يُوجَدون، ولا فائدة من المكتبة إذا لم يوجد القراء، وهو كمن اشترى سيارة من أفخر السيارات وأوقفها دون أن يستعملها حتى تفسد أو تهلك، فحينئذ تثقيف الأمة يأتي في أولوية الأهداف التي يسعى إليها واضعو المكتبات أو منشأها أن تكون عاملا في هذا الأمر.

٢.**الثاني حفظ التراث:** حفظ تراث الأمة، الأمة قد يكون لها امتداد قديم وجذور قديمة، وقد تكون تكونت حديثا، وحفظ التراث يكون فيما يتعلق بالأمة بعامة، وقد يكون فيما يتعلق بإنتاج أو توثيق تراث وطن من الأوطان، فبالنسبة للأمة الإسلامية تراثها واسع ومتنوع، وللأسف أيضا مشتت في العالم أجمع وليس في العالم الإسلامي وحده، ومنه ما هو موجود ومنه ما هو مفقود ومنه ما هو في حكم المفقود –ولعلنا نأتي على هذه النقاط بعد الحديث عن الأهداف– فلذلك من الأهداف التي تنشأ من أجلها المكتبات الحفاظ على تراث الأمة كمخطوطاتها الموزعة في العالم وجمع هذه المخطوطات والعناية بها وإحياء تراثها، ولا شك أن المكتبات تؤدي دورا مهما في هذا الجانب، يمكن أن تحفظ تراث الأمة سواء من خلال رصده أو جمعه أو من خلال إخراجه ونشره أو من خلال إذاعته وبيانه ونحو ذلك، فعدة قنوات يمكن أن تعمل من

خلالها المكتبات على العناية بالتراث وحفظه، سواء كان تراث الأمة بعامة أو تراث جهة وطن من الأوطان.

٣. **تيسير البحث:** لا شك أنه ليس كل باحث قادر على أن يكون لديه ما يحتاجه في بحثه من وثائق ومن علوم ومن أوعية معرفية ونحو ذلك، فهذه المكتبات تيسر على الباحثين وتقرب لهم البعيد وتيسر الصعب وتوفر الجو الهادئ والمناخ المناسب للبحث العلمي، فتيسيرها للبحث يكون من عدة أوجه:

الامر الأول من خلال المناخ الهادئ الذي يتيح للباحث النظر والتفكر والاستيعاب،

والأمر الثاني ما توفره من قنوات معرفية،

الأمر الثالث كونها على قدرة أو قدرتها عالية على التواصل مع مراكز البحوث،

الأمر الرابع أنها قد تعين الباحث في أمور مادية بأن تمول بحثه،

الأمر الخامس أنها قد تعينه في نشر بحثه وهكذا فتيسير البحث في المكتبة له عدة أوجه بحسب قدرة المكتبة وبحسب استراتيجيتها.

٤. **متابعة المستجدات في مجال المعرفة:** لأن المعرفة والعلوم لاشك ولاسيما ونحن في عصر الثورة المعلوماتية وانفجار المعلومات هذا العصر يحتاج إلى ملاحقة سريعة ومتابعة جادة لكل ما يطرح بحسب الإمكان، ولاشك أن الأفراد أصبحوا عاجزين عن أن يحيطوا بهذا التوسع أو أن يحيطوا بجزء منه فضلا أن يحيطوا به، فهنا دور المكتبات ولا سيما الكبرى والمدعومة أن تيسر وتتابع كل جديد حتى يكون أمام الباحثين لديها ما يستجد من المعرفة، وتكون المعلومات المستخدمة في البحوث جديدة وحديثة، هذا المجال وهو متابعة المستجدات أقدر عليه المؤسسات وليس الأفراد، وهنا تبرز المكتبة في المقدمة لتكون هي المهيأة أو المؤهلة لمتابعة المستجدات وتيسيرها للباحثين.

٥. **توثيق التراث الوطني في مجال المعرفة والثقافة:** فلذلك نجد لكل دولة في الغالب مركزاً وطنياً أو مكتبة وطنية توثق النتاج العلمي والفكري في هذا البلد أو ذاك، وعلى سبيل المثال في المملكة العربية السعودية مكتبة الملك فهد الوطنية هي المكتبة التي تعنى بتوثيق النتاج العلمي هنا في المملكة، لذلك يحمل الكتاب رقما معينا هو رقم التوثيق لهذه المادة المعرفية التي أذنت لها المكتبة ورخصت لها ووثقتها وأصبحت موثقة لديها، فهذا هو مركز التوثيق الوطني، وهو في الغالب مكتبة مهمتها الأولى والأساسية توثيق النتاج العلمي الوطني.

٦. **تغطية أوقات الفراغ:** لاسيما لدى الشباب نجد أن هناك مساحة من الفراغ في أوقاتهم، فتكون المكتبات مجالا لاستثمار هذا الفراغ فيما ينفعهم بذواتهم وما ينفع أمتهم، فبقدر ما يستفيدون من معارف وعلوم يكون هذا أثره لاشك ليس للأفراد بذواتهم وإنما أيضا لأممهم.

٧. **تحقيق التكامل بين العلوم:** فالمكتبة لا تختص بعلم من العلوم، وإنما تحوي جميع العلوم والمعارف والأوعية ليس فقط المعرفية، بل الأوعية الثقافية كما أشرت في حلقة سابقة، فإذا كانت بهذا الشكل فإن مناخها يوحي بهذه التكاملية ويعطي هذه التكاملية بين العلوم، بحيث يشعر من يأتي إلى المكتبة أنه أمام معارف متنوعة يكمل بعضها بعضا، ويسد كل صنف منها ثغرا من ثغرات الحياة، بحيث أنها بمجموعها تؤدي إلى الاستجابة لما تتطلبه الحياة بمجموعها، فهي إذن توحي بهذا التكامل بين العلوم وتقربه إلى الأذهان واقعا محسوسا.

٨. **إكساب الإنسان العادات الحميدة:** كعادة حب القراءة والإطلاع والبحث والنظر والتدقيق، لاشك أن من ارتاد المكتبة وتكرر منه ذلك فإن المدة أو الزمان تكسبه عادات ومهارات قد لا يحسن لها لو لم يكن من المرتادين والمترددين على

المكتبات، ومنها هذه التي أشرنا إليها كتنمية الميول للقراءة والبحث وغرس حب الإطلاع والقراءة.

٩. تنمية القدرات: فيما يتعلق بالمعرفة والبحث والتحليل وممارسة ذلك تطبيقياً.

١٠. الكشف عن ميول الطلاب: فيما يتعلق في رغباتهم في فن من الفنون أو علم من العلوم، فبما أن المكتبة بها كل هذه الأصناف المتعددة فهي تتيح خيارات تسمح بالاختيار بينها، وباكتشاف ما يوافق ميول الإنسان، وقد يكون لدى مرتاد المكتبة -وهو لم يكتشف من نفسه هذا الشيء- لديه مثلاً ميول في الجانب التاريخي، وآخر في الجانب الجغرافي، ونحو ذلك، حينما يرتاد المكتبة ويبدأ في الإطلاع شيئاً فشيئاً لاشك أنه سيجذبه ما يتوافق مع ميوله، فما يزال به هذا الشيء حتى يكون قد تعرف على ما يهمه أو ما يهدف إليه.

هذه هي مجموعة من الأهداف التي تنشأ من أجلها المكتبات في المجتمعات الإنسانية بعامة، وليست الأهداف بمجموعها لكل المكتبات بمجموعها، وإنما هي أهداف متنوعة قد يتحقق جزء من هذه الأهداف في مستوى معين من هذه المكتبات، وقد يتحقق جزء منها في مستوى آخر، وقد تتحقق جميعها في مكتبة بعينها لا سيما المكتبات الكبرى التي تجمع اهتمامات أطياف المجتمع، فمثلاً تضم قسما للأطفال، وقسما للشباب، وقسما للوثائق، وآخر للأشياء التراثية، وقسم للمخطوطات، وقسم للكتب، وقسم للأشياء السمعية والبصرية، ونحو ذلك، فيكون لديها قاعات متنوعة ومتعددة تلبي كل الاحتياجات، إذن فالأهداف تختلف وتتسع بحسب اختلاف المكتبات وبحسب اختلاف أنواعها.

التراث الإسلامي:

التراث الإسلامي منه موجود ومنه مفقود، وهذا الموجود منه المنشور ومنه ما لازال مخطوطاً، وسبب فقد كثيرٍ من تراث الحضارة الإسلامية وكتبها يعود إلى النكبات التي تعرض إليها العالم الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى مشكلة التخلف والانحطاط، أما من ناحية ما تعرض إليه العالم الإسلامي من نكبات فقد تعرض لنكبتين كبيرتين جداً بالإضافة للمشكلات الأخرى:

النكبة الأولى: هي ما حدث للمسلمين على أيدي التتار المغول حينما غزو الحضارة الإسلامية والدولة العباسية وأسقطوها عام ٦٥٦هـولم يقفوا إلا في الشام، هذه الغزوة المدمرة دمرت الكثير من تراث المسلمين وحضاراتهم، فقد كان أولئك الغزاة يحرقون ما يقع تحت أيديهم، وقد رموا في نهر دجله الكثير من التراث الإسلامي، لم يكونوا يرون لهذا التراث قيمة.

كذلك جاءت **نكبة أخرى:** على يد النصارى حينما دخلوا الأندلس وأسقطوا الدولة الإسلامية، فقد أحرقوا الكثير من تراث المسلمين هناك، وتتبعوا المسلمين تتبعاً شديداً، وحاولوا تنصيرهم والقضاء عليهم واستئصال الدين الإسلامي في ديار الأندلس.

الحلقة (٦)

في هذه الحلقة سنكمل ما توقفنا عنده عند الحديث عن نكبات المكتبات أو ما حدث للتراث الإسلامي المخطوط في الماضي وأيضا في العصر الحديث الذي لم نشر إليه، وهو ما سنكمله في هذه الحلقة.

كنا قد أسلفنا الحديث عن دور التتار في إتلاف الكثير من حضارة المسلمين، أولئك الذين اكتسحوا العالم الإسلامي من شرقه إلى حدود الشام، وكذلك ما حدث في الأندلس حيث أحرق فيها ما قُدّر بمائة ألف جمعت في ميدان وأحرقت بعد أن أخرج المسلمون من الأندلس آنذاك.

العوامل التي أضرت بالتراث الإسلامي:

١. **ما كان من صراعات في العالم الإسلامي نفسه.**

٢. **الضعف العلمي وانتشار الجهل وعدم الاهتمام بهذه الثروات العلمية أفقدها قيمتها** بحيث بيع منها الكثير على الغربيين ونقلوها إلى بلادهم.

٣. **ما حدث إبان الحروب الصليبية** حيث اكتشف أولئك أهمية هذه العلوم في نهضة المسلمين وتقدمهم، وقد كانت أوروبا تتعرف على الحضارة الإسلامية من ثلاث قنوات (قناة المعرفة – قناة التجارة – قناة الحرب)، وقناة المعرفة كانت عن طريق الأندلس وكان أبناء الغرب يدرسون في تلك الجامعات وينقلون معهم ما استطاعوا من التراث الإسلامي.

والقناة الثانية التي انتقلت أو عبرت من خلالها الحضارة الإسلامية إلى أوروبا كانت عن طريق صقلية وجنوب ايطاليا حيث التجارة المزدهرة آنذاك، وحيث تأثرت الإمبراطورية البيزنطية بالدولة الإسلامية، حيث كان تقليد الإمبراطور البيزنطي للخليفة العباسي في بغداد في تشجيع العلم وفي استئصاله والبذل فيه.

وكانت القناة الثالثة التي عبرت منها الحضارة الغربية وبتوسع في إبان الحروب الصليبية التي امتدت لقرنين من الزمان واكتشف من خلالها عامة أوروبا هذه الحضارة الإسلامية ونقلوا الكثير من تراثها ومن عطائها ومن إنتاجها ومصنوعاتها.

هذه الثلاث قنوات عبرت منها الحضارة الإسلامية إلى الحضارة الغربية، والشاهد هنا أن الملوك الصليبيين اكتشفوا هذا التراث الإسلامي، حرصوا على نقله والاستفادة منه فأخذوا ما استطاعوا من تلك المخطوطات، ثم لما جاء العصر الحديث عصر الاستعمار نُهب الكثير من مخطوطات العالم الإسلامي وأُودعت في البلدان الغربية، ولازالت تتسرب المخطوطات إلى يومنا هذا، ومعروف أن كثيراً من العلماء يحرصون على اقتناء المخطوطات، وإذا مات العالم فقد تباع في المكتبة وتتسرب وتنقل إلى خارج البلدان الإسلامية إلى البلدان الغربية.

هذه عدة عوامل أسهمت في تبدد وإتلاف واغتراب المخطوطات الإسلامية الكثيرة، ومع ذلك فلازال يوجد منها الكثير، منها المفقود، ومنها الموجود في حوزة الأمة، ومنها ما هو في حوزة غيرها، وهذا الموجود منه ما نشر وحقق وظهر للنور، ومنه ما لم ينشر وهو كثير جداً.

تُقدر المخطوطات في مكتبات أوروبا وأمريكا بمائة ألف مخطوط عدا مكتبات المستشرقين والأفراد ونحوهم، وتتوزع في عدة دول أوروبية من أهمها انجلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا وروسيا وأسبانيا وإيطاليا والنمسا والسويد، هذه أشهر البلدان التي توجد فيها مخطوطات إسلامية مما أُخذ من البلدان الإسلامية في العصر الحديث، والآن هناك محاولات لإجراء رصد لهذه المخطوطات، ومن الكتب التي اعتنت بذلك كتاب "لمحات في المكتبة والبحث والمصادر" لـ محمد عجاج الخطيب هذا الكاتب أفرد للمكتبات التي تضم مخطوطات عربية في أوروبا وأمريكا أفرد فقرة في كتابه تحدث فيها، حيث أشار إلى أنه يوجد في تلك المكتبات نحو مائة ألف مخطوط عربي على أقل تقدير سوى ما في مكتبات المستشرقين وأساتذة الجامعات وما في أيدي الناس ممن له عناية بالمخطوطات العربية والآثار الشرقية.

وبداية الاهتمام بالمخطوط العربي كانت في القرن العاشر الميلادي إبان الحروب الصليبية، حيث اهتموا بهذه العلوم وحرصوا على اقتنائها ونقل الكثير منها، يشير الكاتب إلى أن لويس التاسع ملك فرنسا عام ١٢٢٦م –١٢٧٠م وهي فترة وجوده، يقول لما عاد من الحروب الصليبية نقل معه من مدينة دمياط مخطوطات عربية وقبطية زين بها خزائن قصره، واحتذى حذوه كثير من أمراء الفرنسيين والأغنياء الذين رافقوا الملك في زيارته الأماكن المقدسة، وقد كان للأندلس الفضل

الكبير في نقل العلوم الإسلامية إلى أوروبا.

معهد المخطوطات العربية:

نظراً لأهمية هذا التراث فقد انتبه العرب والمسئولون في الأمة العربية إلى أهمية استعادة هذا التراث وصيانته وحفظه والعناية به، فأنشؤوا من أجل ذلك مؤسسة تابعة لجامعة الدول العربية تدعى "معهد إحياء المخطوطات" هذا المعهد يسعى على عدة مستويات لحفظ هذه المخطوطات والعناية بها والتعريف بها ونحو ذلك.

ومن آليات المعهد :

جمع المخطوطات من العالم، فلا يمكن استعادة المخطوطات لأن أهلها يمتلكونها الآن، وإنما تستعاد **عن طريق التصوير** إما التصوير الورقي أو التصوير على المكروفيلم والحصول على هذه الصور من المخطوطات، والآلية الثانية **هي إصدار نشرات متتابعة** يبين فيها ما يستجد في عالم المخطوطات وما يحصل منها وما يكتشف منها، الآلية الثالثة **هي تحقيق بعض المخطوطات أو المساعدة على تحقيقها** كمساعدة الباحثين الراغبين في تحقيق مخطوطة معينة عن طريق مثلاً إمدادهم بصور المخطوطة أو نحو ذلك.

ومعهد المخطوطات ليس هو الوحيد، فبعض الدول اعتنت بهذا الجانب لاسيما المجامع العلمية أو مراكز البحوث والجامعات، فمثلاً في المملكة العربية السعودية نلاحظ عناية كبيرة جداً بالمخطوطات مثل "مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية" لديه قسم خاص بالمخطوطات يجمعها من أنحاء العالم وتفهرس وتصنف، ولديه قسم للعناية بالمخطوطات تجليدا ووقاية لها من التلف ومعالجة ما تلف منها بآلية متطورة ومتجددة دائماً، لما لدى المركز من إمكانات كبيرة، ويمكن للباحثين الاستفادة عن طريق الاتصال بالمركز.

كذلك من المؤسسات التي سبقت للعناية بالمخطوطات في المملكة العربية السعودية "جامعة الإمام محمد بن سعود" لها جهد في حرصها على اقتناء المخطوطات بأنواعها سواء مخطوط مصور أو كتابة أو مكروفيلم، فقد جمعت الكثير من هذا الجانب، وكان اهتمامها منذ القدم من قبل أن تصبح جامعة عندما كانت كليات ومعاهد علمية، وثم لما تكونت جامعة أُنشئت عمادة شؤون المكتبات وخصص قسم في المكتبة المركزية للعناية بهذه المخطوطات، فلديها مخطوطات نادرة، كما أن لديها كما هائلا من هذه المخطوطات، وقد عملت عمادة شؤون المكتبات في الآونة الأخيرة مشكورة على تحويل هذه المكتبات إلى الطريقة الرقمية بحيث يسهل إيصالها إلى الباحثين ويسهل عليهم الإطلاع عليها.

وأيضاً من ضمن هذه الجامعات جامعة الملك عبد العزيز وجامعة أم القرى والجامعة الإسلامية وغيرها، وقد أسهمت هذه الجامعات في نشر التراث المخطوط في العالم الإسلامي إسهاماً كبيراً عن طريق الرسائل العلمية على وجه الخصوص، فتسجيل الباحثين في رسائلهم في موضوعات أو في مخطوطات أسهم في تحريك التراث وفي إعادة نشره وإخراج كنوزه بشكل مدقق ومحقق علمياً، وقد كان في فترة من الفترات المخطوطات تخرج بشكل تجاري ليس بشكل تحقيق علمي دقيق، وهذا أساء إلى التراث، فقد يخرج منقوصاً وقد يخرج مشوهاً وبه أخطاء كثيرة، لكن مع إخضاع التحقيق للأصول العلمية، ودخوله ضمن الرسائل العلمية والبحوث أصبح يخرج بصفة وبطريقة مدققة ومحققة ومفيدة للباحثين فائدة كبيرة، ولذلك أقول أن هذه الجامعات الإسلامية أسهمت إسهاماً كبيراً في نشر التراث والوعي به والاستفادة منه واستثماره من جديد بعد أن كان في هذه الأرض محفوظاً.

إضافة إلى هذه المؤسسات يوجد على شبكة الإنترنت مواقع تعنى بالمخطوطات، وتعين الباحثين على الإطلاع على المخطوطة

والتواصل في هذا المجال، بل والحصول على نسخ منها، هذا بالإضافة أن الجامعات لها مواقع على الإنترنت، وعن طريق موقع الجامعة يمكن الاتصال بعمادة شؤون المكتبات والحصول على ما يراد من هذه المخطوطات.

القيمة العلمية للمخطوط:

أولاً المخطوطات بشكل عام: هي مهمة لأنها حفظت تراثنا الإسلامي فهي نتاج أولئك العلماء الذين اجتهدوا وبذلوا وجمعوا وكتبوا، فهي لا شك مفيدة لأنها ذاكرة الأمة العلمية التي رصد فيها كل عطاء أولئك العلماء، فهذه هي أهمية المخطوطات بشكل عام، وهي التي وجهت لها الاهتمام والعناية الكبرى من قبل الأمة الإسلامية بمختلف مؤسساتها وجامعاتها ومكتباتها ومازالت العناية تبذل.

ثانياً المخطوط بعينه أو (بذاته): المخطوطات ليست على حد سواء في الأهمية، فيمكن النظر إليها من عدة جوانب، فهي تتفاوت بحسب الموضوع، من المخطوطات ما يكون ثميناً جداً بما فيه من معلومات لا تتوفر في غيره، وبعض المخطوطات يوجد منه نسخ كبيرة جداً فلا تبقى أهمية هذه المخطوطة إلى مثل تلك المخطوطة التي تقل نسخها وتعظم قيمتها، بل قد لا يكون في العالم إلا نسخة واحدة منها، الأمر الآخر أن الموضوع من جهة أخرى قد لا يكون أهميتها من حيث توافرها؛ لكن قلة أهميتها من حيث أن الموضوع الذي كتبت فيه ليس موضوعاً مهماً، قد يكون تكراراً، وقد يكون موضوعا هامشيا قليل الأهمية جداً، إذن ترتبط أهمية المخطوطة بالتالي:

أولاً بالقيمة العلمية لهذا المخطوط فكلما كانت القيمة العلمية أعظم كلما كانت قيمة المخطوط أكبر.

ثانياً بالنسبة لوجود المخطوطة فقيمة المخطوطة المتوفرة ليست كقيمة المخطوطة النادرة.

ثالثاً من حيث التاريخ من المعلوم أن المتقدم تاريخياً أي ما كتبه المؤلف في عصره أو قريباً من عصره تتفاوت، فكلما توفرت نسخة المؤلف كان أفضل وكانت القيمة أعلى، وكلما نزلت زمنياً كلما نزلت قيمتها في الغالب.

رابعاً من الناحية الكتابية قد يكون في المخطوطة سقط كبير أو رداءة في الخط وقد تكون أخرى مكتوبة بدقة ووضوح.

خامساً من ناحية توثيق العلماء لها فقد تكون هذه المخطوطة قرأت على مجموعة من العلماء فوثقوها وأدلوا بشهاداتهم عليها.

إذن قيمة المخطوط تتفاوت من عدة أوجه، فقد يكون مهماً من هذا الجانب في حين أن غيره أهم من جانب آخر.

المقصود بالمخطوطة: هي الكتب التي أُلفت وكتبت قبل عصر الطباعة، وليس ما خط أو ما كتب بخط اليد مهما كان، لأن ما كتب بخط اليد قد يكتب في هذا اليوم أو في هذا العصر ويعتبر مخطوطا بمعنى مكتوبا بخط اليد، لكن ما يراد بالمخطوط الذي يُسعى لتحقيقه ونشره هو ما كان قبل عصر الطباعة.

الهدف من تحقيق المخطوطة هو إخراج النص سليماً كما كتبه مؤلفه لأن المؤلف إذا كتب كتاباً يستهدف بيان معلومات معينة بطريقة معينة، فهدف التحقيق إخراج النص سليماً كما كتبه مؤلفه بقدر الاستطاعة، وهذا يتطلب أن يخرج النص وأن يعلق عليه.

- **خطوات العمل في المخطوطة:**

١. **اختيار المخطوطة:** لابد لمن يريد اختيار مخطوطة لابد أن يكون من أهل الاختصاص، فسيكون عليه اختيار مخطوطة من اختصاصه، فإن كان من أهل الحديث أو الفقه أو التفسير أو كان من الأدب أو النحو أو أي فن من فنون الحضارة الإسلامية، لأن المتخصص حينما يحقق النص يكون تحقيقه في الغالب جيداً لأنه عارف أو من أهل العلم، والتحقيق ليس فقط

إخراج نص بدون وعي، فلابد أن يتوفر فيمن يريد أن يحقق النص: الوعي والتخصص والعلم بموضوع أو مجال هذا الكتاب أو المخطوط.

٢.**أن يكون ملماً وعارفاً بقواعد التحقيق:** فإن لم يكن عارفا لم يأتِ عمله وفق الأصول.

٣.**أن يكون عارفاً باصطلاحات المتقدمين في التحقيق:** فكما أن لدينا مناهج بحث واصطلاحات معينة في العصر الحاضر كالفاصلة والفاصلة المنقوطة والشرطة إلى آخره من علامات الترقيم، فقد كان هناك علامات معينة تقابل علامات الترقيم الحديثة يستعملها الذين يكتبون آنذاك.

٤.**أما الأمور الأخرى التي قد يحتاجها المحقق في التثبت من مخطوطة فقد يستعين بغيره من المختصين** كالمختصين في الخطوط والورق والأحبار ونحوها للتحقق من مدى وجود هذا المخطوط بالفعل بحسب التاريخ المكتوب عليه، فقد يكتب عليه تاريخ ويكون متأخرا وليس من ذلك التاريخ، فالذين لديهم علم بالخطوط والحبر وبالورق ونحوه من الأمور يعرفون إن كان بالفعل من ذلك التاريخ أو أن التاريخ غير صحيح.

هذه بعض الشروط التي تلزم من يريد التحقيق، ثم إذا كانت هذه الشروط قد توفرت فيه فسينتقل نقلة أخرى، ولنفترض أنه تخصص في فن من الفنون عليه أن يسعى لاختيار مخطوط مناسب لكي يحققه، مثلاً من شروط المادة المحققة ألا يتكرر تحقيقها، فلا فائدة من تكرار العمل وإضاعة الجهود فالمفترض أن يبدأ الإنسان عملاً جديداً يستفيد منه هو يستفيد الآخرون بدل التكرار.

الحلقة (٧)

من شروط قبول المخطوطة (في الأكاديميات والجامعات وما إلى ذلك):

- **أن لا يكون العمل مكررا**، أن لا يكون سبق إخراج أو تحقيق هذه المخطوطة، لأن العمل لا بد أن يكون مفيدًا ومثمرًا، وإذا كان سبق إخراجها إخراجا علميا فمن العبث إعادة تكرار العمل، فتنتفي الفائدة هنا أو تكاد تنتفي، لأن المحقق الآخر قد يضيف أشياء قليلة لا تستحق كل هذا العناء والجهد، أما إذا كان التحقيق السابق ضعيفا أو كان تجاريا فهذه قضية أخرى، فنحن نتحدث عن التحقيق العلمي الدقيق الجيد.
- **أن يكون هذا المخطوط فيه فائدة كبيرة** ولا سيما للتخصص، فكلما كانت قيمة المخطوط العلمية عالية فيحسن الاهتمام به وإخراجه.
- **أن تكون النسخ متوفرة** وخاصة إن بعض المخطوطات لا يوجد منها إلا نسخة واحدة، وللعلماء شروط في تحقيقها، ولكن إذا كانت النسخ متوفرة فإنها تتيح للباحث الفرصة لإخراج النص بشكل دقيق وجيد ومقارب أو مماثل لما وضعه المؤلف.
- **مسألة الاختيار:** إذا توفر لدينا المُحقِّق والمُحقَّق الكتاب، ثم العمل، **كيف يعمل؟ الآن هو بصدد اختيار المخطوطة، كيف يتعرف على المخطوطات؟**

هناك كتب اعتنت بالمخطوطات وبينت موضوعاتها وأماكنها في العالم ونحو ذلك، ومن هذه الكتب:

١. كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكل مان ألماني كتب كتاب يتكون من ستة أجزاء رصد فيه التراث العربي، وقد ترجم وطبع باللغة العربية.

٢.كتاب تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين وقد بدأ عمله كتكملة أو استدراك على كارل بروكل مان فوجد أنه ترك الكثير،

فتحول على أن يكون ملحقا أو استكمالا إلى أن افرده بمؤلف مستقل، وقد ترجم بما يتعلق بالجانب النظري أو تولت جامعة الإمام التعاقد مع المؤلف بترجمة ما يتعلق بالدراسات الإسلامية والعربية من كتابه، وترجمت أجزاء كثيرة وطبعتها جامعة الإمام، وهذا الكتاب يبين مواضع المخطوطات في العالم، فإذا كان الإنسان مثلاً متخصصا في الفقه يذهب إلى القسم الذي يتحدث عن الفقه، أو أصول الفقه، أو الحديث ونحوه يذهب إلى القسم الذي يعنى باختصاصه، ثم يبحث في هذا القسم عن المخطوطات، ويتعرف التعرف الأولي على المخطوطة من خلال هذا الشأن.

٣. الجانب الآخر توفرت على شبكة الإنترنت مواقع عرض المخطوطات وبيانها، ويمكن للباحث أن يدخل إلى هذه المواقع ويستفيد في التعرف على المخطوطات الموجودة التي لم تطبع بعد بحسب اختصاصه.

٤.هنالك كتب غير الكتابين المذكورين كتب قد تكون مختصة ببلد معينة كمخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق، ومخطوطات المكتبة التركية لشسن، ومخطوطات دار الكتب المصرية، ومخطوطات الزيتونة، والقرويين، وقد تكون مخطوطات مختصة بمكتبة بعينها مثل مخطوطات عارف حكمة، وجامعة الإمام لها جهود في طباعة فهرس للمخطوطات والمصورات بالجامعة.

هذه عدة سبل أمام من يريد تحقيق المخطوطة يمكن من خلالها أن يتعرف على المخطوطات الموجودة في تخصصه، ثم بعد ذلك بعد أن يختارها يبحث هل سبق تحقيقها أم لم يسبق تحقيقها، فإن كان سبق يرى نوع هذا التحقيق إن كان جيدا أو رديئا، فإن كان رديئا فبإمكانه أن يقدم التبرير ولماذا يطلب التحقيق، وإذا كان جيدا فالواجب عليه أن ينصرف عن التحقيق، وإن كان له ملحوظات على التحقيق يمكن أن يكتبها في مقال ويفيد الآخرين بملحوظاته، لكن لا يعيد العمل ويهدر الوقت والجهد.

لنفترض أنه وقع على كتاب بعينه، بأنه سيحقق هذا الكتاب في ذلك التخصص المعين، تأتي المرحلة الثانية وهي البحث عن نسخ هذا الكتاب في أماكن وجودها في العالم، وبعد أن يرصد أماكن وجود النسخ ويتعرف عليها يطلب هذه النسخ، هو أولا اختار نسخة بعد أن استبعد ما كان محققا وما كان مكررا، اختار هذه النسخة، يبحث عن أماكن وجودها ثم يطلب مصورات لها، إذا وصلته هذه المصورات، الخطوة التي تليها: ترتيب النسخ بحسب قربها من المؤلف، فالنسخة الأساس ستكون التي كتبها المؤلف بخط يده وإن كان قد نقحها فالمنقحة، لأن بعض المؤلفين قد يكتب أكثر من نسخة مسودة ثم يعود عليها بالتنقيح، فما كانت نسخة نهائية للمؤلف هي المفترض أن يهتم بها الباحث ويجعلها الأصل الذي ينطلق منه، وقد لا تتوفر نسخة للمؤلف وإنما قد تتوفر نسخة قُرِأت على المؤلف وأجازها، فهنا يمكن أن يعتبرها أصل إن لم تتوفر الأولى، وقد لا تتوفر إحدى هاتين النسختين، فقد تكون نسخة في عصره وقوبلت على نسخة المؤلف، ثم نسخة قُرِأت في عصره وعليها سماعات وتوثيقات لعلماء العصر، فهذه أيضا تعتبر نسخة مهمة ومفيدة في التحقيق،ثم بعد ذلك ما كتب بعد عصر المؤلف وما هو قريب منه، وهكذا بحسب القرب الزماني و بحسب التوثيق و بحسب الاكتمال، قد تكون النسخة مكتملة وقد يكون فيها سقط كبير، فإن كانت مكتملة تكون أولى، ثم يأتي بعد ذلك نسخة متأخرة ولكنها كاملة و مشكولة وجيدة فهذه تفيد في تحقيق الكتاب، لأنها قد جمعت الكتاب كاملا وبخط واضح.

بعد أن يختار النسخ التي سيضعها ضمن هذا العمل، سيعطي لكل نسخة اسما معينا، قد تكون نسخة (أ) النسخة الأصلية، ونسخة (ب) ونسخة (ج) على حسب عدد النسخ، وقد يجد المحقق مشكلة أخرى، قد يجد تكرار للنسخ، فمثلاً نسخة (أ) قد يجد منها خمس أو ست نسخ، و(ب) كذلك فماذا يعمل؟ يعمل فئات للنسخ، فئة (أ) وفئة (ب) فيعتمد نسخة من هذه

الفئة ومن هذه الفئة ومن هذه الفئة، هذه طريقة لترتيب تكرار النسخ.

ثم يعود وينسخ النسخة الأساس يكتبها أو يطبعها طباعة، ويكون هناك هامشا أو حاشية لها حتى يثبت الفروق في هذه الحاشية.

ثم تتم المقابلة بين النسخ، ويثبت الفوارق بين هذه النسخ، كما إن من وظائف الحاشية (الهامش) أمور أخرى، ليست القضية فقط في إثبات الفوارق بين النسخ، وإنما هناك أمور يعتني بها المحقق، والمحققون يختلفون، فمنهم من يثقل التحقيق بالحواشي ويتوسع في ذكر التراجم وفي النقول بمناسبة أو غير مناسبة، وبعضهم يكتفي فقط بالنص والفوارق بين النسخ، والبعض يراوح بين الطريقتين باعتدال، بمعنى أنه يهتم بالفوارق بين النسخ لإيجاد النسخة كاملة بقدر الإمكان، المسألة الثانية: يعلق على النص في الأشياء المهمة، مثلاً الإشارة إلى مصادر النص، قد يكون المؤلف نقل نصا من كتاب معين يحيل على هذا النص الذي نقل منه المؤلف، يبين مواضع الآيات ويخرج الأحاديث، يبين بعض المفردات الغامضة وبعض المصطلحات المهمة، الأشياء المهمة التي تخدم النص وتوضحه وتقربه للفهم، ويلحق الكتّاب عادة بالنص المحقق فهارس لهذا النص، والفهارس متنوعة، فمنها: فهرس للآيات، وفهرس للأحاديث، وفهرس للأعلام، وفهرس للمواضع والأماكن، وفهرس للأشعار إذا فيه شواهد شعرية، فهرس للمصطلحات الواردة في النص، فهرس للآثار الواردة عن السلف، فهرس للمصادر والمراجع التي رجع إليها، وفهرس للموضوعات التي احتواها هذا الكتاب.

والعمل المحقق يسبقه دراسة، فيعرّف الباحث بالكتاب المحقق من حيث منهج المؤلف فيه، ومن حيث موضوع الكتاب، ومن حيث أهمية هذا العمل المحقق، ومن حيث موضوعه، ومن حيث مصادر المؤلف فيه، ومن حيث منهج المؤلف، وأيضا يعرّف بالمؤلف في سيرته من حيث التعريف باسمه وبنشأته وميلاده وشيوخه وتلقيه للعلم وتلامذته وإذا كان له نتاج علمي ما الذي كتبه من الكتب، فهذه الدراسة تسبق التحقيق، وهي مهمة لأنها تضيء لقارئ هذا النص والباحثين وتبين لهم قيمة هذا العمل، وأيضا منهجية المؤلف في سلوكه، فمنهج المؤلف مهم جدا، وقد تبدو قيمة الكتاب من منهجه، أو قيمته مما احتواه من مادة علمية، أو قيمته من الناحية الترتيبية التي أبدع فيها، وقد تكون قيمته من جميع النواحي كما أشرنا من قبل، فكلما كان المحقق مجتهدا في التعريف بهذا العمل المخطوط الذي يعمل فيه؛ بقدر ما يقدم للباحثين خدمة، وأيضا لصاحب الكتاب يسدي له خدمة، هذا ما يتعلق بتحقيق النص بشكل عام الذي يمكن أن يفيدنا في التحقيق، وليس المقام مقام تفصيل في تحقيق المخطوطات، فالبحوث التي تطرح لطلاب الجامعات هي بحوث موضوعات وليست في مجال التحقيق، فكل جامعة على حسب تخصصاتها، ففي كلية الشريعة الموضوعات التي تطرح هي موضوعات في أصول الفقه وموضوعات في الثقافة الإسلامية، أما مجال التحقيق فهو عادة في الدراسات العليا، والطلاب في الدراسات العليا يتوسعون عبر قاعة البحث في ما يتعلق بالعمل في المخطوطات لأنها من جوهر عملهم.

مسألة الاستفادة من المكتبة:

المكتبة تحوي أقسام متعددة، من ضمنها الكتب والأوعية السمعية والرسائل العلمية وغيرها، لكن بالنسبة للاستفادة من المكتبة هناك في السابق كانت الفهرسة عن طريق البطاقات، فالذي يزور المكتبة يريد الاستفادة منها يبحث في البطاقات الموجودة وهي على ثلاثة أنواع:

فهرسة بحسب عنوان الكتاب، وهي مرتبة هجائيا، فمثلاً من يريد أن يبحث عن كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، فيذهب لحرف الجيم في فهرس العنوانين، فيجد الجامع في الجيم بعدها ألف وهكذا.

فهرسة باسم المؤلف (لقب المؤلف)، فيبحث في حرف المؤلف، فيذهب إلى اللقب ويختار الحرف الذي بعد أل التعريف، فيجد أن المؤلف مدرجا هناك بلقبه، وقد يسبق اللقب كلمة ابن أو أبو مثل ابن تيمية أو ابن حنبل فيبحث في كلمة تيمية أو حنبل.

فهرسة على حسب موضوع الكتاب، مثلاً موضوع الصلاة، سيذهب إلى حرف الصاد ويبحث فيه سيجد كل ما كتب عن الصلاة.

جميع هذه التقسيمات مرتبة هجائيا، وقَلَّتْ أهمية هذه الطريقة (طريقة البطاقات) بسبب وجود الفهرس الآلي، فالفهرس الآلي يسر على الناس كثيرا سواء في اختصار الوقت أو في الدقة في البحث ونحوها، فمثلاً إذا أراد الباحث الوصول إلى كتاب عن القيامة، فإنه يدخل كلمة القيامة ستظهر له جميع الكتب التي يحتوي في عنوانها كلمة القيامة، وإذا أراد اسم المؤلف يدخل في البحث اسم المؤلف، والبحث باسم الكتاب، البحث بكلمة في العنوان، حسب المداخل الموجودة في هذا الفهرس الآلي، وهذه الفهارس مزودة بها المكتبات، فعند دخول المكتبة نجد مجموعة من أجهزة الحاسب يستخدمها الباحث في البحث عما يريده قبل دخوله إلى خزائن الكتب أو الدوريات أو نحوها، فإذا توصل للمعلومات وسجلها لديه يذهب ثم يدخل إلى خزانة الكتب، وطبعا المكتبات مرتبة ترتيبا معينا وغالباً ترتيب ديوي العشري هو المعمول به، وهذا عمل على إيجاد تصنيف للمعارف البشرية وصنفها على تسعة أصول، وزاد أصلا لما لا يمكن أن يدخل تحت أصل من الأصول، وهذه الأصول هي:

١- الأصل العام سماه المعارف العامة يبدأ من (٠) إلى (٩٩).
٢- والفلسفة وعلم النفس من (١٠٠) إلى (١٩٩).
٣- الديانات من (٢٠٠) إلى (٢٩٩).
٤- العلوم الاجتماعية من (٣٠٠) إلى (٣٩٩).
٥- اللغات من (٤٠٠) إلى (٤٩٩).
٦- العلوم البحتة من (٥٠٠) إلى (٥٩٩).
٧- العلوم التطبيقية من (٦٠٠) إلى (٦٩٩).
٨- الفنون الجميلة من (٧٠٠) إلى (٧٩٩).
٩- الأدب من (٨٠٠) إلى (٨٩٩).
١٠- الجغرافيا والتاريخ والتراجم من (٩٠٠) إلى (٩٩٩).

هذه عشرة أصول، وكل أصل يندرج تحته مجموعة من الأصول، فمثلاً عندما تريد أن تبحث في الإسلام ستبحث في الديانات ، وتجد أن الإسلام فرّع تحت الديانات، وهكذا كل علم ينطوي تحته مجموعة من التخصصات، فهذا التصنيف أشبه بالأعداد من صفر إلى تسعة، فالأعداد من صفر إلى تسعة تستوعب كل الأعداد مهما كانت قيمتها، فكذلك هذا التقسيم وهذه الأصول العشرة تستوعب كل ما يمكن أن يستجد في مجال المعرفة البشرية بإعادة التشقيق والتصنيف تحت هذه الأصناف المتعددة، قد توجد مكتبات مصنفة بغير هذا التصنيف تصنيف ديوي، لكن غالب المكتبات تعتمد هذا التصنيف، ولذلك الباحث عندما يذهب إلى الباحث الآلي ويكتشف ما يريد قد لا يستطيع الوصول مباشرة إلى مراده إن كان نقل الرقم الثلاثي المكتوب، لأن هناك رقم خاص ورقم عام، فربما يهتدي إليها، فيبحث في المكان في المكتبات حتى

يصل إلى الرقم، فمثلاً إذا كان الرقم ٦٠٠ سيذهب إلى أين؟ إلى قسم العلوم التطبيقية، ويبحث عن الكتاب فيه، والأسرع له الاستعانة بالخبراء في المكتبة فسيدلونه على ما يريده من نسخ بحسب أرقامها، هذا بالنسبة للمكتبات التي يتاح للباحث مباشرة مستودعات الكتب فيها، وهناك بعض المكتبات لا يتاح للباحث مباشرة الكتب وإنما يكون هناك قاعة للباحثين وتطل على مستودع الكتب ويكون فيه متخصصين يطلب منهم الباحث ما يريده ثم هم يحضرون له النسخ، بعد أن يقرأ فيها يتركها في مكانها وهم يعيدونها إلى مكانها مرة أخرى.

فإذاً بحسب نظام المكتبة وترتيبها يمكن أن يستفيد الباحث منها، لكن يحسن بالباحث أن يكون على علم بهذه الإلمامات الأولية بطريقة تصنيف المكتبات، لأنه قد يكون من يعمل في المكتبة قلة والباحثون كثرة فلا يستطيعون الإجابة على كل طلبات الباحثين، فعندما يكون الباحث عنده نوع إلمام يستطيع أن يحل مشكلته ويصل للكتاب بأيسر طريق ممكن.

الحلقة (٨)

أهمية البحث:

البحوث لها أهمية في حياة البشر، لذلك اهتمت الحضارات الإنسانية واعتنت بها لما لها من ثمرة في تطوير الأمم، وتعاظم إنتاجها، وتحقيق هيبتها، وسلامة سيرها، وصحة أساليبها، فكل هذه الأمور للبحث العلمي جانب كبير في تحقيقه، لذا تتفاوت العناية بالبحث العلمي لتفاوت وضع الأمم في الحضارة، فنرى أن أشد الأمم في الحضارة وأقواها عمرانا وتقدما نرى أنها ترصد للبحث العلمي الكثير، ونرى أن الأمم الضعيفة الخاملة لا تهتم به ولا ترفع به رأسا، وإن اهتمت به جعلته من الهامشيات، فالاهتمام بالبحث العلمي مؤشر كبير على مكانة الأمة وعلى استثمارها لطاقتها، وعلى قدرتها على تصحيح تجاربها وأسلوب حياتها والنهوض بمجتمعها، وقدرتها على الاستمرار والبقاء، لأن البحث العلمي يفتّح لها مجالات لا حدود لها من القوة ومن صحة السير، ومن سلامة الأساليب ودقتها بقدر ما تهتم به وتكتشف به.

ولذا لجأت بعض الأمم ليس فقط إلى البحث العلمي مجردا عمن يقوم به وهو الباحث، بل أصبحت الشركات تتهافت على المخترعين والمبدعين، وتهيئ لهم المجال وتبذل لهم البذل العالي ليصلوا إلى الحلول والمبتكرات الجديدة التي تفتح لتلك الشركات أبوابا من الاستثمار عالي القيمة، ولأن نتائج هذه العقول تتحول إلى عمل إلى سلعة تباع وتشترى، وبالتالي تهتم الشركات بهذا الجانب اهتماما كبيرا، وتسعى لتحصيله، وتتنافس الشركات العالمية فيه تنافسا كبيرا، **هذا من الناحية المعاشية أو المادية.**

وكذلك من الناحية الأخروية فمن المهم الاهتمام بالتوجيهات الدينية والفهم السليم لها، والحرص على الاستجابة لكل نازلة جديدة، والسعي للتوصل إلى حكم الله عز وجل فيه، لتسديد الحياة فيها وتوجيهها وضبطها ضبطا يتوافق مع مرضاة الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يتحقق هذا الفهم الرشيد إلا ببذل المزيد والعناية بالبحوث واستثمارها استثمارا جيدا في هذا المجال.

كذلك إذا لا حظنا في **المجال الإنساني**، فكما أن البحث مهم في المجال التطبيقي والمجال المعاشي،كذلك في مجال حماية الإنسان وتوجيهه وضبط سلوكه، وهذا ما تقوم به العلوم الإنسانية كعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة والإدارة ونحوها، هذه العلوم مهمة بقدر ما تكون الأمور خاضعة لمعايير العلم وللدراسة والبحث المتقدم والدقيق والصارم والمنهجي، بقدر ما تكون ثمرتها عالية الفائدة ونافعة لهذا المجتمع الذي يُعنى بها، ومن هذا الباب يتضح أهمية البحث

العلمي بعامة ومسارعة المجتمعات الناهضة في قديم الزمان وحاضره للعناية بالبحث العلمي ورصد الكثير من المبالغ من أجله، والعناية بالمبدعين والمتفوقين، وتوظيف أفكارهم التوظيف السليم المنظم المبرمج.

ميادين البحث:

ميادينه متنوعة، ويمكن النظر إليه من ناحية مادة البحث باعتباره لا يعدو عدة أمور:

إما **اختراع معدوم**، أي اكتشاف جديد لم يكن موجودا في حياة البشر، فسمي اختراع ويحصل له براءة اختراع، فتخرج نتائجه في ناحية عملية مفيدة للحياة، **فاختراع معدوم** أي اكتشاف ما لم يكن عُمِل وأُنْتِج.

أو جمع متفرق قد يسعى الباحث لكتابة بحث عن موضوع معين، هذا الموضوع اعتنى به العلماء لكن ضمن موضوعاتهم بشكل متفرق وليس بشكل متجمع في كتاب واحد يحويه أو بحث واحد يحويه، مثلاً موضوع صلاة المسافر، تأتي في كتب الفقه، وقد يتصل بها بأحكام أخرى، لكن كون الإنسان يخصص لها كتابا معينا فيجمع ما قاله العلماء في المذاهب المختلفة ويحقق الأدلة ويتكلم فيها ويناقشها ويرجح ويصل إلى موسوعة أو إلى كتاب بحث متكامل في هذا الجانب.

أو ترتيب مختلط فقد يكون الشيء موجودا ولكن بطريقة غير مرتبة وغير منظمة، فيعيد ترتيبه ونسقه بطريقة تيّسر الوصول إليه، منها بعض الكتب أشبه بكتب فهرسة لكتب أخرى، مثلاً كتب الأطراف في الحديث فهرست مجموعة من الكتب في كتاب واحد يوصل إلى ما في هذه النصوص، مثل كتاب كنز العمال، جمع من كتب متعددة هذا الكتاب، وحكم على الأحاديث الموجودة فيه، فهو موسوعة في علم الحديث رتبه ترتيبا معينا، وأيضا المسانيد رتبت الأحاديث حسب الأصحاب أو حسب الرواة، أو بحسب الموضوعات.

أو تعيين مبهم قد يبحث باحث لاكتشاف أو تحقيق الواقعة التاريخية التي فيها نوع من الإبهام، أو التحقيق عن شخصية معينة فيها نوع من الإبهام، أو حدث معين أو غير ذلك.

أو تبين خطأ قد يكون هناك خطأ اشتهر عند الناس فيأتي الباحث ليحقق ما مدى صحة هذه المعلومة، فافترض أنها خاطئة وابتدأ بالبحث والتدقيق والنظر حتى وصل إلى تصحيح الخطأ.

والبعض قد يرى أن هذه هي أصول أو أنواع البحث باعتبار موضوعه الذي يعنى به الباحث وإن تعددت وتنوعت البحوث، بحيث يمكن لهذا التنوع المتعدد أن يعيده إلى هذه الأنواع المحددة، هكذا ننظر للبحث من ناحية موضوعه.

فقد ننظر للبحث من ناحية أخرى غير الموضوع، كأن ننظر للبحث من زاوية المنهج، أو من زاوية الاختصاص، نقول بحث تاريخي، بحث جغرافي، وقد ننظر إليه من ناحية المرحلة التي كتب فيها فنقول بحث دكتوراة، بحث ماجستير، بحث مكمل، فقد ينظر إلى البحوث من عدة زوايا وبالتالي يتضح معناها من الوجه التي قسمناه منه، فلا يمكن أن نقول أنواع البحوث هي هذه الأنواع التي ذكرناها باعتبار الموضوع إلا إذا قيدناها باعتبار الموضوع، ولكن لو قلنا أنواع البحوث فلابد أن ننظر إلى البحوث من اعتبارات متعددة، من ناحية الاختصاص، ومن ناحية الموضوع، ومن ناحية الزمن، ومن ناحية المرحلة التي كتب من أجلها، وهكذا نرى وجوها متعددة يمكن أن نقسم على أساسها البحوث.

تعريف البحث: لا يوجد تعريف واحد للبحث، لأن هناك اختلاف في مجالات البحوث، وكل مجال من المجالات نرى اختلاف في مناهجه، فمثلاً ما يطبق من مناهج في العلوم الإنسانية تختلف فيما يطبق في العلوم الشرعية واللغوية، وما يطبق في العلوم البحتة يختلف في العلوم الاجتماعية، وما يطبق في مجال الفلك والرياضيات تختلف عنها في المناهج الأخرى، وبالتالي الباحثون قد يختلفون في تعريف البحث على أنحاء متعددة ومتنوعة.

فمثلاً مما عرف البحث أنه: **العمل الذي يتم انجازه لحل مشكلة قائمة ذات حقيقة مادية**، هنا نُظِر إلى المشكلة ونوع المشكلة، وهنا نخرج الحقيقة الغيبية، فهذا التعريف لا يصدق على كل البحوث، أيضا العمل الذي يتم إنجازه لحل مشكلة، فالمشكلة ذات الحقيقة المادية ليست محصورة في المجال المعرفي، فقد يعمل إنسان على حل مشكلة قائمة مادية في مجال عمله، فمثلاً: اختلاف بين الموظفين، فهو يعمل على حل هذه المشكلة التي لها حقيقة مادية، فهذا يصدق على البحث وغيره فلا يكون تعريفا دقيقا.

تعريف آخر: **هو الفحص والتقصي المنظم لمادة موضوع ما من أجل إضافة المعلومات الناتجة إلى المعرفة الإنسانية والمعرفة الشخصية**، لو أردنا أن ننتقد هذا، نقول الفحص والتقصي قد يكون نظريا، أنا أريد أن أبحث عن حل لهذه المشكلة لكني لا أبحثها بحثا عمليا أكتبها وأنفذها، وإنما أنا أنظر وأدرس الكثير من المصادر وأنظر فيها نظرا مدققا للوصول إلى المعرفة، وقد أصل إليها في رأسي وأحفظها، ولكن ليس من الضروري أن أكون عملت وأنجزت بحثاً معيناً، فنجد هنا نوعا من النقص، بمعنى أنه يشمل وقد يدخل فيه البحث وغيره.

تعريف آخر: **محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتنميتها وفهمها وتحقيقها بتقصٍ دقيق ونقد عميق، ثم عرضها عرضا متكاملا بذكاء وإدراك**، ما قلته في ذاك أقوله في هذا، فنلاحظ أن هناك جانب معين يفتقده هذا التعريف، فمحاولة اكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتنميتها وفهمها قد يكون نظريا، وقد يكون عن طريق الأستاذ الذي يؤدي المحاضرة، وهذا بحث جزئي وليس بحثا تعورف عليه علمياً.

فإذاً لابد أن نضيف في التعريف ما يقودنا إلى تخصيص البحث الذي هو عمل علمي معين منجز وفق أصول فنية، فلذلك نقول: ما البحث؟ ما عناصره؟.

عناصر البحث: لدينا **باحث، وبحث، ومنهج، ومادة، وهدف**، فلا بد أن تتوفر في تعريفنا للبحث أركان البحث حتى يعطينا تعريفا دقيقا.

فمثلاً نقول: **عمل علمي ينجزه فرد أو مؤسسة في موضوع علمي ما وفق الأصول المنهجية، لإضافة معرفة، أو لحل مشكلة أو علاجها علاجا شموليا متسقا متكاملا وإخراجه إخراجا متسقا متكاملا ومترابطا**، فهنا حاولنا بقدر ما أن ندرج هذه الأركان التي يقوم عليها البحث، فأدخلنا **الباحث** فقلنا فرد أو مؤسسة، وأدخلنا **البحث** فقلنا هو عمل علمي، وأي عمل غير علمي أخرجناه، في اختصاص ما هو **المادة المعينة وفق الأصول المنهجية** المتعارف عليها في البحث العلمي، لتحقيق غاية معينة هو **إخراج العمل بشكل مترابط ومتسق**، ويبقى كل تعريف يقدم سيكون فيه ثغرات إذا أخضع للتحليل والنظر.

أنواع البحوث:

١.**من ناحية الموضوع** قد يكون الموضوع متعلقا بالدين، وقد يكون بحث في الأمور الدنيوية، وهذا لا يعني أن الأمور الدينية لا تتطرق للأمور الدنيوية، إنما عندما نقول بحث في الدين يعني ينطلق من الدين لعلاج ما يقع في الحياة الاجتماعية، مثلاً الواقع الاجتماعي تقع واقعة الربا، البحث الديني سيبحث واقعة الربا ليبحث عن حكم الله فيها، فإذاً البحث الديني يبحث في أحكام الله في الوقائع البشرية، والبحث الدنيوي يبحث في الوقائع ذاتها، فيبحث كيف تظهر في المجتمع البشري؟ وما أسبابها؟ لماذا تظهر؟ ما الكامن منها؟ هل المرد إلى العلاقات؟ أم إلى جبلة الإنسان وأطماعه؟ فإذاً هو يبحث في هذه الظاهرة ذاتها وأسبابها كواقعة بشرية معاشة، هذا البحث الدنيوي، البحث الديني سيبحث في حكم الله، ولا يعني هذا فصل الدين عن الحياة، وإنما الدين هو الموجه وهو المهيمن على الحياة، لذلك نبحث فيه عن أحكام الله في هذه الوقائع

الاجتماعية.

فعندما نقول ما هو البحث الديني؟ نضيف بعداً جديد **عمل علمي ينجزه فرد أو مؤسسة في موضوع علمي ما وفق الأصول المنهجية، لإضافة معرفة، أو لحل مشكلة أو علاجها علاجا شموليا متسقا متكاملا وإخراجه إخراجا متسقا متكاملا ومترابطا انطلاقا من كتاب الله وسنة نبيه والأصول العلمية الشرعية التي وضعها العلماء.**

لأن البحث في المجال الشرعي يخضع **أولا للنص، يحكمه سواء كتاب أو سنة.**

ثانيا القواعد التي قعدها العلماء وأصلوها أخذا من كتاب الله أو من سنة رسوله أو من فهم سلف الأمة الذين فهموا كتاب الله وسنة رسوله وأشاروا إلى القواعد التي يجب أن يراعيها الباحثون، كما اهتموا بالمقاصد وساروا وفقها في فتواهم مثلاً، أو في قواعد الشريعة التي استنبطوها من كتاب الله ومن سنة نبيه، وإن كان عملهم بها في بدايتها كانت القاعدة تكون مع الفتوى، وربما تستنبط من طريقته في الإفتاء وطريقته في النظر و طريقته في الكلام، وهؤلاء السلف التابعون تعلموها من الصحابة رضوان الله عليهم، والصحابة أخذوها من الرسول صلى الله عليه وسلم، فأصلها وإن كانت قعدت وبذل فيها الجهد العلمي، فأصلها من الوحي ومأخوذة منه لأنها تعبر منطق الشريعة، والشريعة ليست مجالا أن يدخلها الهوى في فهمها أو العبث بها، وهذه القواعد تضبط طريقة التفكير في النص الشرعي، فلا يتدخل فيها الأهواء، وإذا أراد إنسان ما أن يفهم النص الشرعي بهواه الفردي يُكتشف ويُسقط ويُرد عليه العلماء، لأن الشريعة محمية بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبوجود النص، ثم إن الله حفظه لنا وقد تكفل بحفظه، وكان بقاءه في الأمة، وبالتالي هذه القواعد هي أيضا سبل أساسية للمحافظة على معنى النص،وكذلك هيأ هؤلاء العلماء لحفظ معاني النص من التحريف والتأويل الفاسد، مما قد يحدث خللا في الدين.

فالله حمى هذا الدين بفضله وكرمه **لفظا ومعنى،** وهيأ من يعتني بنصوصه ويحفظها ويوثقها وهيأ من يعتني بمعانيه فيستخرج من كتاب الله وسنة رسوله القواعد التي تشكل منطقا أساسيا لا يمكن أن تفهم الشريعة إلا من خلاله، ولا مجال للحرية المطلقة لفهمها على هوى الإنسان، بل رده إلى هذه النصوص، فالمقصود أن البحث الشرعي يلتزم أصول منهجية بحثية فنية ويلتزم أصولا شرعية علمية فنية مقننة وموضوعة، وهنا فرقنا بين الشرعي والدنيوي، لأن الدنيوي ينطلق من المجال الواقعي ويدرس ويحلل وينظر إليه بغض النظر عن حكم الشريعة في هذا الأمر، فالبحث الشرعي يجمع الأمرين معا، في حين أن البحث العادي أو الدنيوي يبحث في الواقع نفسه ويحاول الوصول إلى قانونه من خلال وصفه وتحليله واستقرائه، فهذا ممدوح لأنه يسدد المعرفة بواقع الناس وبحياتهم وبالكون ونحوه، وبالتالي أفلح الغربيون كثيرا في مقاربة حقيقة الأشياء وحقيقة الكون بقدر تدقيقهم وحرصهم في هذه الأمور، وبالتالي استطاعوا الاستفادة مما سخره الله في أنحاء الكون بقدر إخضاعهم لهذه الأمور ودراستهم لها وفق المناهج العلمية الصارمة، فمثلاً عندما يكتشف العلم الطبيعي ظاهرة معينة نحتاج إلى أن نحكم في كيف نستخدمها، لأن استخدامها قد يتدخل فيه الهوى فيضر البشر، مثلاً السلاح النووي موجود في الكون، فلابد من بيان حكم الله فيها، فإن كان توجيهها نحو ما ينفع البشر فدائما الدين يوجه نحو ما ينفع البشر وينهي عما يضر بالبشر، وهذه قاعدة أساسية، ويقلل المفاسد ويكثر المصالح، ولذلك نرى أن الغربيون لما يكتشفوا مثل ذلك فهم يوجهونها في نطاق الهوى في نطاق المصالح الخاصة، وبالتالي يضرون بأنفسهم ويضرون بالبشرية، ونعلم مقدار الرعب التي تعيشها البشرية من هذه الطاقة النووية.

الحلقة (٩)

تعريف منهج البحث:

المنهج في اللغة: هو الطريق البين، قال تعالى: {لِكُلٍ جَعَلْنَا مِنْكُم شِرْعَةً ومِنْهَاجاً}.

المنهج في الاصطلاح: هو الطريق المؤدي للكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة القواعد العامة التي تضبط سير العقل حتى يصل إلى نتائج معلومة.

وسمي العلم الباحث لهذه الطريقة أو موضوعه هذه الطرق بمناهج البحث، لأنه لم يكن منهجا واحدا، وإنما عدة مناهج، لأن لكل علم ما يلائمه، هناك عناصر مشتركة يستخدمها جميع الباحثون، ولكن هناك مناهج متنوعة ومتعددة تتناسب مع التخصصات، فالباحث في العلوم الإسلامية يطبق مناهج تتناسب مع العلوم المعيارية، والباحث في العلوم الإنسانية يطبق مناهج تتناسب معها، لأنها دراسة لواقع إنساني وليس لشيء معياري، شيئا واقعيا سواء كان معاشا أو كان ماضيا كدراسة التاريخ، وهناك علوم تستخدم مناهج تتناسب معها مثل المنهج التجريبي، وبعض العلوم تستعمل المنهج الرياضي، وهذا هو التعريف العام للمناهج، والمادة أو المقرر الذي موضوعه هذا الفن يسمى مناهج البحث، لأنه يدرس هذه الطرق ويبينها للباحثين كي تأتي أبحاثهم وفق الطرق العلمية، وتكون نتائجها محصنة بإذن الله قدر الإمكان من الوقوع في الهوى أو الخطأ أو في الضلال.

مهمة المنهج: هو إيضاح الطريق والسبيل، أو هو الطريق الذي ينبغي أن يسلك للوصول إلى الحقيقة أو النتيجة.

كيف نعرف الباحث؟ سنعرف الباحث بصفاته، فينبغي عليه أن يتصف بصفات معينة حتى يصدق عليه وصف باحث، هذه الصفات بعضها صفات أخلاقية، وبعضها مهارية يمكن أن يكتسبها الإنسان.

فمن هذه الأخلاق الأساسية:

الشرط الأول: **الإخلاص**، أن يكون في بحثه مخلصا صادق النية في الوصول إلى الحقيقة العلمية، ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الباحثين أنه تكون نتيجة بحثه موجودة في رأسه قبل أن يبحث، ويكون البحث بمثابة جمع أدلة لإثبات هذه القضية التي في رأسه، وهذا مخالف لقواعد البحث، فالبحث يقتضي أن هذه القضية التي لدى الباحث هي بمثابة فرض قابل للإثبات والنفي، ويطرحها على أنها إشكال أو سؤال يحتاج إلى إجابة، ويكون مخلصا في الوصول إلى الإجابة الصحيحة التي تقتضيها الأدلة، سواء وافقت هواه أو لم توافق مراده، فهذا هو المراد بالإخلاص عند الباحث، أن يكون عند ابتدائه للبحث قد جعل موضوع البحث بمثابة سؤال قابل للإثبات أو قابل للنفي ومحل تساؤل، فإن كان الباحث دخل البحث وهو يريد أن يثبت ما في رأسه فهذا لا يعتبر بحثا علميا، وإنما يعتبر إديولوجيا، وإنما أراد أن يفرض على الحقيقة العلمية ما يراه هو مسبقا، وقد حكم له قبل أن يبحث في أدلته، وكان دوره هو البحث عن ما يثبت هذا الموضوع، وبالتالي سيكون متجاهلا ومتغافلا لكل دليل يمكن أن يناقض رأيه أو يمكن أن يقدح في رأيه، فسيكون انتقائيا في البحث، ينتقي ما يلائمه ويعترض عما لا يريده، وهذا من أسوأ أنواع البحوث، لأن فيه خيانة للحقيقة العلمية، إذاً لابد بادئ ذي بدء أن لا يدخل على البحث بحكم، إنما يكون داخلا على أساس التساؤل والفرض، ومخلصا في الوصول للحقيقة العلمية، وهو أول شرط من الشروط **وهو شرط نفسي**.

الشرط الثاني: **أن يكون له الرغبة في هذا البحث وميول له وحب له**، لأنه إن لم يكن محبا لبحثه فلن يستطيع أن يبحثه بحثا جيدا، يتصور نفسه الإنسان أنه مجبر على الجلوس مع من يكره، فسيكون البحث عليه ثقيلا، ولن يسير فيه كما

ينبغي، بعكس من جاء راغبا ومحبا وشغوفا سيقضي معه ساعات، وسيعيش معه معاناة محب لمحبوبه، وبالتالي سيخرج بالنتائج القوية والمرتجية بإذن الله، **وهذا شرط نفسي**، ولهذا يجب أن يحذر الباحثون من الاستسلام لأخذ أي بحث لمجرد البحث، لكي ينهي دون أن يكون له رغبة فيه أو إقبالا عليه، فذلك سيؤدي به إلى أضرار أكبر مما يتوقع من فوات الوقت أونحوه.

الشرط الثالث: **الصبر**، فالبحث ولو كان محبوبا سيحتاج إلى معاناة، لأنه يتطلب تحليلا واستقصاءا ونظرا وتحريرا، فلذلك قد يلجأ صاحبه للسفر حسب البحث، وقد يحتاج إلى بذل بعض ماله، وبذل وقته في أول شيء، فهذه الأمور يحتاج إليها الباحث فيجب أن يهيأ نفسه لها، فما لم يكن صبورا فلن يصل إلى نتيجة جيدة، وسيضطر إلى الإنجاز بأي صورة كانت، والاستعجال أسوأ الأمور وقعا على البحث، لأن من صفات البحث الجيد أن يكون فيه استقصاء وتحليل ونظر وترجيح وشمول في مسح المراجع ومناقشة المادة العلمية، وهذه تتطلب صبرا كبيرا، والصابر له أجره بغير حساب، فالصبر أساس في كل عمل سواء دنيويا أو أخرويا، فمن لم يتحلى بالصبر لم يستطع أن يصل إلى هدفه ومبتغاه، أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته***ومدمن القرع للأبواب أن يلجا.

الشرط الرابع: **القدرة على التحقيق** وهذه ترجع إلى المهارات (تؤجل).

الشرط الخامس: **الأمانة العلمية**، فبعضهم لا يهتم بتوثيق بحوثه، بل ظهرت في هذه الفترة أخذ البحوث كاملة من باحثين سابقين ووضع الاسم عليها، وهذا من أسوأ ما ظهر في هذا العصر وهو سرقة البحوث العلمية، ومنها اللجوء للآخرين لكتابة البحوث وهذه صفة منافية للأمانة العلمية.

الشرط السادس: **التواضع**، فبعض الباحثين لديه نوع من الاستكبار، هو قد لا يكون من الباحثين الكبار بل باحث صغير ومع هذا تجده يتكلم عن نفسه بنون الجمع، فيقول في بحثنا هذا لجأنا إلى كذا وعملنا كذا، بمعنى يضخم نفسه وذاته بشكل كبير منافي للتواضع، ولابد أن يقول فيما يبدو لي، أو على ما أذكر.....إلخ الألفاظ التي توحي بالتواضع وليس بالتكبر لأن من صفات المسلم التواضع بصفة عامة، والمتكبر مذموم عند الله ولا ينظر إليهم (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر).

الشاهد: أن التواضع سمة المسلم بشكل عام، وهو أساس في البحوث العلمية ويكون الإنسان على مستوى عال من التواضع والأدب، فالعلم بحر لا ساحل له، فلا يمكن للإنسان أن يقول أنه أحاط بالعلم وأحصى مسائله وأنه وصل إلى ما لم يصل إليه أحد قبله، فقد يكون هناك من سبب ولكنه لم يعرف، والأصل أن سمة الإنسان التواضع والأدب، سواء مع المخلوق أو مع الخالق.

الشرط السابع: **الجرأة** وليس المقصود بالجرأة المذمومة التي يتقدم فيها بين يدي الله ورسوله، أو بين يدي ما قرره العلماء بتدقيق وتحقيق دون أن يكون عنده ما ينقضه، والمقصود بالجرأة: أنه إذا توصل إلى الحق أو إلى ما يبدو له أنه الحق في المسألة لا يكتم ما توصل إليه، وإنما يبينه في غاية الأدب وبما ظهر له بحسب جهده، والحديث عن الحقائق العلمية دون الاستناد إلى المناهج أو دون بصيرة بالأدلة، فتلك جرأة مذمومة، وصاحبها مذموم عند الله وظالم لنفسه لإيراد الخلق موارد الهلاك، ولكن المقصود بالجرأة الجرأة بالحق وللحق بأن يبحث المسائل وفق الأدلة الشرعية والقواعد المرعية، وظهر له بعد المناقشة والمراجعة والاستدلال ظهر له أن الحق كذا فيكون عنده من الجرأة أن الحق كذا ولا يكتمه، هذا هو المقصود بالجرأة وليس الاجتراء.

الشرط الثامن: **التجرد أو الموضوعية**، فتسمى عند الغربيون الموضوعية وعندنا التجرد، وهي لا تنافي الإخلاص وهذا له مسار والإخلاص له مسار، فعند بداية البحث وأثناء سيره يكون مخلصا في الوصول إلى الحق، أما التجرد فهو العمل المباشر، بمعنى أنه حينما يناقش الأدلة الموضوعية وحينما يحشد الآراء وحينما يوجهها وحينما يبحث عن الأدلة يكون موضوعيا في ذلك أو متجردا في ذلك، أي إذا اتضح له دليل في ذلك حتى وإن كان بخلاف ما يذهب إليه يثبت هذا الدليل، ويتجنب الانتقائية في بحثه، فيورد جميع الأدلة التي للخصم والأدلة التي له، ويناقشها بموضوعية وحيادية تامة، لا يدخل هواه ورغباته في هذا الأمر، وإنما يبحث فيه بحثا متجردا يصور المسائل ويورد الأدلة كما هي، ويناقشها دليلاً دليلاً بكل وضوح وبكل حيادية، حتى يصل إلى تلك الحقيقة التي تعطيها تلك الأدلة، وليس يعطيها ما في ضميره أو ما يرغبه هو، فكأن التجرد هو الشق الآخر للإخلاص، فالإخلاص شق قلبي وصدق مع الله في البحث أو عقد العزم على البحث عن الحقيقة المطلقة دون تحيز، وطرح بداية البحث على أساس أنه سؤال أو استشكال ويحتاج إلى إجابة، التجرد هو عند ممارسة البحث العملية وليس في القلب، عند الممارسة يكون متجردا من الهوى، يعمل بحيادية ودقة كمن معه المسطرة والقلم لا يحيد عن السطر فيكون صارما في تجرده أو فيما يسميه الآخرون الموضوعية، لأنهم يقولون إنك تستقي أدلتك وشواهدك وتحليلك من هذا الموضوع الذي أمامك فلا تتدخل ذاتك في الموضوع.

إشكالات حول الذاتية والموضوعية، أنه يصعب على الإنسان أن يتجرد تجردا كاملا، ولكن يحاول إلى أن يصل إلى مستوى معين من التجرد فيدفع هواه ما أمكن ويستحضر الحق ما أمكن.

الشرط التاسع: **سعة اطلاع ومعرفة لمصادر المعلومات**، لأن البحث يستند إلى هذه المصادر التي يستقي منها شواهده وأدلته وما يتصل ببحثه من جميع الجوانب، فهذه المصادر إن لم يكن عالما بها وواسع الاطلاع عليها فكيف يستفيد منها؟ مثلاً يعرف التعامل مع كتب المصطلحات بفنه، يعرف مصادر الفقه الإسلامي ومدارسها ومشايخها، يعرف مصادر أصول الفقه، ويعرف أدلة الأحكام من القرآن الكريم وأدلة السنة، ويعرف كيف يتعامل مع كتب التفسير فيما يتعلق بآيات الأحكام، فعدم وجود السعة في الاطلاع والمعرفة للمصادر فسيعود هذا الأمر بالنقص على بحثه، فيلاحظ الضعف في بحثه بحسب ضعف علمه.

الشرط العاشر: **امتلاك مهارات البحث** وهي متنوعة، فهناك مهارات عقلية، ومهارات عملية، ومهارات تُحتاج في تصميم بعض الأعمال التي يتطلبها جمع البحث العلمي، مثلاً من لا يحسن تصميم الاستمارة وكيف يبحث في علم وفي بحث يقوم على الاستمارة وتحليلها والخروج بالنتائج، فإذاً المهارات متنوعة ومتعددة، وبعضها مما يكتسب اكتسابا، وبعضها موجودة يطور تطويرا، هذه المهارات منها القدرة على النقد والتحليل والمقارنة، والقدرة على الاستنباط، والقدرة على الاستقراء ونحو ذلك.

الحلقة (١٠)

نستكمل موضوع المهارات، فامتلاك المهارة المراد بها المهارات المتنوعة، منها مهارات عملية ومنها مهارات ذهنية، من المهارات الذهنية القدرة على التحليل، والقدرة على الوصف، والقدرة على المقارنة، القدرة على النقد والقدرة على الاستنباط، هذه قدرات مهمة، فلابد أن يكون الباحث لديه تمرس بها، فالإنسان موهوب على الوعي بالتحليل والوعي بالتركيب، وكذلك مسألة الاستنباط والمقارنة، هذه أشياء في أصولها فطرية، ويعني ما منا إلا ومن يقارن، وليست في حد ذاتها صعبة لكن الدقة في المقارنة وسلوك الأصول الصحيحة العلمية في المقارنة، كذلك التحليل في أصله كل إنسان يستطيع التحليل،

ولكن أيضاً تبقى القضية **ما مدى دقة التحليل؟ وما مدى سيره وفق القواعد العلمية؟** كذلك الوصف والاستنباط ونحوها، كلها قواعد عقلية فطرية أساسية عند الناس لكنهم:

أولاً: يتفاوتون فيها فطرةً من حيث القوة والضعف في ملاحظة هذه الأمور وفي استخدامها.

ثانيا: أنها تنمو بالتدريب والعمل والممارسة وتكون أكثر دقة.

ثالثاً: أن الإنسان لابد أن يسلك في هذه العمليات العقلية المسلك العلمي الصحيح، فيعرف **كيف يحلل الموضوع؟ أو كيف يرده إلى عناصره الأساسية وجزئياته، متدرجاً من العناصر الكبرى إلى العناصر الأصغر إلى العناصر الأدق، حتى يصل إلى أدقها، ثم يعود بالتركيب دون أن يهمل أي عنصر من هذه العناصر، فيكون تركيبه صحيحاً بحيث يكتشف القانون هذا التركيب،** كذلك في العمليات الأخرى كالاستقراء من استقراء تام ومن استقراء ناقص، لكن حتى الاستقراء الناقص لا الاستقراء الذي يمكن أن يحقق ثقة نطمئن إليها أو نستند إليها، وما الاستقراء الناقص ولكنه لا يعتبر استقراءاً حقيقيا أو حاكما، بمعنى لو عندنا أفراد موضوع تصل ألف، لو قام باستقراء مثلاً سبعمائة إلى ثمانمائة منها ثم وجدها أن نتائجها متطابقة، فخرج بقانون أن الأشياء إذا تجمعت بهذا الشكل خرجت النتيجة كذا، فهنا استقراء ناقص لكنه استقراء الأعم الأغلب، في حين واحد نظر إلى فرد أو فردين من أفراد هذا الشيء وأعطى قانونا لها، هذا الاستقراء غير صحيح وغير علمي.

كذلك المقارنة، لما يقارن الإنسان من وجه واحد ويغفل بقية الأوجه، هنا ليست مقارنة علمية صحيحة، لأنها نظرت من وجه واحد فقط، والموضوع له أوجه متعددة ولكي تقارن بينهم مقارنة صحيحة لابد أن تستغرق هذه الأوجه، فهنا هذه مهارة أخرى وكيف تفعل المهارات الفطرية الجبلية عند الناس؟ وكيف تطور وفق القواعد العلمية؟ فمن يمتلك المهارة بمعنى لديه التدريب على هذه العمليات العقلية يستطيع أن يستعملها في البحث بمهارة؛ وبالتالي ستنعكس على بحثه بقوة ومستوى علمي عالي.

كذلك المهارات الأخرى التي تتصل بالجانب العملي كالمعرفة بقواعد كتابة البحث سواء قواعد العرض والأسلوب أو قواعد الشكل والنواحي الفنية، فإذا كان لديه المهارة بهذا الشكل خرج بحثه مكتملا فنيا وأسلوبيا ومنهجيا ومعرفيا، وإذا كان لديه مهارة التعامل مع مصادر، كيف يتعامل مع المصادر؟ كيف يقرأ كتب التراث؟ لأن كتب التراث تحتاج إلى تعرف إلى أساليبها ومصطلحاتها ومناهجها حتى يستطيع الإنسان الوصول إلى مقاصدها بطريقة علمية صحيحة.

الكل يقرأ لكن من الذي يستطيع الاستيعاب أو الوعي بالمعاني واستخلاصها واستثمارها، الكل يقرأ كتاب، لكن لو يقرأ الكتاب إنسان غير متخصص لن يكون كقراءة الإنسان المتخصص العارف بقواعد العلم وبمصطلحاته وبمصطلحات أهله، فهذا القارئ يختلف عن ذاك القارئ، فلابد أن يكون لدى الإنسان المهارات العلمية، فهناك مهارات كما قلت ذهنية، وهناك مهارات منهجية، وهناك مهارات عملية، وهناك مهارات علمية، فالمهارات متعددة ومتنوعة لا نستطيع حصرها هنا، لكن حسبي أن أشير إلى بعض منها، وهي ما ذكرته من أمثلة على هذه المهارات، كأمثلة على الذهنية: النقد والتحليل والاستقراء والاستنباط والمقارنة والوصف ونحو ذلك، المهارة فيما يتعلق بجمع المادة العلمية، مهارة التعامل مع المصادر والتعرف على تقنيات البحث، مهارة القدرة على قراءة كتب التراث والتعامل معها، مهارة تصميم الاستبيان والتحليل الإحصائي، ونحو ذلك، فهناك إذاً مهارات متنوعة ويُحتاج إليها بحسب اختلاف البحوث، هذه بشكل عام صفات الباحث العلمي.

وينبغي أن لا يقول هذه صفات تحتاج إلى وقت لكي تتوفر في الشخصية، فنقول: لا، حينما يكون الإنسان عازما وجاداً

ومريداً بجزم على نفسه ممارسة هذه الأشياء ويتدرب عليها فإنه يصل بإذن الله إلى إحكامها.

المهم توفر الشرطان معاً **الإرادة والصبر والممارسة**، الممارسة مع الصبر، والإرادة، فكلما كان الإنسان صاحب إرادة قوية وعزم وتصميم، وكلما كان جاداً في ممارسة ما يريد تعلمه، والصبر على هذا التعلم، واستمرار التطبيق لما يتعلمه حتى يصبح مثل العوائد عنده، بهذا الشكل يكتسب هذه المهارات وتترسخ فيه هذه الصفات ويغدوا باحثا من الباحثين في عداد الباحثين، وقد يشار إليه في مجال البحث بالبنان، هنا ننتقل إلى الموضوع، نحن قلنا عندنا بحث وباحث ومادة ومنهج وهدف.

ننتقل إلى البحث الموضوع الذي سيختاره الباحث، كنا عرفنا البحث، والآن نريد أن ندخل إلى الجانب العملي في مسألة البحث، وهو كيف نختار البحث؟ الآن باحث معين طلب منه أن يعد رسالة ماجستير في فن من الفنون، أو طلب الأستاذ في المستوى الجامعي من طلابه أن يعدوا بحثا، وقال اقترحوا علينا موضوعات (لم يقترح هو الموضوعات وإنما وكل إليهم الأمر وقال ابحثوا وكل منكم يقترح موضوع معين حتى نكلفه بأن يكتب البحث فيه، وقال الأستاذ نحن لا نريد أن نجبركم على بحث موضوعات لا ترغبونها، فمن أصول البحث أن يكون مرغوبا ومحبوبا، ومن أجل ذلك قال الأستاذ لطلابه اذهبوا بأنفسكم وليختر كل واحد منكم موضوعه ثم ليأتي به، فهنا الطلاب يحتاجون إلى موجّهات حتى يعرفوا كيف يختارون، **فما هي الأمور التي لابد أن يستحضرها الباحث عند اختيار الموضوع؟**

أولاً: لابد أن البحث في التخصص العلمي للباحث هذا الشرط الأول، إنسان مثلاً متخصص في الفقه لا يذهب ويبحث في العقيدة، إنسان متخصص في العقيدة لا يبحث في أصول الفقه، وهكذا، فالأصل أن موضوع البحث يكون في مجال تخصص الباحث حتى يمهر فيه ويبدع فيه.

الثاني: - وله صلة بالباحث- أن يكون قادراً على بحث الموضوع لكن قبل أن نقول هذا نأتي للموضوع نفسه فنقول: أن يكون الموضوع مهماً وجديراً بالبحث، فالموضوعات كثيرة، لكن من الموضوعات ما يمس حياة الناس ويستفيدون منه فائدة عظيمة، فلذلك كلما كان الموضوع مهما كان جديراً بالبحث، فلذا من أساسيات الاختيار أهمية الموضوع، ولذا ينص عليه في المشروع، لما يتقدم الإنسان بمشروع بحثه الذي يطلب تسجيله يُطلب منه أن يبين أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف الباحث، لماذا اخترت هذا الموضوع؟ هل هو مهم؟ نعم قال مهم، نقول إذن ائتنا بما يبرر كلامك، ائتنا ببيان أهمية هذا البحث، والأسباب التي تدعو إلى بحثه، وأهدافك من بحثك، فهنا أهمية الموضوع شرط من شروط الاختيار لابد أن يستحضرها الباحث الذي يريد أن يبحث عن موضوع.

أيضاً: جدة الموضوع، فالموضوع المكرر والموضوع المستهلك بالبحث لا قيمة له، لأنه أعاد ما كان موجوداً فقط دون أدنى تغيير، أو بتغيير طفيف، فهذا لا فائدة من عمله ترجى، وفيه إهدار للوقت وإهدار للجهد، فأولى بالإنسان ألا يبحث إلا بشيء فيه فائدة، ولذا يشترط جدة الموضوع ولا سيما في الرسائل المتقدمة.

المسألة الأخرى: قابلية الموضوع للبحث وبعضهم يسميها وفرة المصادر، لكن وفرة المصادر يرد عليها إشكال، لأن المطلوب أن تكون مصادر البحث في حدود المعقول، فإن كانت كثيرة جدًا أضرّت بالموضوع، لأن الباحث لن يستطيع ملاحقة هذا الكم الهائل، وبالتالي يعتري بحثه من النقص بقدر عجزه عن متابعة هذه المصادر، وإن كانت المصادر شحيحة فتضر بالبحث، ليس لدى الباحث المادة الكافية لبحثه، ولذلك الاعتدال في توفر المصادر يعني أن تكون مصادره متوفرة بحدود معقولة بدرجة متوسطة.

المسألة الثانية: قابلية الموضوع للبحث، هذه غير وفرة المصادر، يعني أن يكون الموضوع البحث فيه ممكنا، وقد يكون

صعبا ليس في طوق الباحث، وبالتالي سيعجز عنه ويتركه، وقد يكون سهلا جدا بحيث يتطرق الباحث إلى الاستخفاف به ومعاملة بمنطق السهولة، وأفضل البحوث الذي يكون التحدي فيه دافعا للاستجابة المناسبة التي تخرج عملاً علميا جيدا، فهذا من الأمور المطلوبة.

أيضاً من الأمور: أحيانا يتعرض الإنسان لبحث لا يستطيع إنجازه، إما لظروف اجتماعية أو لظروف أخرى، أو لعدم توفر المصادر، فهنا أن يكون الموضوع مما يستطاع بحثه لعلل، إما أن يكون لصعوبة الموضوع، وإما أن يكون من عدم وفرته، ... فلابد أن يراعي الباحث هذه الأمور.

أيضاً من الأمور المهمة: أن يكون لديه رغبة وحب للموضوع، وهذه كما قلنا من صفات الباحث، وكذلك هي صفة مشتركة، لأن لدينا هنا محب ومحبوب، فالمحبوب هو البحث، والمحب هو الباحث، وكما أنها اشترطت الرغبة كصفة في الباحث، هناك الرغبة في البحث وليس في بحث معين، والصفة هناك الرغبة في عملية البحث أن يكون محبا لمسألة البحوث والبحث والقراءة والاطلاع، هنا صفة عامة، أما هاهنا في الموضوع نريد صفة خاصة بمعنى محبة ورغبة هذا الموضوع المعين، فهذا من الأمور المهمة.

فهذه مجموعة من الأمور المهمة لابد أن يستحضرها عند اختيار الموضوع، بعد أن ينتهي من هذه الخطوة ويرى توفر هذه الأمور كلها، ثم تأتي عملية الاختيار كيف تتم عملية الاختيار إذا كانت متوفرة هذه الصفات في الموضوع المبحوث عنه؟ لابد أن يكون هناك محاولة فقد يكون طرأ عليه موضوع معين، فابتدأً هذا الموضوع توفرت فيه في ظاهر الأمر هذه الأشياء، فيحتاج التأكد منها ومن بعضها، يعني مثلاً يعرف الباحث من الوهلة الأولى أن هذا الأمر في تخصصه أو لا، كذلك أهمية الموضوع قد يعرفها من حاجة المجتمع وغيره، وميل الباحث ورغبته من حيث إقباله على هذا الموضوع المطروح، هناك بعض الأمور لابد من استكشافها مثل وفرة المصادر، مثل القدرة على بحث الموضوع، مثل جدة الموضوع، هذه يحتاج الباحث أن يعمل على الحفر عنها وعلى اكتشافها هل هي بالفعل متوفرة؟ فيقبل على الاختيار أو غير متوفرة فينصرف عن الاختيار.

فلا يكفي توفر بعض الصفات الأولية أو بعض صفات شروط الاختيار، لابد وأن تكون متوفرة، وتوفرها جميعها يحتاج من الباحث إلى أن يرجع لبعض الأمور أو أن يمارس بعض الأمور، وهي في نفس الوقت قد تكشف للباحث عن موضوعات أخرى، (القراءات الأولية المعينة على اختيار الموضوع) منها:

١. **الإطلاع على فهارس الكتب والمكتبات** وهي تفيده من ناحيتين من ناحية اكتشاف موضوع جديد للاختيار، ومن ناحية معرفة إن كان الموضوع جديداً أو غير جديد، مكرراً كثيرا أو غير مكرر فهذه من الأمور المهمة.

٢- **المجلات العلمية التي تنشر بحوث علمية مُحَكّمة** مثلاً من المجلات ذات البعد الشرعي مجلة الدراسات الفقهية المعاصرة، مجلة جامعة الإمام، مجلة جامعة أم القرى، مجلة العدل، مجلة البحوث العلمية والإفتاء، مجلات كثيرة، ولو استقصى الإنسان لوجد مجلات كثيرة تختص بالبحوث العلمية الشرعية، هذه المجالات العلمية من فوائدها أنها تفتح أمام الباحثين فرص لاختيار موضوعات لبحوثهم، فقد يكون باحثاً قد كتب عن موضوع بحث محكما عشرين أو ثلاثين أو خمسين صفحة تقل أو تكثر، لكن هذه الكتابة لم تستوفِ جوانب الموضوع، وإنما أعطت إلماحةً عنه أو إلماماً عنه، فيكون أمام الباحث فرصة لكي يستفيد من هذا الموضوع أو يطوره بصفته بحثا متكاملا.

٣- كذلك من الأمور المعينة التي ينبغي على الباحثين: **الاطلاع على الرسائل العلمية التي تناولت هذا الموضوع** فمثلاً يريد

الإنسان أن يسجل في بحث، من المستحسن أن يذهب إلى مراكز البحوث أو إلى مواقع هذه المراكز ويُدخل استمارة فيها اسم البحث الذي يرغب، إذا كان هناك رسائل علمية باسم البحث أو قريبة منه اتضحت له فيطلع عليها، فإن كانت كافية فينصرف إلى غيره من الموضوعات حتى يوفر جهده؛ وإن كانت غير كافية وفيها خلل كبير يمكنه أن يطرح آن ذاك رأيه، أو أن يقدم الموضوع ويعلل سبب التكرار وسبب إعادة البحث بجوانب النص الواضحة في البحث السابق.

٤- **مما يفيد الاطلاع على قوائم دور النشر والاستفادة من مراكز الأبحاث** ففي هذا العصر هناك مراكز متخصصة للأبحاث العلمية أو للدراسات، ولاسيما الدراسات الإسلامية، مثلاً من أكبر المراكز في المملكة العربية السعودية "مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية" هذا المركز يوفر للباحثين خدمات كبيرة جدا في مجال البحوث واستثمارها، يمكن للباحث أن يزور المركز ويطلب استمارة البحث ويسجل بحثه، ثم يطلب من أصحاب المركز من الموظفين يبحثوا له ويعطونه النتائج المتكاملة مطبوعة، وقد يستطيع الإنسان مراسلة المركز إليكترونيا وطلب ما يريده من المركز، فيجيبونه بهذا الشيء عن طريق الاستمارة الإلكترونية، كذلك "مكتبة الملك فهد الوطنية" تؤدي الغرض نفسه، وكذلك "مكتبة الملك عبدالعزيز" أيضا تؤدي نفس القضية، فالمكتبات ولله الحمد متوفرة، والمكتبات في الجامعات مثل جامعة الإمام والملك سعود ونحوها فكلها لديها مكتبات كبرى وخدمات للباحثين على مختلف الأوعية المعرفية، كما قلت كتب أبحاث ومؤتمرات مجلات وصحف ورسائل علمية إلى آخره مما هو موجود في هذه المكتبات من الأوعية العلمية التي يمكن أن تعين الباحثين.

٥- **أيضا سؤال أهل الخبرة واستشارتهم** فمن الأمور التي ينبغي للباحثين أن يعنوا بها أن يستفيدوا ممن سبقهم في هذا المجال ولاسيما في المتخصصين الراسخة أقدامهم في الفن، فهؤلاء في الغالب يكون لديهم موضوعات يودون لو تبحث، ولا يكون لديهم الوقت لبحثها، فلذلك حينما يأتونهم الطلبة يوجهونهم لمثل هذه الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث بحسب خبرات أولئك الأساتذة الكبار، فيستفيد الإنسان حينما يعود إلى المتخصصين ويسألهم عن الفن.

٦- العنصر الذي يمكن من خلاله أيضا الاستفادة؛ **الاستفادة من الحاسب الآلي** سواء عن طريق الشبكات الشبكة العنكبوتية الإنترنت باستخدام محركات البحث والبحث فيها عن الموضوع، أو عن طريق الأقراص المدمجة التي تحوي الكثير من المعارف والعلوم والكتب، هذه الأوعية الإلكترونية مفيدة جدا في التعرف على الموضوعات وفي الاستقصاء حولها، فعن طريق محرك البحث يدخل الإنسان ويضع المعلومة التي يريدها ثم يبحث عنها، فيظهر أمامه أماكن توفرها، ولاسيما في المواقع المتخصصة لذلك، قد لا يحتاج إلى محرك البحث ابتداء، وإنما قد يكون عرف مواقع معينة، مثلاً المختص بالحديث مواقع الحديث، والمختص بالتفسير مواقع التفسير، والفقه كذلك، والأصول كذلك، وأيضا بحكم التكاملية بين العلوم الإسلامية يمكن أن يستفيد صاحب فن واحد من كل الفنون صاحب الفقه يستفيد من الحديث ومن التفسير واللغة ومن الأصول وهكذا، وأيضا الذي في التخصصات الأخرى، لأن العلوم الإسلامية تكاملية يكمل بعضها بعضا، وبينها جانب اتصال وبينها جانب انفصال، فانفصالها للتشخص والتخصص بموضوع معين، واتصالها لما بين موضوعاتها من الاتصال، لأنها متعلقة بالإنسان هذا الكائن المركب الذي وجدت هذه العلوم لتوجيهه لكل جوانب حياته، فكان فيها اتصال وانفصال بحسب الموضوع الموجه، هذا والله أعلم.

الحلقة (١١)

٧- بقي عنصر أخير وهو **الدراسات السابقة** فقد تكون الدراسات السابقة رسائل علمية، وقد تكون كتبا، وقد تكون أبحاثا محكمة، وهي أنواع مختلفة ولكنها تعد دراسات سابقة لأنها تطرقت إلى موضوع الباحث، وتناولته إما أن يكون

تناولها له تناولا شاملا أو تناولا جزئيا في جانب من الموضوع، فهذه الدراسات السابقة يحسن الاطلاع عليها **لماذا ؟** تلافيا للتكرار وللتداخل مع هذه الدراسات، فهذه من العناصر المهمة التي ينبغي للباحث إعطاءها أهمية خاصة عند اختيار الموضوعات.

بعد أن يمسح الباحث هذه الأوعية المتنوعة ويصل إلى قرار بأنه سوف يختار بحثاً في هذا الموضوع سيأتي إلى:

المرحلة الأولى: أن يحرر عنوان بحثه، لابد أن يصيغ عنوان بحثه وأن يراعي فيه عدة أمور:

١- أن يكون هذا العنوان دقيقا في دلالته بحيث لا يقصر على الموضوع ولا يزيد عنه، لا يقصر على الخطة ولا يزيد عليها، ستكون الخطة متوافقة مع العنوان، من قرأ العنوان أدرك بحسه العلمي ما يمكن أن يندرج تحت هذا العنوان وما لا يمكن أن يندرج تحته.

٢- أن يكون مختصراً قدر الإمكان، لكن لا يكون اختصاراً مخلاً ولا تطويلاً مملاً، فبعض العناوين تكون طويلة بشكل عجيب، وبعضها تكون مختصرة فتقصر عن التعبير.

٣- أن يكون العنوان علمياً، لا يكون عنواناً صحفياً يطلب الإثارة أو يكون بطريق سؤال أو نحو ذلك لابد أن يصاغ العنوان صياغة علمية دقيقة.

فهذه شروط ثلاثة: أن يكون علميا: أن يكون محكما، أن يكون موجزا دون إخلال.

فلابد بعد أن يصوغ العنوان ستأتي صياغة الخطة، لأن هذا العنوان للبحث هو الكلية الكبرى الذي ستفتت إلى كليات أصغر، وكل كلية ستتفتت إلى كليات أصغر حتى يستغرق أجزاء البحث على ما سيأتي رسمه في الشكل، سيقسم هذه الكلية إلى أبواب، والأبواب تقسم إلى فصول، والفصول إلى مباحث، والمباحث إلى مطالب، والمطالب إلى مسائل، والمسائل إلى فروع، فهكذا يبدأ من الكلية الكبرى إلى الجزئية الصغرى بشكل مترابط ومتماسك.

إذاً كأن هذا يوحي لنا بأهمية الخطة، لماذا هي مهمة ؟

أولا: أنها تعطي الباحث السيطرة على بحثه، والوعي بحدوده (شمولها لعناصر الموضوع واستيعاب جوانبه بحيث وضحت حدود البحث، فتتضح له حدود الموضوع فلا يخرج يمنة ويسرة، وإنما يسير وفق هذه الخطة جزئية جزئية حتى ينتهي منه، فأول فوائدها أنها تحدد إطار البحث فلا يسير الباحث بطريقة غير صحيحة.

ثانيا: تيسر على الباحث جمع مادته العلمية وضبطها، فهو لن ينساح وهو يبحث في المصادر العلمية، وإنما يكون كمن عرف قصده، كمن ذهب إلى السوق ليشتري شيئا معينا، فهو ذهب إلى هذا المصدر لكي يأخذ مادة معينة تتطابق مع هذه الجزئية أو تلك، فتكون الخطة هي الحاكمة له في أثناء بحثه عن مادته العلمية في المصادر المختلفة، فلا يجمع ما هب ودب وإنما يجمع ما يحتاج إليه في جزئيات بحثه.

ثالثا: منع التكرار والازدواجية سواء التكرار والازدواجية على مستوى المادة العلمية أو التكرار والازدواجية على مستوى البحث نفسه، فإذا وضعت موضوعا معينا تحت جزئية معينة لن تعيده وتكرره تحت جزئية أخرى، ولو فرضنا الباحث ما وضع له خطة فربما وقع في هذا التكرار وفي هذه الازدواجية، يبحث الموضوع ثم يعود ويبحثه مرة أخرى وهكذا.

رابعا: تحقيق التوازن في دراسة الموضوع، الموضوع مكون من أبواب، والأبواب فصول، والفصول مباحث، وهكذا، فلا بد أن يكون بينها توازن في العرض والبحث والكتابة، يكون هناك اتساق وتوازن فيها، لو لم يكن هناك تقسيم للبحث لما حصل هذا التوازن والاتساق.

خامسا: ترتيب الموضوع بحسب كلياته وتفرعه، فالموضوع سيأتي مرتبا، لن يأتي جزافا هكذا، حينما يريد أن يبحث موضوع ما سيبدأ بمفهوم هذا الموضوع ثم أساسياته ثم ينتقل إلى جزئياته وهكذا شيئا فشيئا وسيدخل كل جزئية تحت كلية مناسبة لها يأتي الموضوع مرتبا، هذه من مهمات الخطة، إذاً هذا الترتيب سيعطي للبحث تماسكا بحيث لا يلحظ فيه شذوذا أو اضطرابا أو تناقضات أو تضادات ونحو ذلك، وإنما سيلحظ أن بعضه آخذ برقاب بعض من بدايته إلى نهايته بطريقة إنسيابية متماسكة.

سادسا: توفير الجهد والوقت، لو لم يكن للبحث خطة لَعْتَرى الباحث مشقة كبيرة في إنجاز بحثه لأنه سيشق عليه في جمع المادة العلمية أي مادة سيجمع، ثم حينما يجمع المادة العلمية كيف سيصنفها، ثم كيف سيستفيد منها، وهكذا ستبدو له صعوبات كثيرة جدا لو لم تكن لبحثه خطة، لكن إذا كان لبحثه خطة تزول هذه الصعوبات ويتوفر الجهد ويتوفر لديه الوقت.

بناء على ما سبق من أهمية الخطة كأننا أشرنا أو ألمحنا إلى ضوابط الخطة.

<u>فمن الشروط في الخطط:</u>

أن تكون مستوعبة وشاملة لجميع عناصر الموضوع دون زيادة أو نقصان، يعني نستبعد الزائد ولا تأتي ناقصة، فلابد من الاستيعاب والشمول، فكما قلت عنوان البحث هو عبارة عن كلية، هذه الكلية ستقسم إلى جزئيات كبرى، ثم هذه الجزئيات الكبرى تندرج تحتها الأصغر والأصغر والأصغر وهكذا حتى ينتهي إلى أصغر وحدة، كل وحدات منضودة تحت بعض، للوحدة الكبرى عنوان جامع للكل التي هي الدراسة، ثم لما تقسم إلى كليات أصغر سيكون لكل كلية عنوان مناسب لها، ثم بعد ذلك جزئيات، لكل عنوان جزئية، فمثلاً كما أن هناك عنوان البحث، الأبواب لابد أن يكون لها عناوين مستوعبة للفصول التي تحتها، الفصول لابد أن يكون لكل فصل عنوانا مستوعبا للمباحث التي تحته، والمبحث يكون له عنوان مستوعب للمطالب التي تحته، والمطلب يكون له عنوان مستوعب للمسائل التي تحته، والمسألة لها عنوان يستوعب فروعها، فهكذا لابد أن يكون هناك استيعاب وشمول في كل جزئيات البحث.

أيضا المسألة الأخرى التي ضد الاستيعاب والشمول: القصور، فحينما الباحث ينطلق من عنوان معين ولكن يلاحظ أنه لم يشمل كل الكليات المندرجة تحت هذا العنوان، أخذ جانبا وترك جانبا، مثلاً لو باحث يبحث عن الصلاة، فجاء وبحث بعض الكليات التي تندرج تحت الصلاة، فبحث عن أركان الصلاة وترك شروطها وواجباتها، ثم تحدث عن سنن الصلاة، وأخيرا ختم الموضوع، فهنا أخل ببحثه ولم يأتِ بكل ما يندرج تحت الصلاة، مع أن المفترض فيه أن يبحث ما الذي يمكن أن يأتي تحت الصلاة، ما المراد بالصلاة، متى شرعت الصلاة، حكمة شرع الصلاة، الصلوات المفروضة والصلوات النافلة، أركان الصلاة، شروط الصلاة، واجبات الصلاة، أوقات الصلاة، وهكذا يفرع فروعا كثيرة في هذه الكلية، لابد أن يستوعب جميع ما تحت الكلية الكبرى استيعابا شاملا دون قصور.

<u>من عيوب الخطط</u> أنها تكون أحيانا قاصرة، ومن عيوبها الأخرى أن تكون أدخلت أمور لا تندرج تحت عنوان البحث.

المسألة الثانية الترابط المنطقي بين عناصر الخطة، لابد أن يكون بينها ترابط، لا أن يكون بعضها يضاد بعض، أو يحس القارئ بأن هناك فجوات بين عناصر الخطة، لابد وأن يكون هناك ترتيب منطقي متكامل لعناصر الخطة.

المسألة الأخرى وقد أشرت إليها من قبل القسمة المنطقية السليمة أنه ينطلق من الكلية الكبرى إلى الكليات الأصغر إلى الجزئيات التي تندرج تحت كلية منها، وهكذا، يبدأ من الأبواب إلى الفروع، قد لا يحتاج، بعض الخطط تحتاج إلى أبواب

وفصول، وبعضها إلى فصول ومباحث ومطالب ومسائل وفروع، حسب الموضوع وما يندرج تحته من فرعيات تدق وتدق وتدق يحتاج معها الباحث إلى وضع تقسيمات تحت تقسيمات تحت تقسيمات حتى نهاية الموضوع، فليس كل موضوع قد يحتاج إلى هذه التقسيمات كلها، لا يحتاج كل بحث إلى هذه، بل قد يكتفي فيه بأبواب وفصول فقط، وهكذا، طبيعة البحث هي التي تحكم التقسيم، لكن المهم أن يكون التقسيم سائرا بهذه الطريقة التي يندرج فيها من الكلي إلى الجزئي ثم إلى الفروع التي تندرج تحت هذا الكلي الأصغر والأصغر إلى أن ينتهي إلى الجزئية التي هي أصغر جزئيات البحث.

وهذه هي النقطة الأخيرة من ضوابط وضع الخطة وهي: التدرج من الكلي إلى الجزئي فلا يمكن أن يضع جزئية ثم يضع كلية تحتها، أو أن يقفز قفزات فيكون هناك فجوات، يذكر كلية ثم يذكر جزئية تندرج تحتها، ولكن هذه الجزئية يجمعها جزئيات أخرى كان بإمكانه أن يضعها في المبحث ثم قسمتها وهكذا.

كيف يضع الباحث خطة بحثه؟

-من أهم الطرق لوضع خطة البحث هو طرح الأسئلة على الموضوع، معنى يكن الموضوع عندك مشكلة، بشكل سؤال، لو جئنا لموضوع الصلاة الذي ذكرناه سابقا، السؤال الأكبر عندك ما الصلاة؟ ماذا تحتوي الصلاة؟ ما محتوياتها؟ ما مضمونها؟ تبدأ في طرح الأسئلة، ما مفهوم الصلاة؟ ما حكمة الصلاة؟ متى شرعت الصلاة؟ لماذا شرعت الصلاة التي هي الحكمة؟ هل الصلاة لها أساسات أو أركان؟ هل يشترط لها شروطا؟ ما الذي يلزم لها من أمور التي هي الواجبات؟ هل الصلاة فيها جوانب مكملة وجوانب أساسية؟ تأتيك المكملات أو الآداب، هل هناك مقدمات للصلاة أو شروط سابقة؟ ما علاقة الصلاة بالإسلام نفسه؟ ما موقعها منه وأهميتها؟ فهنا يأتي الباحث ويضع ورقة أمامه ويبدأ في طرح الأسئلة على موضوعه، طرح الأسئلة كل ما خطر له من سؤال في باله يضع السؤال، سؤال سؤالين ثلاثة، وبعد أن يضع الأسئلة يحاول أن يجيب عليها، مثلاً هل للصلاة أساسات؟ قال أركان الصلاة، واجبات الصلاة، شروط الصلاة.. إلخ.

ثم بعد ذلك ينضد هذه الكليات ويأتي بكل كلية ويتسائل، مثلاً شروط الصلاة ما شروط الصلاة؟ يأتي بالجزئيات التي تحتها، ثم كلية جزيئة يجد أنها تحتاج إلى عمل، مثلاً من شروطها الطهارة، ثم يبدأ يطرح أسئلة على الطهارة، من شروطها مثلاً استقبال القبلة يطرح أسئلة على استقبال القبلة، وهكذا، وسيجد أن هناك جزئيات تخرج له تحت هذه الكلية، وهكذا.

-ثم يبدأ بعد ذلك في ترتيب هذه الكليات ماذا يأتي أولا، هل يقدم بالأركان؟ هل يقدم بالشروط؟ هل يقدم بالسنن والآداب؟ هل يقدم بتاريخ تشريعها ومتى شرعت؟ وكيف شرعت وهكذا؟ ثم يبدأ بترتيب هذه الكليات ويضع لهذه الكليات التي ابتدأت بموضوعه يضع لها أبوابا أو فصولا، ثم يسأل على كل جزئية ويضع لكل جزئية مباحث، ثم هذه المباحث تحتاج إلى مطالب، وهكذا يبدأ الباحث يضع خطته بهذا الشكل انطلاقا من السؤال ثم إعادة الترتيب شيئا فشيئا.

فإذًا النقطة الأولى: نقطة التساؤل وتسجيل عناصر الموضوع بشكل عام عن طريق السؤال أو الأسئلة التي يلقيها على الموضوع بعصف ذهين وانفتاح كامل.

بعد ذلك يحتاج إلى ضبط موضوعه، لأنه عنده معارف سابقة عن الصلاة وعنده أسئلة أساسية، لو فرضنا أن ما عنده معلومات سيبدأ في المرحلة الأولية حتى ولو كان عارٍ عن المعلومات في الصلاة لو فرضنا، لأنه سيأخذ الصلاة بناء، هذا البناء له أساسيات، له مقدمات وتهيئة، له مكملات، له أشياء لازمة، وإن كانت ليست من الأساسات لابد منها، فلو تصورها كبناء ولو لم يكن عنده علم بها وطرح الأسئلة سيجد أنه يظهر له كليات معينة.

بعد ذلك يرجع إلى المصادر التي تحدد له بالفعل، فمثلاً يرجع إلى ما كتبه الفقهاء عن الصلاة، وينظر كيف رتبوا هذه

الصلاة، وكيف تعاملوا مع جزئياتها التي هي كليات وجزئيات تندرج تحت هذه الكليات الصغرى، ويبدأ في هذا التصميم، بمعنى أنه حينما يدرس الجانب الشرعي سيعيد النظر في تسمياته ويسميها بأسمائها الشرعية بعد أن كان أخذها بعصف ذهني باعتبار الصلاة بناء، وما الذي يلزم البناء من أشياء أساسية وضرورية ومكملة إلخ، بعد ذلك يطبق من الناحية الشرعية ويرجع إلى المراجع فيما يتعلق بهذا الموضوع ويستخرج ما قاله العلماء من كليات أَجْمَلَها هُو بمعنى آخر، ويسميها بأسمائها الشرعية ويبدأ في تصميم الخطة، قد يتضح له حين الرجوع للمصادر أموراً أخرى غابت عن باله من خلال التساؤل، وقد يستبعد أسئلة أخرى لا دخل لها بالموضوع وردت عنده، لأن المصادر في الفن هادية لحقيقة الموضوع ولما يمكن أن يدخل تحته وما لا يمكن أن يدخل تحته، فقد يستبعد أموراً ويضيف أموراً أخرى.

بعد أن يتضح له هذا الشيء يعود إلى تصنيف الموضوع إلى مجموعات كلية فيدرج الجزئيات تحت الكليات كما قلنا، مثلاً في الصلاة سيسمي أركان الصلاة، وشروط الصلاة، واجبات الصلاة، وآداب الصلاة، وحكمة الصلاة، وقت تشريع الصلاة، وهكذا، سيحدد أموراً بأسمائها العلمية، ويضع كلاً منها في فصول ثم.....

فهنا لدينا في الخطة خلاصة الكلام: أن لدينا جانبا شكلا فنيا ولدينا جانبا علميا، فالجانب الفني الشكلي أن الخطة لابد أن تسير بنسق معين تبدأ بالكلية الكبرى التي هي العنوان ثم يكون لها مقدمة وخاتمة وبينهما تقسيمات الموضوع، أبواب فصول مباحث.. هذا جانب فني.

الجانب العلمي إعطاء كل باب من الأبواب أوكل فصل من الفصول أو كل مبحث إعطاؤه عنوان علميا يتصل بالموضوع بحيث تأتي خطته متكاملة ومتناسقة بهذا الشكل.

خلاصة الأمر إذًا أن وضع الخطة يستلزم أن يكون فيها مقدمة وخاتمة، ويستلزم أن يتبعها فهارس لدلالة الباحثين على مضامين هذه الرسالة وإمكان الاستفادة منها، ويكون بين المقدمة والخاتمة لب البحث أو تقسيمات البحث العلمية، التي قلنا عنها أن جانب منها شكلي: أبواب، الباب الأول الفصل الأول إلخ.. وتقسيم منها علمي: أن كل باب أو فصل أو مبحث أو مطلب سيعطى عنوان علميا ملائما مندرجا تحت ما قبله، بحيث تأتي الخطة بشكل متسق ومنطقي وجاهزة لتقديم المشروع، طبعا يلزم إرفاق الخطة بمصادر، وسنتكلم عن الأمور التفصيلية في حلقات قادمة، أما ما يتعلق بالوضع العام أو بالشكل العام للخطة فهو ما ذكرته، طبعا المقدمة تحتوي على عدة عناصر لابد من إيرادها في المقدمة، وهذا ما سنبدأ به في الحلقة الثانية عشر القادمة.

الحلقة (١٢)

كنا قد وصلنا في الحلقة السابقة عن خطة البحث من حيث ما ينبغي أن يراعى فيها عند الاختيار، ومن حيث ما يعين الباحث على خطته، وكيف يضع هذه الخطة عن طريق الأسئلة، بأن يورد أسئلة على موضوع معين، مثل الصلاة والزكاة والأضحية والصوم والحج، أو مشكلة من المشكلات أو قضية من القضايا، يريد أن يضع خطة تفصيلية لهذا الموضوع، فبالنسبة للعنوان كما سبق أن أسلفت يعتبر هو الكلية الأساسية التي ينبغي أن يتفرع منها كل جزئيات البحث، وبالتالي لابد أن تقسم هذه الكلية الأساسية الشاملة إلى أجزاء هي عبارة عن كليات صغرى تندرج كلها تحت هذه الكلية الكبرى تسمي في البحث أبوابا أو تسمي فصولاً حسب طريق التقسيم.

ثم بعد ذلك يضع من هذه الكليات التي هي عبارة عن عناوين أصغر تندرج أو تتفرع من العنوان الأكبر، مثلنا وقلنا الصلاة مثلنا لما يتكلم الإنسان عن الصلاة سيتكلم مثلاً عن أنواع الصلوات، ثم سيتكلم عن الصلوات النافلة والصلوات

المفروضة، ويقسمها إلى قسمين، ثم الصلوات المفروضة صلوات خمس فجر وظهر وعصر ومغرب وعشاء وهكذا، ثم سيقسمها إلى جانب آخر أركان الصلاة، ثم مثلاً واجبات الصلاة، شروط الصلاة، آداب الصلاة، وهكذا آثار الصلاة على نفسية الفرد وعلى المجتمع، أحكام الصلاة وما يتعلق بصلاة الجماعة وصلاة المنفرد وصلاة المسافر وصلاة المقيم وصلاة المرأة حينما تكون في حال حيض أو نفساء، هكذا، يجب أن بحثه وإن كان كلمة كبرى وهي الصلاة سيتقسم إلى كليات أخرى، هذه الكليات ستنقسم إلى أقل منها وأقل وأقل حتى يصل إلى أدق تفصيل، وقد جرى الباحثون على أن أكبر وحدة في التفصيل يسمونها: الباب.

والباب يدخل تحته عدة فصول وبعد الباب الفصول تدخل تحته، ثم الفصول عادة يقسمونها إلى ما يسمونه المباحث، مبحث أول ومبحث ثاني ومبحث ثالث، وكل مبحث لا بد له من عنوان، لا يأتي مبحث أول بدون عنوان، أو فصل أول بدون عنوان، باب بدون عنوان، لا بد للباب والفصل والمبحث لا بد أن يكون لها عنوان يميزها، حتى يتضح انفراد العناوين تحت ما هو أكبر، وأنها متفرعة عنه تفرعا منطقيا، وأن التقسيمات شاملة ومستوعبة للقسم الأعلى وهكذا، بمعنى أن القسم الأعلى يشمل ما تحته من تقسيم ويستوعبه لا يزيد التقسيم عنه ولا يقل عنه، فإن زاد عنه فيعتبر استطرادا وخارج الموضوع، إذا أدخلنا تحت الباب أو تحت الفصل أو المبحث أو إلى آخره ما ليس منه فيعتبر زائداً واستطراداً وحشواً في الموضوع ينبغي أن يحذف، وإن نقص يعتبر خللاً، لأنه لم يتكلم عن هذه الكلية بكاملها، فإذاً من شروط هذه التقسيمات أن تكون مستوعبة وشاملة، فالعنوان يكون شاملا ومستوعبا لما تحته من تقسيم، لا يقصر التقسيم عن الباب ولا يزيد عنه، وكذلك الفصل وغيره.

<u>فأولاً من الناحية الفنية</u> هناك تقسيم إلى **باب** ثم **فصل** ثم **مبحث**، بمعني الباب يتكون من فصول، الفصل يتكون من مباحث، المبحث يتكون من **مطالب** المطلب الأول المطلب الثاني إلى آخره، المطالب أقلها اثنان وأكثرها إلى ما يستوعب ما تحت هذا المبحث، ثم المطلب يتفرع إلى **مسائل**، والمسائل تتفرع إلى فروع، فإذن بهذا الشكل نضمن الشمول والاستيعاب والمنطقية، أن يكون التقسيم شاملا لكل جزيئات الموضوع، وأن يكون مرتبا بمعنى أن الجزئي الصغير دخل تحت الكلي الأكبر منه تحت الكلي حتى نصل إلى استيعاب المعنى الكلي لكل ما دخل تحته.

<u>ثانياً المنطقية بهذه الترتيبة</u> بحيث لا نلاحظ فجوات ولا نلاحظ قصور ولا زيادات ولا فجوات، وإنما نلاحظ أن هذا الشيء ما يقتضيه العقل وما يتطلبه الموضوع نفسه، ما يتطلبه الموضوع وما يقتضيه العقل من قسمة بحيث يكون تقسيماً متماسكاً شاملاً متراتباً إلى آخر ذلك.

فهذه هي الخطة المحكمة، وحينما يكون خلل في أي جانب من الجوانب إما في الزيادة وإما في النقص أو في عدم استيعاب الموضوع أو الخروج عنه في أي حال من الأحوال أو في أي وجه من الوجوه هنا يكون خطأ في هذه الخطة.

فإذاً هذا من الناحية الفنية أن تكون مقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث إلى آخره، وأما من الناحية العلمية فينبغي أن تكون عناوين الجزئية الصغرى مندرجة تحت العنوان الشامل لها، بمعنى مثلاً أن تكون عنوان المطالب متفرعة عن عنوان البحث، وأن تكون عناوين المباحث متفرعة عن عنوان الفصل، وأن تكون عناوين الفصل متفرعة عن عنوان الباب، وأن تكون عناوين الأبواب متفرعة عن العنوان الأصلي للبحث، فإذن لابد أن يراعى في الخطة جانب التقسيم الموضعي والتقسيم الفني مع بعض لابد من الأمرين معاً.

عادة في العلوم الشرعية نجد أن خطة البحث تتكون من مقدمة وقد يكون هناك تمهيد بحسب الحاجة، ثم الأبواب أو

الفصول التي يسمونها لب البحث أو موضوع البحث تقسيمات موضوع البحث نفسه، ثم الخاتمة، ثم الفهرس.

أما المقدمة فعادة تحتوي على عده عناصر:

أولاً: الاستهلال، طبعاً بحمد الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتقديم للدخول أو للإعلان عن الموضوع، ثم بعد ذلك يبين موضوعه أو عنوان بحثه فيقول اخترت أن يكون عنوان بحثي التالي، بعد أن يعلن عن موضوع بحثه يذكر أهمية البحث وأسباب اختياره، هل هذا البحث مهم؟ هل هو جديد؟ هل يعالج قضية مهمة يحتاجها الناس؟ أم أنه مجرد تكرار لا جديد فيه؟ فهنا الأهمية بينها من هذه الناحية، ثم يذكر الأسباب التي دعته لاختيار هذا الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع عادة لها صلة بالموضوع نفسه، من حيث أن الموضوع محل عناية الناس، أن الموضوع لا توجد فيه دراسات سابقة، أن الموضوع يعالج مشكلات مهمة، وهكذا، كل سبب يتصل بالموضوع ويستدعي بحث هذا الموضوع هذه هي الأسباب.

ثم النقطة التي تليها **أهداف البحث،** هي في الحقيقة أهداف الباحث نفسه، أهداف الباحث يعني أنها متعلقة بذات الباحث، لماذا أنت بالذات بحثت هذا الموضوع؟ كأن يقول مثلاً رغبتي في التعرف على هذا الموضوع وحل هذه المشكلة، كأن يقول إنني استهدف إيجاد دراسة متكاملة لهذا الموضوع مثلاً في الفقه الإسلامي، إنني مثلاً أستهدف التعمق في دراسة هذا الموضوع، وهكذا.. هذه أمثلة للأهداف، فالأهداف لها صلة بذات الباحث نفسه، في حين أن الأسباب هي ذات الصلة بالموضوع، حتى يتميز الأمر ويتضح ويعرف أن ليس هناك تداخل بين الأسباب والأهداف.

فالأسباب إذن ما يتصل أو العوامل الباحثة على بحث الموضوع، سواء بحثها هذا الشخص أو بحثها غيره، فهي عوامل قائمة في الموضوع نفسه أو ذات صلة بالموضوع نفسه، سواء بحثها الشخص أو ذاك لا صلة لها بالباحث.

أما **أهداف البحث** فهي ذات صلة بالباحث نفسه، لماذا أنت بالذات أقدمت على بحث هذا الموضوع؟ فيبين أهدافه من بحثه.

ثم بعد ذلك منهج الباحث، هذه نقطة من نقاط المقدمة، كيف سيعالج بحثه؟ ما المناهج ما الطرق العقلية التي سيسلكها في معالجة بحثه، سواء كانت طرقاً عامة يسلكها كل الباحثون، أو كانت طرقاً خاصة في بحث معين، أو طرقا خاصة بتخصص معين، فهناك من المناهج ما هو عام كالمنهج الوصفي، المنهج التحليلي، المنهج الاستقرائي، المنهج الاستنباطي، وهكذا، هذه المناهج عامة يسلكها كل الباحثون في الوصول لمعالجة أبحاثهم والتوصل إلى نتائجه، وهناك طرق أحيانا فيها نوع من الخصوصية باختصاص معين، كأن يعالج مسألة أصولية أو مسألة فقهية، فيقول أصور المسألة أولا ثم أورد الآراء مبينا المذاهب في هذه المسألة، ثم أورد الأدلة وأقوم بمناقشتها والترجيح فيما بينها، والتوصل إلى الراجح معللاً الترجيح، فهنا مجال أو تخصص معين مثل التخصص الفقهي والأصول.

وهكذا إذاً يختلف منهج الباحث باختلاف مجال بحثه وباختلاف الفن الذي ينطلق منه أو يعالج في ضوئه هذا الموضوع، وقد يكون مثلاً من العلوم التي تحتاج إلى بحوث ميدانية واستبيان ونحو ذلك، وقد يسلك فيها مسلك ما يسمونه دراسة الحالة أو نحوها من المناهج الأخرى، فإذاً حسب الفن الذي أنت تنطلق منه ولكن بالنسبة للعلوم الشرعية عادةً قد يستخدم فيها المنهج الاستقرائي لاستقراء النصوص حول الموضوع المدروس، ويستخدم فيها المنهج التحليلي الذي يحلل النصوص في ضوء قواعد معينة ينطلق منها، التي هي القواعد الحاكمة للفكر الإسلامي عامة، سواء كان فكراً عقدياً أو فكراً فقهياً، أو فكرا أصوليا أو نحو ذلك، فإذاً هذه عادة أنسب المناهج، وإذا كانت الأمور جزئية كما قلت في مسائل معينة فعادة يستخدم فيها المنهج الذي أشرت إليه منهج الفقهاء والأصوليين الذي يقوم على تصوير المسألة ثم إيراد المذاهب والأدلة والاعتراضات والمناقشة، وينتهي إلى الترجيح في المسألة، هذا الجانب المنهجي منه.

ولكن هناك جانب فني متصل بالمنهج، سنتحدث عنه بالتفصيل، لكن الجانب الفني ما يلتزمه الباحث من أمور كطريقته في التوثيق وطريقته في تخريج الأحاديث، وطريقته في بيان مواضع الآيات، وفي التزام علامات الترقيم، والتزام قواعد اللغة، والتزام رجوع المصادر الأصلية، ونحو ذلك من الجوانب ذات الصلة بالناحية الفنية في البحث، مثل التعريف بالأعلام غير المشهورين، والتعريف بالكلمات الغريبة وبالمصطلحات ونحو ذلك، هذه أيضا يذكرها ضمن المنهج.

بعد أن ينهي الباحث من الحديث عن منهج البحث، وهو كما قلت أحد عناصر المقدمة ولا زلنا في الحديث عن عناصرها، ينتقل إلى الدراسات السابقة، ماذا يراد بالدراسات السابقة؟ قد يكون الموضوع سبق أن درسه أحد الباحثين إما دراسة شاملة وإما دراسة جزئية، لا يحق للباحث أن يعود إلى بحث الموضوع مرة أخرى إلا بعد أن يبين لماذا أعاد بحثه؟ قد يكتشف أن الدراسة السابقة لم توف الموضوع حقه من ناحية كذا ومن ناحية كذا، قد تكون الدراسة التي تمت في هذا الموضوع سابقاً حدث بعدها تطورات وتغيرات وإحصائيات جديدة فيلزم إعادة البحث برؤية جديد في ضوء المعطيات الجديدة، فإذن أن يكون الموضوع مبحوثاً لا يعني النهاية لا يعني أن لا يبحث مرة أخرى لأن الأمور متجددة ومتغيرة، ودائماً يطرأ ما يضيء جوانب لم تسعف الباحث الأول، فبالتالي يحتاج الباحث إلى النظر من جديد، فالحديث عن الدراسات السابقة أمر مهم حتى يبين الباحث ما الذي سيأتي به جديدا، لأن من ضمن ما قلنا أن يكون هناك جدة في البحث، وبالتالي من أجل أن يكون الباحث أتى بشيء جديد يتجاوز به هذه الدراسات السابقة يعطينا نبذة عنها.

ماذا يكتب في الدراسات السابقة؟

أولاً اسم الدراسة ثم اسم الباحث الذي قام بهذه الدراسة، ثم نوع البحث هل هو رسالة علمية دكتوراة ماجستير؟ أو بحث متمم؟ أو أنه بحث عادي؟ أو أنه بحث محكم؟ أو أنه كتاب؟

ما حالة هذه الدراسة، إن كان رسالة أو بحث مكملاً فيبين أين تم إنجازه، ما المؤسسة التي أنجزته، وكذلك لو كان أبحاث مؤتمرات أو بحث محكم سيكون في المجلة المحكمة الفلانية، سيكون من أبحاث المؤتمر الفلاني، فبالتالي سيبين المؤسسة التي أنتجته.

بعد ذلك يأتي بالتعريف من حيث حجم هذا البحث، ثم يبين تاريخ إنجازه وإن كان مطبوعاً يبين الناشر ومكان النشر وتاريخ النشر، وهكذا، وإن كانت دراسة هي من نوع التحقيق يبين من حققه سابقاً هل حقق أم لم يحقق، وهكذا، يأتي بالمعلومات الكاملة أولا عن الدراسة السابقة.

بعد أن يأتي بهذه المعلومات يبين ما الفرق بين دراسته وهذه الدراسة ما الجديد الذي سيأتي به؟ إن كان هناك ما هو جدير بالبحث كان أحرى أن يُقرَّ هذا البحث، وإن لم يكن ثمة جديد حينذاك سيرفض البحث ولن يقبل إجراء الدراسة من جديد، فهذه الدراسات السابقة ستكون بمثابة المعيار بأحقية هذه الخطة بالإجازة أو المنع، ولذا على الباحث أن يكون أمينا في عرض الدراسات السابقة، بعض الباحثين يلجأ للتدليس ولعدم الوضوح في الحديث على الدراسات السابقة، فيلف الكلام لفاً أو يذكر جوانب من الافتراق، ويغفل جوانب الاتفاق، مع أنها ربما تكون أكبر، وجوانب الافتراق قليلة ولا تستحق هذا العناء، فنجد أن بعض الدارسين يلجأ إلى هذا الأسلوب لكي يمرر بحثه ولكي يجاز ثم يسهل عليه إنجاز البحث لأنه سقطت عنه المهمة الكبرى بريادة ذلك الباحث السابق.

أيضاً بعض البحوث تكون قد بحثت بحثاً كثيرا يغني، صحيح قد لا يكون فيها بحث كامل واحد لكن فيها عدة بحوث تناولت جوانب هذا البحث كله بحيث أغنت عن دراسة أخرى جديدة.

الدراسات السابقة إذن عنصر من عناصر المقدمة.

عناصر أخرى التي هو خطة البحث نفس الخطة هذه يأتي بعد أن يذكر الدراسات السابقة، يأتي ويقول: الخطة الإجمالية للبحث، ويذكر: تتكون الخطة الإجمالية من مقدمة وتمهيد ومثلاً بابين أو ثلاثة أبواب وخاتمه وفهارس، وإن كان هناك ملاحق يذكرها، إذاً قلت أنه بعد أن يذكر عناصر المقدمة ينتقل ثم يقول: التمهيد ويذكر عنوانه، ثم الأبواب ثم يذكرها تفصيلاً إلى أن ينتهي من الفهارس، وفيها الفهارس وفيها كذا وكذا الفهارس: الآيات والأحاديث إلى آخره، ثم يذكر الملاحق وهكذا.

بعد أن ينتهي من عرض الخطة الإجمالية في مقدمته كعنصر من عناصرها بعد ذلك يأتي بالشكر لمن أسهم معه في هذا البحث أو ساعده في البحث، عادة يبدأ الباحثون بحمد الله وشكره وفضله وجوده وكرمه الذي منَّ بإنجاز هذا البحث، ثم (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)، ويذكر بعد ذلك شكر المؤسسة التي أنجز فيها البحث، ثم يذكر بعد ذلك المشرف الذي أخذ بيده ووقف معه طيلة بحثه، ثم بعد ذلك الأشخاص الذين سيناقشون بحثه لأنهم قرؤوا البحث وأفادوه بخلاصة خبراتهم وآرائهم حول هذا البحث، وإذا كان يريد أن يشكر أحدا آخر أعانه فذكر هذا.

البعض يقدم الشكر يضعه صفحة في البداية قبل المقدمة، له هذا وله أن يضعها ضمن عناصر المقدمة.

هناك عنصر آخر البعض يذكره ضمن المقدمة وهو الصعوبات التي واجهها الباحث لكي يبين مقدار بحثه ومعاناته يذكر هذه الصعوبات التي واجهها في بحثه، هذه هي مقدمة البحث بعناصرها المكتملة.

بعد أن ينتهي من إعداد المقدمة يذكر الأبواب التي فيها، والخاتمة، **والخاتمة** عادة تتضمن ثلاث نقاط خلاصة البحث، وأهم النتائج، والتوصيات إن وجد لديه توصيات، إن كان توصل في بحثه إلى أمور يود أن يوصي بها من بعده، فمثلاً مقترحات أن يكون وجد في البحث نقاط تستحق البحث، أو توصل إلى أطروحات جديدة أو نتائج جديدة يود أن تنفذ عمليا، أو غير ذلك من التوصيات التي يراها جديرة بأن تذكر في خاتمة البحث لكي يستفيد منها الناس، وإن لم يكن ثمة توصيات فيذكر خلاصة البحث وأهم النتائج التي توصل إليها.

ثم **الفهارس**، والفهارس أنواع فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث النبوية، فهرس الآثار، فهرس المصطلحات، فهرس الكلمات الغريبة، فهرس الأبيات الشعرية، فهرس الفرق والمذاهب، فهرس الأعلام، فهرس الأماكن، فهرس المراجع، فهرس الموضوعات، وهكذا.

إذاً بهذا نكون أتينا على عناصر خطة البحث، وهذه العناصر عُرضت بحسب البحوث الشرعية، وليس بحسب البحوث في مجال العلوم الإنسانية، ولا في مجال العلوم الطبيعية، ففي مجال العلوم الإنسانية وفي مجال العلوم الطبيعية يختلف وتختلف طريقة تخطيط للبحث ومعالجته، لأن تلك علوم واقعية تنطلق من الواقع وتعالج إشكاليته، في حين أن علوم الشرعية علوم معيارية، تنزل من الأعلى لكي تقوّم هذا الواقع، فهي تستثمر النص الذي جاء لتوجيه الحياة تستثمره لكي تتوصل من خلاله إلى أحكام الوقائع فتوجهها، فإذن بما أنها علوم معيارية فلها منهجيتها التي تختلف عن العلوم الواقعية، قد يكون معنى هذا أن هناك حسم وفصل تام بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والطبيعية، لا، هناك مجال ارتقاء بما أن العلوم الشرعية تحكم في العلوم الواقعية فإذن قد تضطر البحوث الشرعية لاستثمار منهج العلوم الإنسانية في بعض المواضع كأن يكون أمامنا أو كأن نريد أن ندرس واقعة معينة نبين أحكامها، لابد أن يكون هناك جانب وصفي تبين فيه الواقعة وتعرض، ثم الباب الآخر أو الجزء الآخر من الدراسة سيكون معياريا لبيان أحكام هذه الظاهرة.

فالجانب الأول سيشترك فيه دارس العلوم الشرعية مع دارس العلوم الإنسانية، أما الجانب الآخر سيكون هو مختصا بطريقة العالم الشرعي في الدراسة التي هي تنصب على الجانب المعياري، هكذا إذاً تتضح العناصر التي ينبغي أن تحويها خطة البحث في مجال العلوم الشرعية.

الحلقة (١٣)

كيف تعد البحث؟

هناك عدة خطوات ينبغي على الباحث أن يسلكها كي ينجز البحث، تبدأ بالتعرف على المصادر، لأنه ما من بحث علمي يكتب هكذا إنشاءً دون أن يستعين الباحث بمادة علمية رصينة يبني منها بحثه، فإن البحث في حقيقته بناء يحتاج إلى مواد خام، وتعينه في بحثه الخطة.

فالخطة: هي التصور الأول للمشروع، فكما أن البناء يحتاج إلى مخطط لهذا البناء، يبين فيه كل شيء تفصيلا، فكذلك الخطة أرشدتك إلى هذا الباب بهذا الشكل، وهذا الفصل بهذا الشكل وهكذا،فالبناء هنا معنوي، وهناك بناء حسي، ولكنهما يشتركان في عدة أمور، فجودة المواد تنتج بناء جيد هناك، ورداءتها تنتج بناء رديء، وكذلك في البناء المعنوي، فإن اخترت مادة علمية قوية رصينة جاء بحثك قويا، وإن اخترت مادة هامشية سطحية ضعيفة جاء بحثك ضعيفا.

- فإذاً أول عمل يقوم به الباحث بعد إعداد الخطة للبحث وصدرت الموافقة عليه هو: أن ينزل إلى سوق المعرفة لكي يجتلب المواد المناسبة لبحثه، وسوق المعرفة سوق واسع ومفتوح.

فهناك الكتب بأنواعها، سواء كانت قديمة أو حديثة، مخطوطة أو مطبوعة، المجلات، الصحف، الوثائق الرسمية، دوائر المعارف، والمعاجم، وقواعد البيانات عامة سواء كانت قواعد كتب أو رسائل أو صحف أو نشرات، وهكذا أمام الباحث مصادر عدة، مصادر سمعية مثل الأشرطة المسجلة، مصادر سمعية بصرية كالأشرطة المسجلة بالصوت والصورة، أو أقراص مدمجة تلقى صوت وصورة أو صوت فقط، فلدى الباحث اليوم كم هائل أو سوق معرفة متنوع من مختلف أنواع المواد وأوعية البيانات والمعرفة، لكي يختار منها ما يناسب بحثه، هذه المصادر المتنوعة قد تربك الباحث لكثرتها، لكن كلما كان الباحث يسلك الطرق السريعة التي توصله من أيسر سبيل كلما كان ذلك يختصر الجهد والوقت.

بعض الطرق التي يجمع فيها مادته العلمية، هذه الإشارة لأنواع المصادر نريد منها أن يكون الباحث مهتما بالوصول إلى المعرفة الصحيحة الناضجة التي تخدمه في بحثه، هناك معلومة مهمة بالنسبة للعلوم الإسلامية، هناك من العلوم الإسلامية ما هي علوم حديثة وجديدة مثل الثقافة الإسلامية، نجد من الخطأ الذي يقع الباحثون فيه في الثقافة الإسلامية يكاد يعتمد على المعلومات والمصادر الحديثة، وهذا خطأ فادح، لابد من الاستفادة من **المصادر القديمة** لعدة أمور:

١.المصادر القديمة تحتوى أصول الفكر ونظرياته الأساسية.

٢.أنها تكشف له عن المصدر الأصيل في التراث الإسلامي.

٣.أنها كتب تتميز بالمنهجية والدقة.

٤.تعرفه على منهجية العلوم الإسلامية.

إذا عدة أمور سوف يكتسبها من المصادر الأصلية واستثمارها في بحثه ولو كان البحث معاصراً.

والجانب الآخر: الدراسات الحديثة فهي لها فوائد أخرى تتناسب مع وضعها، منها:

١.انها تعرض أو تخاطب الناس بأسلوب العصر.

٢.أنها تكون مدخلا للتراث وتيسر كتب التراث.

٣.أنها تناقش قضايا معاصرة ربما لا تكون حدثت من قبل.

فهذه جوانب مهمة ومفيدة في الدراسات الحديثة، لكن ينبغي في التقعيد والتأصيل الاستفادة من المصادر القديمة، طبعاً المصادر القديمة والمفيدة في الدراسات منها ما هي مخطوطة وما هي مطبوعة.

بعضها مخطوطات وهي مهمة جداً لو اطلع عليها الباحث لاستفادة منها خبرة جديدة وفائدة جديدة في بحثه، والمخطوطات قليل من الناس من يرجع إليها يستفيد مما فيها مع أنها قد يكون فيها مفاتيح كثيرة لبعض المنغلقات أمام الفكر، ليس بالضرورة أن يكون المخطوط مطبوعا، إنما المقصود المخطوط الذي لم يخرج للنور ولا أقصد المخطوط الذي أصبح مطبوعاً، الذي أصبح مطبوعا يدخل تحت الكتب المطبوعة، إنما أتحدث عن المخطوط الذي لا زال مخطوطا لم يخرج إلى النور، بعض الباحثين الذين لهم صبر وجلد يرجعون إلى هذه المخطوطات ويقتبسون منها الفوائد.

هذه لفتة أردت التنبيه عليها إلى أن الاعتماد على أحد النوعين واحدة دون الآخر فإنه يجعل الإنسان غير متوازن، فإن اعتمد على المصادر الحديثة وحدها فسينقصه الخير الكثير، وإن اعتمد على القديم وحده فسينقصه جانب الاتصال بالعصر الحديث وما يتصل بها، فإذن لابد أن يجمع بين الأمرين معا، لاسيما ونتحدث هنا عن طالب العلوم الإسلامية.

أما المصادر الأخرى فبحسب الحاجة يرجع إليها، قد يكون بحثه له صلة بوثائق رسمية، كأن يكون بحثه في الأنظمة هنا سيحتاج إلى الأنظمة والرجوع إليها، قد يكون يحتاج في بحثه التعرف ببعض القضايا، سواء كانت تاريخية أو جغرافية أو إعلامية، فهذا يحتاج الرجوع إلى كتب التاريخ والتراجم وكتب المعاجم الجغرافية، وإن كانت يحتاج إلى معرفة مصطلحات غريبة سيحتاج إلى معاجم اللغة، وهكذا إذن بحسب ما يعرض له في بحثه يحتاج إلى نوع من المصادر الذي يغطي هذه الحاجة.

لكن هناك من المصادر قد لا يحتاج إليه أوليا أو مبدئيا، وهنا من المصادر ما يحتاج إليه بطريقة أولية، هو حسب ما يرد في بحثه في ضوء خطته التي تمت الموافقة عليها سيبحث عن المادة ويتعرف على المصادر التي يحتاجها في هذا البحث.

<u>المرحلة الأولى</u>: مسح الكتب أو العناوين سواء كتب أو مجلات، بمعنى سيحاول أن يتوقع المظان التي يجد فيه طلباته، من ذلك أن يبحث عن طريق كلمة (في العنوان) أولاً يبحث في المحرك عن عنوان بحثه، سيظهر كل ما له صلة بعنوان بحثه، كذلك يذهب إلى مراكز البحث العلمي أو يدخل في مواقعها ويبحث في قواعد البيانات إذا كان هذا متاحا، إذاً الطريقة الأولى **أن يرصد هذه المصادر ويجمع ما يراه مناسب بحثه.**

<u>المرحلة الثانية</u>: فرز المصادر؟

ما المصدر الذي يمكن أن يكون مفيدا؟ والذي لا يمكن أن يفيد؟ يعرف ذلك عن طريق استعراض النصوص في فهرس الكتاب، فالفهرس يبين عن موضوعاته، فقط في هذه المرحلة قد يستبعد بعض المصادر ويُبقي على جزء منها.

<u>المرحلة الثالثة</u>: وهي الانتقال من الفهرس للموضوع نفسه، فليكن في هذا الكتاب ورد في الفهرس عنوان يوحي بأن له صلة في البحث، ينتقل الباحث إلى داخل هذا الكتاب وينظر إلى هذا العنوان، فإن كان العنوان مناسبا ويصح اقتباسه اقتبس هذا النص، وإن لم يكن مفيدا أبعد المصدر،

<u>وهكذا مرحلة تصنيف المصادر</u>

<u>المرحلة الأولى</u>: مرحلة التعرف فقط على الأسماء التي لها علاقة لفظية أولية بالبحث.

<u>المرحلة الثانية</u>: **التعرف على فهارس هذه ومدى احتوائها شيء له صلة بالبحث، إذا لم يجد لها صلة بالبحث أبعدها، وإن كان لها صلة انتقل للمرحلة الثالثة.**

<u>المرحلة الثالثة</u>: **الانتقال داخل البحث والتعرف عن هذه المادة وعن مدى ملائمتها بالفعل في بحثه،** حينما يصل إلى هذه النقطة هنا هذه هي **نقطة الاقتباس** أي أنه سيأخذ هذه المادة ويجمعها.

الآن دخل سوق المعرفة وبحث ووصل إلى المحل ووجد البضاعة أو الثمرة التي يريد أن يقطفها، **وهنا جاء دور كيف يحفظها؟ أو كيف يجمعها (المحصول العلمي)؟**

<u>الباحثون يسلكون عدة طرق:</u>

<u>الطريقة القديمة</u>: **كانت طريقة الملفات أو البطاقات، الملفات:** يكون لديه ملف ويضع فيه فواصل بحسب ما لديه من أبواب وفصول، مثلاً الباب الأول فاصل، الفصل الأول فاصل، المبحث الأول فاصل، المبحث الثاني وهكذا، وإذا حصل مادة علمية أو نقلها في الورقة جاء ووضعها في المكان الذي يلائمها، نفترض أنه سار ووجد في مبحث آخر ما يناسب وهكذا يستقطف ويجمع من هذه الثمار من سوق المعرفة ما تيسر له كل مادة في موضعها الذي سيحتاج إليه عند الكتابة إلى أن يرى أنه قد جمع المادة الكافية لكتابة المبحث أو الفصل.

قد يقول قائل: **هذه المادة العلمية التي في المبحث الأول قد يحتاج إليها في المبحث الأخير، هل ينقلها مرة أخرى ويتعب؟**

نقول: لا، يضع ورقة هناك مكتوب انظر البطاقة رقم كذا في المبحث الثاني من الفصل الأول مثلاً، وحينما يأتي إلى هناك يخرج هذا ويستفيد بما فيها.

<u>الطريقة الثانية</u>: **هي طريقة البطاقات.**

البطاقات الموجودة في المكتبات لها ثلاث أنواع:

١.بطاقة حوالي × ٥سم

٢. بطاقة أحوال ٥× ١٠سم

٣.بطاقة أحوال × ١٥سم

البطاقة الأولى: تستعمل للمصادر وأنت تتعرف على مصادرك تكتب: المصدر كتاب مثلاً مدارج السالكين أو ابن القيم الطبعة كذا، حققه فلان، عدد الأجزاء كذا، الناشر كذا، تاريخ النشر، مكان النشر، إلى آخره وتحتفظ بالبطاقة، هنا قد تحتاجها وقد لا تحتاجها حسب فرزك لمصادرك.

البطاقة الثانية: التي تنقل فيها المادة العلمية فحسب مادتك العلمية إذا كانت المادة العلمية كبيرة يفضل البطاقات الكبيرة أحسن من البطاقات الصغيرة.

ثم يوضع لها حافظة لهذه البطاقة أشبه بالملف الصغير، نصف الملف الإفرنجي، يمكن فتحه وغلقه ووضع البطاقات بحيث تكون متحركة.

مما يهم هنا هو ترقيم البطاقات وهذا سيساعد لوضع إحالات على البطاقات مستقبلا، فيقول انظر البطاقة ذات الرقم كذا، مثلاً إذا رجع للبطاقة ذات الرقم كذا، فالترقيم مهم جداً لأنه يسهل على الباحث الرجوع إلى أي بطاقة، هذه طريقة البطاقات وتلك الملفات، وأيضا هنا يضع فصول ومباحث بنفس الطريقة التي سلكها في الملفات.

بعد أن جدّ عند الناس جديد ودخلت مكائن التصوير، استخدموا طريقة أسرع من الطريقة الأولى، **الطريقة الأولى** قائمة

على الكتابة بخط اليد وهي بطيئة.

الطريقة الأخرى طريقة التصوير، يأتي مثلاً إلى هذه الصفحة ويريد هذه المادة، ماذا يصنع؟ يصور هذه الصفحة ثم يسجل ما يريده من المعلومات أعلى الورقة: اسم الكتاب الذي صور منه واسم المؤلف والطبعة والناشر وتاريخ النشر ومكان النشر حتى لا يعود إلى هذا الكتاب مرة أخرى، لأنه قد يأخذ هذا الكتاب من مكتبة عامة أو مكتبة خاصة أو مكتبة الجامعة، فحتى لا يضطر إلى العودة والبحث من جديد، فيجب أن يوثقها لأنه سوف يطالب بتوثيق أي معلومة فهذا أسرع، لأنه إن لم يوثق سيكون ملحوظة عليه في البحث.

في التصوير قد يصور الصفحة كاملة، فماذا يفعل؟ بعد أن يصور الصفحة يضع تقويسة مثلاً بالخط الأحمر على المادة التي يريدها، فيعرف أن ما قبلها وما بعدها مثلاً لا يحتاج له، وقد يحتاج أن يقوس مقطع أو اثنين أو ثلاث، فيضع ما يريد من تقويس، ويضع التوثيق كاملا في الأعلى ويحفظها في الملفات مثل ما حفظ الملفات الأولى، هذه الطريقة كانت بعد خروج مكائن التصوير لأنها توفر وقت وتوفر جهد وأيضاً هي دقيقة، لأنك وأنت تنقل قد تنقص كلمات، أما هنا فلا.

طريقة البطاقات الإلكترونية: إنسان يضع عنده مجلدات في الجهاز على سطح المكتب، يضع لكل باب مجلد، يفتح مجلد جديد ثم يضع الباب الأول ثم يضع داخل هذا المجلد مجلد آخر يسميه الفصل الأول، ثم يفتح ما يشاء ويرتب بترتيب كامل ويضعها على سطح المكتب، ثم يبدأ يجمع في هذه التي وضعها على سطح المكتب، كل ما عنّ له عن طريق محركات البحث، أو عن طريق الأقراص المدمجة التي يشتريها وفيها مادة علمية، أو عن طريق إدخال معلومات إلى الجهاز ونقلها إلى هذه المجلدات وهكذا حتى تكتمل عنده المادة العلمية في مبحث معين أو في مطلب معين أو فصل معين، ثم إذا اكتملت الأمور يبدأ بالصياغة.

هناك بعض المهارات ينبغي أن لا يغفل عنها الباحث وهي مما يعرض للباحث أثناء جمع المادة العلمية، يعرض له أن يجد أشياء مفيدة، وهذا مهم، مثلاً من يبحث في المادة العلمية في البداية بأنه يشترك إلى سوق المعرفة مثله مثل من ينزل إلى السوق قد تكون أنت نزلت السوق لتشتري حاجة واكتشفت أن هناك محلات منها أشياء مفيدة بالنسبة لك فأنت سوف تكون في أمام أمرين:

١.إما أن تذهب إلى كل المحلات ويذهب عليك الوقت وأنت لم تشترِ شيئا.

٢.وإما أن يكون لديك مفكرة تسجل جميع الحاجات وتضعها في جيبك.

الباحث هنا النازل في سوق المعرفة مثل الإنسان النازل إلى السوق التجارية، سوف يلفت انتباهه من المعارف، فإن سار معه أضاع وقتا، ويذهب الوقت لأن كل بحث محدد بوقت، وسيفه مسلط على الباحث، فعليه أن يفعل مثل ما فعل من ذهب إلى السوق يكون لديه مفكرة.

الحلقة (١٤)

كنت قد أشرت إلى بعض ما يعرض للباحث، وهو مسألة العثور على معلومات ثمينة وجيدة قد تغري الباحث بالوقوف معها، وهي لا صلة لها بالبحث وإنما لفتت انتباهه أو شدته، ومثّلت له بمن دخل سوقاً ووجد بضاعة جميلة أغرته فوقف معها ونسي الهدف الذي جاء من أجله، لذلك قلت أنه من أجل أن يحصل على الحسنيين عليه أن يسجل معلومة بهذا الشيء وأن يعود إليها في وقت آخر يكون الوقت معه أرحب وأسع، لكن يكون قد حدد هدفه قبل الدخول إلى سوق المعرفة، وقد انطلق إلى الهدف نفسه، وحينما يعرض له شيء من هذا يسجله ويدعه جانبا ويسير لهدفه والحصول عليه مباشرة، حتى لا

يضيع عليه الوقت، لأن الوقت محدود في البحوث المحددة سلفاً، مثل الرسائل العلمية والبحوث الجامعية ونحوها، لا بد أن ينجزها الباحث في وقت محدد، لذلك عليه أن يحذر من هذا المنزلق، هذا أحد المنزلقات التي يقع فيها بعض الباحثين.

منزلق آخر أن بعض الباحثين لا سيما في بداية بحثه يجمع مادة علمية كثيرة كل شيء يرى أن له صلة ببحثه، لكن بعد أن يتعمق ويقرأ يكتشف أن أشياء كثيرة مما قرأها أو جمعها ليست ذات صلة قوية لها وجه صلة ببحثه، فيظُنّ فيحاول أن يدخلها في البحث بطريقة أو أخرى، وهذا خطأ، عليك أن تحتفظ بها فقد تستفيد منها في بحث آخر أو في قضية أكثر صلة بهذا الموضوع، ولكن إياك أن تحشو بحثك بما لا فائدة فيه، وإنما اجعلها من المخزون الذي يمكن أن تعيد النظر فيه مرة أخرى، فإذن هذه لا بد وأن يكون الإنسان عند فرز البحث دقيقا وحازما بما لا صلة له قوية بالبحث عليه أن يجنبه وأن يتجنب عواطفه في هذا الأمر ويكون قويا مع نفسه لا يستسلم لهواها ولرغباتها.

أمر آخر يغفل عنه الباحثون ويضيعون به خيراً كثيراً، الباحث مع معاناة بحثه تخطر له أفكار وملحوظات وخواطر والخاطرة إن لم تقيد تذهب، فلذلك من المستحسن أن يكون مع الإنسان مفكرة سواء الكترونية أو عادية، يكتب فيها ما يعرض له من خواطر بعناوين معينة، لأن هذه الخواطر ثمينة جدا لأنها الأمر الأول: إذا ذهبت لا تعود أبدا، وثانياً: بعضها يأتي بشكل حدسي بمعنى أنها تأتي كأنما هي إملاء إلهام بلحظة ثم تذهب، فإن لم تكتبها خسرت هذه الفكرة، وربما تمنيتها ولم تستطع استعادتها مرة أخرى، سجل ما يرد عليك.

الأمور والقواعد المهمة التي يجب مراعاتها لاسيما في مرحلة الاقتباس والاستعداد للدخول في مرحلة الصياغة للبحث وكتابته:

١.اهتم بهدفك واحتفظ بما يمكن أن تستفيد منه.

٢.كن حازما في تنقية وفرز مادتك العلمية.

٣.سجل واحتفظ بما يرد عليك من خواطر.

٤.اطرح الأسئلة على بحثك وعلى نفسك وعلى موضوعك، واهتم دائماً بذلك، وكل استشكال أو سؤال سيقودك إلى معرفة جديدة، سواء كنت أنت من جاوب عليه، أو استفدت من تجارب الآخرين في طرح الاستشكال عليهم والاستفادة بخبراتهم وتجاربهم.

٥. اقترب من المختصين ما أمكن فكلما كانت صلتك قوية بالمختصين بموضوعك ومن لهم اهتمام به كلما أثريت بحثك أكثر.

بعد أن يكون الباحث قد جمع مادته العلمية ينتقل إلى خطوة أخرى هي **خطوة التصنيف،** قد يكون الباحث قد عمل التصنيف مع الاقتباس للمادة العلمية، لكن البعض قد لا يعمل ذلك فهنا ينتقل إلى التصنيف، **والمقصود به هو فرز المادة على الأبواب والفصول والمباحث،** فبعض الباحثين قد يعمل الأمرين في وقت واحد، وقد يشق عليه فيقول أولا أجمع المادة ثم أفرزها، فإن كان ممن يصنف أولا مع الاقتباس انتهينا، وإن لم يكن ممن يصنف فلا بد أن **يعيد التصنيف** مرة أخرى بحسب الأبواب والفصول والمباحث، لكن لا يغفل عن الترقيم ابتداء، لذا لا بد أن يرقم ما جمعه حتى يسهل عليه تحريك البطاقات المجموعة سواء كانت بطاقات أو أوراق أو مصورات أو نحوها.

أما بالنسبة للإلكتروني فالمسألة سهلة، كل ما عليه هو النسخ واللصق، فلن يحتاج إلى تحريك أو جمع أوراق، فالحاسب سهل الأمر جدا.

بعد مرحلة التصنيف تأتي **مرحلة الكتابة، كيف سيمارس الكتابة؟ فالباحث أمامه طريقان:**

الطريق الأول وهو الأساس: أن يقرأ مادته العلمية، طبعا هو قرأ مادته أثناء الجمع لكنها قراءة أولية، فعليه أن يعيد قراءة مادة كل مبحث أو فصل حتى يلاحظ ترتيبها من المبحث، ووضع كل مادة في مكانها الملائم، حتى يبدو متناسقا هذا البناء، ولنفترض أنه بدأ كتابة المبحث بمقدمة يسيرة ووصل إلى تصوير المسألة، لا بد وأن يعود للمادة التي فيها صورة المسألة فينقل صورة المسألة، وقد ينقل صورة المسألة من أكثر من مرجع ويحيل على كل جزئية من تصوير المسألة على المرجع الذي أخذ منه، حتى يلاحظ أن صورة المسألة اكتملت وأصبحت واضحة لا لبس فيها.

سيكون أمامه نصوص تحتاج إلى تخريج، سيرد عليه أعلام، سيرد مصطلحات، في هذه المرحلة لا ينشغل بهذا الشيء لأنها مرحلة ما يسمونه كتابة المسودة، فيكتب إذن المادة أو الهيكل الأساسي للبحث دون الأشياء التكميلية والتحسينية.

وقد يكتب بطريقة فقط يعرف بها أنه سوف ينقل من هذه البطاقة، فيبدأ بذكر السطر الأول مما في البطاقة ثم يضع نقاط إلى كذا ويضع الكلمة الأخيرة ويضع علامة التنصيص، ويذكر اسم المرجع بجواره، بعد ذلك سيأتي ويوضحه في الحاشية وينسق فيما بعد، فيكون بذلك قد تصور المسألة كاملا بهذا الشكل، وينتقل لعرض الأدلة والمناقشات والترجيح وإلى آخره، وكل موضع يشير فيه إلى رقم البطاقة، بعد أن يكون وضع هذا الهيكل لمبحث من المباحث يعود ويصوغه كاملا ويكتبه كتابة كاملة، ويفصل بين الأصل والحاشية، ويضع ما في الحاشية فيها، وما في الأصل فيه، فيرد كل شيء إلى مكانه، ويكتب كتابة كاملة، ويضع الأرقام في نهاية النصوص، فإذا نقل مثلاً آية قرآنية يضعها بين القوسين، ويستحسن بالنسبة للآيات القرآنية أن يأخذها من البرنامج المعروف ويلصقها كما هي حتى لا يقع في أخطاء في الآيات القرآنية، فيأخذها من البرنامج المصدر للقرآن الكريم سواء من صخر أو غيره.

ولكي يحيل على الآية القرآنية أمامه طريقتان الطريقة الأولى أن يذكر رقم السورة ثم شرطة ورقم الآية جنب بعض بجانب الآية.

والطريقة الثانية أن يضعها في الحاشية أسفل الصفحة سورة كذا آية كذا، فأمامه طريقتان **لكن لا بد أن يلتزم أحدهما كاملا في طيلة البحث،** لأن بعض الباحثين يكتب أحيانا رقم الآية واسم السورة بجانب الآية، وأحيانا يكتبها في الحاشية، وهذا خطأ، فلابد أولا في البحث أن تلتزم طريقة واحدة، سواء في التوثيق أو في الإحالة، أو طريقة تخريج الأحاديث، أو ترجمة الأعلام، وغير ذلك فلا بد أن يكون للباحث طريقة موحدة وهذه أساسية في المنهج وستذكرها في منهجك في البحث الذي ذكرته في المقدمة.

الجانب الآخر الذي ينبغي حينما يكتب التبييض بمعنى ينتقل من مسودة البحث إلى كتابة البحث مبيضا بالصورة النهائية التي سيقدم البحث عليها، فكما قلنا يفرق بين الحاشية وبين الأصل ثم يضع الإحالات في الحاشية، ما يستثنى من ذلك القرآن الكريم، فلك أن تضع الإحالة بجوار الآية أو في الحاشية، أما التخريج فلا تضعه في الأصل، وإنما في الحاشية أسفل الصفحة، ويكون لك طريقة واحدة في التخريج **فالتخريج يتضمن أمرين:**

١. **بيان من خرّج هذا الحديث من أصحاب الكتب والمسانيد والصحاح.**

٢. **الحكم على الحديث وبيان درجته.**

كما أنه لا ينبغي للباحث أن يعتمد في التخريج على غيره، فالبعض ينقل من كتاب ويرى الحديث مخرج فيذهب ينقل تخريجه، فهذا مناف للأمانة العلمية، لا تنقل تخريج غيرك لأنه قد يكون أخطأ في التخريج فتخطئ وراءه، وأنت لم تكن

أمينا حينما تكون تنقل من الآخرين، وما يدريك أن الآخرين أيضا نقلوا من غيرهم وخدعت القارئ بهذا الشيء، وذكرت شيئا غير صحيح، فهذه من الأخطاء التي يقع فيها الباحثون أنهم ينقلون ما يرد أمامهم، لذلك تجده أحيانا يخرج بطرق متعددة والسبب أنه ينقل من الكتب وينقل تخريجاتهم، فذاك يخرج بطريقة مختصرة، وهذا يخرج بطريقة موسعة، فتستغرب أن بعض الباحثين ليس له طريقة في التخريج، مرة موسع ومرة مختصر، ومرة يذكر الحكم ومرة لا يذكره، والسبب أنه ينقل ما كتبه الآخرون في بحوثهم، وهذا خطأ فادح ومناف للأمانة العلمية، ولاسيما ما يتعلق بالأحاديث النبوية، لأنك تحكم على هذا الحديث، وتبين من خرجه، وقد لا تكون دقيقا في هذا الشيء خدعت الأمة فيه وخالفت الأمانة العلمية، فالتخريج لا بد أن تكون أجريته بنفسك وتحققت منه.

أيضا تخريج الآثار يكون في الحاشية، وكذلك مما يوضع في الحاشية التعريف بالأعلام، وينبغي أن لا يكون متوسعا يذكر اسم العلم وميلاده إن وجد ووفاته وما اشتهر به في حياته مع ذكر بعض مؤلفاته إن كان مؤلفا، وإن كان قائدا فيذكر أشهر انتصاراته، وهكذا فيذكر أكثر ما اشتهر به في حدود سطرين إلى ثلاثة أسطر بالكثير فلا يطيل التراجم.

كذلك مما يوضع في الحاشية أسفل التعريف بالمصطلحات والتعريف بالكلمات الغريبة والتعريف بالأماكن والتوثيق والمصادر التي رجع إليها الباحث.

والتوثيق إما أن يكون بالنص وإما أن يكون مع التصرف، **<u>فإن كان بالنص فيجب أن يكون النقل بين قوسي تنصيص،</u>** يضع في بداية النص علامة "، ويضع في نهايته علامة "، هكذا يعلم أنه نقل هذا الشيء نصا من الكتاب، فإذا كان النقل بالنص يضع في نهايته الرقم ثم يضع أسفل ويقول فلان الفلاني في كتاب كذا صفحة كذا، فيحيل عليه إحالة مباشرة.

لكن لو فرضنا أن هذا النص وجده طويلا وسيتصرف فيه ويأخذ جانبا منه بالمعنى فتصرف، **<u>فإذا تصرفت في النص فتحيل عليه بدون علامة تنصيص</u>** ولكن تقول انظر فلان الفلاني كتاب كذا صفحة كذا، فبهذه الطريقة يعرف أنك تصرفت في النص وأن هذا ليس نص المؤلف ولم تنسب له سوى المعنى، أما اللفظ لم تنسبه له، وبالتالي قد لا يكون المؤلف قصد ذلك المعنى الذي قصدته، لكن تكون أمينا بأنك تقول أنني فهمت معناه بهذا الشيء، أو فهمت كلامه بهذا الشيء، فإن كان صحيحا فنعم، وإن لم يكن صحيحا فتكون أنت الذي تتحمل المسؤولية.

وعادة ما ينقل بالنص إما آية قرآنية أو حديثا أو وثيقة أو نصا مهما جدا يستشهد به الإنسان، لكن مما ينبغي على الباحثين أن لا يستغرقوا في الإكثار من نقل النصوص حتى تضيع شخصياتهم، بل لا بد أن يكون قدر الاستطاعة حضور الشخصية واضح في تحليل النصوص وفي نقلها وفي طريقة استثمار النص، أما جمع نصوص المؤلفين والكتّاب هكذا وأن يكون الإنسان جمّاعا فليس مؤلفا حقيقيا وليس باحثا حقيقيا، وإنما هو أشبه بحاطب ليلٍ يجمع ما أمامه وليس له منه نصيب، وإنما نصيبه الجمع وركْم بعضه إلى بعض، فهذا دليل ضعف في الباحث، فإذن هذه هي طريقة التوثيق إن كان بالنص وإن كان بالمعنى.

<u>قد ينقل نصا يحتاج إلى أن يحذف بعض ما في النص فيضع ثلاث نقاط في المكان المحذوف (...)</u> يُعرف أن هنا حذف من الكلام وهكذا، وعلامة الحذف هي إحدى علامات الترقيم التي إن شاء الله سنتناولها في المستقبل، فإذن الحاشية لها وظيفة معينة تؤديها: توضيح الغامض، التعريف بمجهول، بيان مواضع النصوص، التوثيق، وهكذا، وتكون بخط دقيق أدق من الأصل، لمن يكتب بالآلة، أما من يكتب باليد فيصعب أن يتحكم في حجم الخط.

بعد أن يفرغ الباحث من كتابة البحث مسودا، يبدأ في تحريره مبيضا وصياغته الصياغة النهائية بالطريقة التي قلناها،

وعليه أن يراعي في الصياغة عدة أمور منها أمور منهجية:

١.**يراعي قواعد الاستدلال والمناقشة والترجيح والتوثيق ونحوها والدقة ونحو هذا من الأمور،** فإن كانت أمور تحتاج إلى وصف يسلك منهجا وصفيا، وإن كانت أمورا تحتاج إلى استنباط قاعدة يسلك منهجا استقرائيا، وإن كانت أمورا تستدعي استدلالا يأتي بالدليل لبيان موضع الاستدلال منه وهكذا، يكون ملتزما بالناحية المنهجية بدقة.

٢.**من الناحية الفنية لا بد أن يراعي عدة أمور منها:**

أ. **صفحة العنوان** وهي بالنسبة للبحوث

يراعى فيها عدة أمور منها: عادة البحوث تكون في الزاوية اليمنى يكتب فيها **اسم الدولة، واسم الوزارة، والجامعة، والكلية التي ينتسب إليها، والقسم الذي ينتسب إليه** مثلاً:

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الشريعة بالرياض

قسم الشريعة

فيكتب هذه كلها في الجهة اليمنى، والبعض قد يضع شعار الجامعة على اليسار.

ثم يكتب عنوان البحث في وسط الصفحة لا يكتب بحث بعنوان، إنما يكتب عنوان البحث نفسه، كما قلنا مثلاً (الزكاة وأثرها في بناء المجتمع المسلم) فيكتبه هنا في وسط الصفحة بخط عريض، ثم **يكتب تحتها (بحث صفي في المستوى الرابع أو الخامس) فيحدد المستوى** الذي هو فيه، **ثم يكتب إعداد الطالب أو الطالبة** ويكتب اسمه، **ثم إشراف (ثم يكتب اسم مشرفه مع لقبه العلمي)** تحت كلمة إشراف، **ثم يكتب العام الجامعي ١٤٢٨-١٤٢٩ هـ** مثلاً، وهكذا بهذا الشكل هذه صفحة العنوان لا بد من استكمال هذه المعلومات فيها، البعض يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فهذا غير صحيح، فالبسملة تكتب في داخل البحث وليست هنا، والنقص في هذه الصفحة يؤاخذ به الباحث فهو في صفحة العنوان ولا يحسن بالباحث أن يسيء في صفحة عنوانه.

ب. أن يراعي الفصل بين الأصل والحاشية، فيكون بينهما خط، وأن تكون الحاشية أدق خطاً من الأصل، وأن يكون بين كل جزئية من جزئيات البحث صفحة بيضاء ومكتوب فيها بخط عريض الجزئية التي ستأتي، مثلاً المقدمة فتكون في صفحة بيضاء مستقلة فاصلة بين عنوان البحث وبين ما بعده وما بين المقدمة، ثم بعد أن ينتهي من المقدمة يأتي مثلاً الباب الأول ويكتب عنوانه وفيه مثلاً ثلاثة فصول ويكتب الفصول، يفتح يأتي بصفحة الفصل الأول وفيه مبحثان مثلاً المبحث الأول كذا ويكتب عنوانه والمبحث الثاني كذا ويكتب عنوانه ثم يأتي بالمبحث الأول، وقد يكون فيه ثلاثة مطالب ثم يذكر تلك المطالب وهكذا.

وهذه الصفحات يضعها في كل شيء حتى يأتي صفحة الخاتمة وصفحة للفهارس إلى أن يأتي على الملاحق إلى أن يصل إلى نهاية بحثه.

ج. من الأشياء التي ينبغي أن تلحق البحث: الفهارس وينبغي أن يصوغها صياغة فنية دقيقة، والآن في برامج تعين على الفهرسة يمكن للباحث الاستفادة منها وفهرسة بحثه فهرسة دقيقة آلية، دون أن يحتاج إلى بذل جهد عقلي في الفهرسة كما

كان الناس سابقا يعملون.

د. **العناية بغلاف البحث** فالتغليف جزء من العناية بالبحث، كما أنك تحب أن يكون مظهر بيتك جميل ومظهرك جميل فكذلك لا بد أن يكون بحثك جميلا وأنيقا وأنت تقدمه، لذلك لا بد أن تعمل على تغليفه قبل تقديمه.

الحلقة (١٥)

هناك بعض القواعد ينبغي مراعاتها عند الكتابة، أذكر شيئاً منها:

١.**أن تكون المادة العلمية مكتملة** لأن نقص المادة العلمية سيؤثر في الإخلال بمرحلة الكتابة بقدر ما في تلك المادة العلمية من نقص.

٢. **أن يروض نفسه على الحذف والزيادة والاختصار فيما يكتب،** فالاقتباسات قد تكون طويلة وقد تكون كثيرة، فعلى الباحث أن يكون حازما مع نفسه كما ذكرنا سابقا فلا يدخل في بحثه كل ما جمعه من مادة علمية، قد يكون إدخالها حشوا واستطرادا ومضرا بمسيرة البحث، لذا ينبغي للباحث التهذيب وإعادة الصياغة مرة وأخرى.

٣.**الاهتمام بسلامة الأسلوب وقوته وسهولته وعدم تعقيده.**

٤.**أن يقدم الحقائق واضحة ومركزة،** كلما كانت الحقائق فيها وضوح وتركيز واكتمال كان أقرب إلى الناحية العلمية، لأن العلم يفترق عن الأدب ويفترق عن الفلسفة، فالعلم سمته الوضوح والدقة، أما الفلسفة فتجمع بين الوضوح والرمز، والأدب شأنه رمزي في الغالب، وكلما كان فيه وضوح فسد الذوق الأدبي وجماله.

٥. **أن يفتتح الفصل بمقدمة أو ملخص يسير قبل الدخول في صلب الموضوع، ليهيئ الباحث للدخول في مجال البحث.**

٦.**اختتام الفصل بفقرة تبين أهم ما وصل إليه من نتائج، لأنها تلخص للقارئ نتائج هذا المبحث ونحو ذلك.**

٧. **أن لا يكون النص المقتبس طويلاً** فالأصل أن لا يكون الاقتباس نصيا إلا إذا كان آية قرآنية أو حديثاً أو أثرا أو بيت شعر أو وثيقة رسمية، لكن أحيانا قد يحتاج الباحث إلى نقل كلام المؤلف بحذافيره حتى لا يساء فهمه، أو حتى لا يشوه المعنى، أو لا ينقله عبر فهمه هو له، فعند ذلك له أن ينقل بالنص ولكن يضعه بين قوسي تنصيص ويحيل عليه إحالة تبين أنه نقله بالنص، كذلك يجب أن لا يكون النص المنقول طويلا فينقل في حدود ستة إلى سبعة أسطر ولا يطيل في ذلك.

٨.**أن تكون شخصية الباحث واضحة فيما يقول ويدلي به** لأن وضوح الشخصية من الأمور المطلوبة في البحث، فمن وضوح شخصية الباحث انتقائه لمادته العلمية ولشواهده، فهذا يدل على تمييزه بين النصوص وانتقاء الجيد منها، كذلك من وضوح شخصيته قدرته على التحليل والنقد وبيان الصواب، كذلك مناقشاته واستدلاله وترجيحاته، فكلها دلالة على الشخصية، نجد بعض الباحثين يعرّف شيئاً معيناً فيسرد لنا عشرين تعريفاً أو أكثر لكن دون أن يتدخل بتحليل هذه التعاريف وبيان الرابط وما الجامع بينها وما الجانب الزائد وما الجانب الناقص وما المآخذ عليها وكيف ينبغي أن نصوغ تعريفا لهذا الموضوع الذي يعانيه، لا نجد هذا الجانب، فهنا لا تظهر شخصية الباحث، وإنما هو ناقل، قيل في تعريفها كذا وقيل كذا دون تبيين ما الرابط بين التعريفات، فلا يحللها ولا يبين هذه الجوانب، وليس ظهور الشخصية أن يقول قلنا وفعلنا، هذا سيعالج تحت الجانب الأخلاقي،وأشرت أنه أثناء الكتابة يجب أن يراعي الناحية المنهجية والناحية الفنية، وناحية الكتابة والأسلوب والعرض والصياغة، والناحية الأخلاقية، فمثلاً من الناحية الأخلاقية احترام آراء الآخرين، وتقدير وجهات النظر، وعدم التعصب لرأي معين أو وجهة نظر معينة، وأن لا يكون الإنسان مغرورا ويتحدث عن نفسه بنون العظمة قلنا وعملنا وفعلنا، الابتعاد عن التهكم والسخرية بالآخرين، فيجب الالتزام بالعدل في تقويم الآراء

ومناقشتها، وعدم تبني حكم سابق للبحث قبل أن يبحث، فما قيمة البحث إذا لم يكن البحث يتوصل إلى نتائج جديدة؟ فالأخلاق منها ما هو في ذات الشخص، ومنها ما هو في علاقته مع الآخرين، ففرق بين أن يقول بحثنا، فهنا يكون تعالى ولكنه تعالي ذاتي، وفرق بين أن يتكبر على أحد من الناس مثلاً.

٩. **أن يتحمل مسؤولية ما في بحثه** فما في بحثه هو تحت مسؤوليته وهو الذي يتحمله حتى وإن كان متابعا فيه، ما دمت نقلت هذا النص فأنت المسؤول عنه، لأنك أقحمته في بحثك ونقلته، فبالتالي يكون نقلك له نقل إقرار ما لم تكن نقدت هذا الرأي أو هذا القول الذي نقلته، فالأصل أن الإنسان يكون متحملا مسؤولية بحثه.

١٠.**أن يتجنب التكرار** سواء تكرار المعاني أو التكرار في الألفاظ في مقاطع معينة، نجد بعض البحوث نجد الكلام في صفحة وبعد أن نسير نجد النص في صفحة أخرى دون داع لهذا التكرار، مع أنه كان بإمكانه أن يستغني بأن يحيل على الموضع الأول ويكتفي بذلك فلا يكرر النقل مرة أخرى.

١١.**الحرص على مطابقة الكلمات المعاصرة لقواعد اللغة** فهناك كلمات أجنبية دخلت، فالأصل فيها أن يضعها بين قوسين حتى تميزها وخاصة أعلام الأجانب فيضع الأسماء بين قوسين، ويبحث عن ترجمة للكلمة الأجنبية أو يذكر أنه لم يجد ترجمة لها، أحيانا قد يكون لها مقابل معرب لكن هذا المعرب لم يكتسب الاصطلاح، فيضطر الباحث أن يضع شرطة ويكتب بجوارها الكلمة الأجنبية بجوار هذا المصطلح باللغة الأجنبية حتى يتضح المراد من معرفة المعنى الاصطلاحي الآخر، لأن الكلمة العربية اكتسب معناها الاصطلاحي من الكلمة الأجنبية.

١٢.**اجتناب الجدال بغير الحق أو لإظهار الذات أو نحو ذلك** ولكن الجدل بالحسنى مما أمر الله به، ولا يزكو العلم إلا بالمناقشة وبالحوار وبنحوها، ففرق بين المناقشة العلمية الجادة والهادفة والحوار المفيد وفرق بين الجدل المبرز للذات الذي يستهدف التفوق على الأقران، فهنا تجنب الجدال غير المثمر أو المضر أمر أساسي لا بد منه، وحينما يتناول الباحث الآراء يتناولها بأدب وأخلاق عالية، مثلاً يذكر آراء الأئمة أو المؤلفين باحترام لشخصياتهم ولأفكارهم ومقاماتهم، وإن كان قد ينتقد هذه الأفكار، فيجب أن لا نخلط بين النقد وبين الاستهزاء، فالسخرية والاستهزاء بالآخرين والسب والتجريح لهم شيء، ونقد الأفكار نقدا علميا شيء آخر، فالنقد العلمي هو الذي ينبغي على الباحث أن يمارسه بشكل دائم، لأن نقد الأفكار يؤدي إلى تطويرها وإلى توليد أفكار جديدة ونحو ذلك، فإذن المشكلة هي أن الإنسان قد يخلط أحيانا بين النقد وبين السب والتجريح، فالسب والتجريح شيء، والنقد العلمي شيء آخر، فالنقد العلمي مطلوب، والسب والتجريح مذموم.

١٣.**ينبغي للباحث إذا أراد الحذف من النص المقتبس أن يضع علامة الحذف** فالباحث قد يحتاج عند اقتباس نص معين أن يقتبس أول النص وآخره لكن قد يكون في وسط النص أمورا ليس بحاجة لها فيحذفها ويضع علامة الحذف وهي ثلاث نقاط (...) وقد يزيد في النص عبارات كأن يكون النص فيه كلمات ليست مستقيمة لغويا فيريد أن يصححها يضعها بين قوسين معقوفين أو مركنين ([]) ويبين في منهجه أن من اصطلاحه أنه إذا أراد أن يعدل في اللفظ مثلاً فإنه سيضعه بين قوسين مركنين وأنه عند الحذف يستخدم علامة الحذف وهكذا.

١٤. **ينبغي على الباحث أن يتجنب الكلمات الغريبة التي تحتاج من القارئ أن يرجع إلى معاجم اللغة** هناك بعض الباحثين والكتاب مغرمين بكتابة كلمات غريبة ميتة لا تستعمل، وهذا في الحقيقة أسلوب سيء غير مفيد، لأن منهج الإسلام منهج عملي، يحرص على ما يفيد، ويذم التقعر ويذم تصعيب الأمور بشكل لا حاجة له، فكلما كانت الأمور إلى السهالة وإلى اليسر وإلى القرب من الأفهام كان أفضل (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا) فالعلم له وظيفة هي تفقيه الناس وتفهيمهم

وإفادتهم ونفعهم، فإذا كان الإنسان يضع في بحثه من الأغلاق والأقفال ما يصعب بحثه حتى يطرد منه الناس أمر غريب، فعلى الباحث أن يبتعد عن الكلمات الغريبة أو غير المستعملة والوحشية، ويستعمل الكلمات الواضحة ما أمكن ذلك.

١٥.**ينبغي على الباحث استعمال الجمل القصيرة لأنها تساعد على الفهم** فكلما كانت الجملة أقصر كانت أسرع في الفهم، كما أن عليه أن يبتعد عن الفصل بين المتلازمين، فبعض الناس يكتب جزء من الكلام جوابه أو اكتماله يفصل بينه وبين البداية بفصل طويل، ثم يعود ويصل، فيحتاج القارئ إلى وقت حتى يدرك المعنى.

١٦.**ينبغي للباحث وهذه من الأخلاقيات أن لا يستعمل ضمير العظمة** فلا يقول نحن كذلك لا يقول أنا فعلت كذا، لكن من الذوق والأدب أن يقول :"هذا ما ظهر لي" أو "هكذا يبدو لي" والله أعلم، ونحو هذه العبارات التي فيها لطف وأدب لا سيما بالنسبة للباحثين الذين في أول الطلب.

١٧. **مراعاة مكونات الفقرات، بحيث تكون مستوفية للعناصر وتؤدي إلى نتيجة واحدة حتى لا يشتت فهم القارئ**، فكلما كانت الفقرة فيها الاستقلالية في معناها وفي نتيجتها كانت أسرع إلى الفهم وأيسر.

١٨. **ينبغي للباحث أن تكون جمله مترابطة وأسلوبه سهلا وميسورا قريب المعاني، وأن لا يكون مبالغا في عرضه للحقائق أو الحديث عنها، فالمبالغة مذمومة**، وكذلك السهالة التي تتنافي مع مستوى البحث مذمومة أو التساهل الذي هو في مقابل المبالغة مذموم وغير مرغوب.

١٩.**ينبغي للباحث إذا ذكر إشكالات أو شبهات يجب أن يكون قادرا على حلها** فإذا لم يستطع فعليه أن يتجنب ذكر الشبهات أو المشكلات التي لا يستطيع الإجابة عليها، حتى لا يحدث ضررا للقراء والكتاب ومن يطلع على بحثه أو يقرؤه، لأن بعض الباحثين يأتي بشبهات ثم لا يستطيع الإجابة عليها، فيكون المجال لأن ترسخ الشبهة في ذهن القارئ وليس أمامه حل لهذه الشبهة، فسيكون البحث ضارا بدلا من أن يكون نافعا، لأنه يورث بلبلة وأذى.

هذه بعض القواعد والأمور التي ينبغي للباحث أن يلاحظها أثناء كتابة بحثه.

وهناك بعض الأمور بالنسبة للاقتباس من المصادر ينبغي مراعاتها منها:

١. **أن يكون الباحث قد عرف أن هذا المصدر أصيل يثق فيه** بحيث يكون نقله عرف أن هذا الإنسان راسخ القدم في تخصصه في فنه، بحيث أنه إذا نقل منه ينقل وهو مطمئن إلى ما لدى هذا الكاتب من قوة، وليس معنى ذلك أن يستسلم لما يقول الكاتب ويكون مسلما، لكنه يختار المصادر الأصيلة في الفن الذي هو فيه ولا يلجأ للمصادر الثانوية.

٢.**أن يدقق الفهم فيما ينقله عن غيره ويوضح ويوثق هذا النص** لأن الباحث أحيانا لا ينقل بالنص وإنما ينقل مع التصرف، بالمعنى، فيعيد صياغة كلام الشخص المنقول منه، فإعادة الصياغة قد تكون سليمة، وقد تكون غير سليمة، بمعنى أنه فهم المؤلف فهما سيئا، لذلك المفترض أن يدقق الإنسان حينما يريد أن ينقل معنى كلام الآخرين أن يدقق وأن يجتهد أن يكون فهم الفكرة فهما سليما، وأيضا مع هذا يوثق بما يفيد أنه صاغ الفكرة لا أنه صاحبها الذي قال الكلام، بأن يورد قبل التوثيق كلمة "انظر" أو "ينظر" بحيث يعرف القارئ أن الباحث قد تصرف في النص المنقول وأعاد صياغته مرة أخرى.

٣.**أن لا يكثر عند الاقتباس من الأخذ عن الآخرين بما يضيع شخصيته** البعض ربما لو أعدت النصوص التي أخذها كل نص إلى موضعه لم يبق معه إلا ربما عناوين بحثه، لأن كل ما في البحث عبارة عن نقل، فهذه من البحوث السيئة التي يكون فيها دور الباحث هو دور الناقل فقط وليس دور الحاضر المحلل المشخص الملخص، الذي يتصرف ويبين عن قدرته ومهارته وفهمه لما يبحث، فالإكثار من النقل مذموم، وقد يأتي لنا بحث كبير جدا لكن إذا فحصناه وجدنا أنه لا قيمة لهذا

الكم، لأن هذا الباحث إنما كان يجمع جمعا من الآخرين، ليس عمله بناء وإنما هو ركام أو تراكم، فالأخذ عن الآخرين بهذا الشكل أمر سيء ومذموم ولا ينفع أن يكون البحث كبيرا لأنه ليس له من الجهد إلا الجمع فقط.

٤. **الحرص على الترابط بين جزئيات البحث** بين النصوص المنقولة بعضها عن بعض، وكذلك يربط الفصول مع بعض، والأبواب مع بعض، والمباحث مع بعض، بحيث يبدو البحث مترابطا متماسكا.

٥. **أن الباحث حينما ينقل من الآخرين لا يذكرهم بألقابهم،** فلا يقول مثلاً الدكتور فلان ولا الشيخ فلان ولا الأستاذ فلان، ولا غيرهم، لأن القضية هنا هي نقل لناحية علمية أو نقل معرفة، فيكفي الإشارة إلى الشخص فلان الفلاني كتابه الفلاني وهكذا.

٦. **ينبغي العناية بقواعد الإملاء وقواعد اللغة العربية وعلامات الترقيم.**

الحلقة (١٦)

توقفنا في الحلقة السابقة على الحديث عن استخدام علامات الترقيم، وهي علامات اصطلح عليها الباحثون، ولكل حضارة علاماتها، فكان في الحضارة الإسلامية مجموعة من علامات الترقيم يستخدمها الباحثون، لذلك نجد في المخطوطات إشارات معينة كخط فوق الكلمة، كحرفي (ا.هـ) ونحوها من المصطلحات التي هي بمثابة علامات ترقيم كان يأخذ بها المسلمون في الماضي.

الحضارة الحديثة استحدثت علامات ترقيم جديدة تعين على فهم النصوص، لأن لها دلالات معينة مرتبطة بالسياق الذي توضع فيه.

فمثلاً **النقطة (.) وهي عادة توضع في نهاية الكلام، عندما ينتهي السطر وينتهي الكلام ويبدأ كلاماً جديداً لا يوجد بينه وبين الكلام السابق ارتباطاً تاماً لا يعني أنه لا يوجد ترابط، ففرق بين الارتباط وبين التراتب، فما سيأتي هو مترتب على ما قبله، لكن نبدؤه من أول السطر، وما كان انتهي المعنى عنده فنضع النقطة، وكذلك توضع بعد الجملة التي فيها المنادى** مثل يا فلان ادخل البيت. نقطة وهكذا.

النقطتان فوق بعض(:) وهي تكون بعد لفظ القول، مثل: قال تعالى وتضع نقطتين (:)، وهكذا، يقول الشاعر ونقطتين (:) وهكذا، **بين الشيء وأقسامه،** حينما تريد أن تقسم شيئا معينا تقول ينقسم هذا الشيء إلى عشرة أقسام ثم تضع النقطتين (:)، أيضاً **بعد كلمة مثل،** لما تذكر مثل كذا تضع النقطتين (:) لأنك ستبين ما بعده.

من علامات الترقيم **الفاصلة (،)** وهي أشبه بالواو ولكنها مقلوبة <u>وتوضع في عدة مواضع منها:</u>

١. **بعد المنادى** مثل يا فلان (،) لأنك ستكمل الكلام، زيد ادخل البيت، يا طالب افهم الدرس، فتضع الفاصلة ثم تكمل البقية ثم تضع النقطة.

٢. **بين الجملتين المترابطتين في الإعراب أو في المعنى،** فتضع بينهما فاصلة لأنهما مرتبطتان.

٣. **بين الشرط والجزاء،** توضع هذه الفاصلة لأن الجزاء مرتبط بالشرط، فهذه تفصل بين الجملتين، ويدل على أنهما مرتبطتين.

هناك فاصلة وتحتها نقطة وتسمى **الفاصلة المنقوطة (؛) وتأتي تسبق التعليل أو السبب** مثل: صام فلان هذا اليوم؛ لأن عليه قضاء، **فتكون هذه الفاصلة قبل التعليل، أو تفسير إذا كان هناك تفسير لشيء أو جملة تفسيرية لما قبلها فنضع الفاصلة المنقوطة، الجملتين المرتبطتين بالمعنى دون الإعراب.**

من علامات الترقيم **علامة الاستفهام (؟) تأتي بعد السؤال،** صيغة استفهام استنكاري، أو توبيخ، أو تقريري، وأياً كان نوع

الاستفهام تكون بعده هذه العلامة.

علامة الانفعال أو التعجب (!) وهي أشبه بالألف تحتها نقطة: **في حال السرور وعندما يعبر عن الحزن لشيء معين حدث، وفي حال الإعجاب بشيء، في حال الاستغاثة، وفي حال الدعاء.**

الشرطة (–) هي أفقية هكذا واحدة، تكون في: **أول السطر حينما يريد الإنسان أن يعد أشياء يضع شرطة في البداية، فقد لا يحتاج إلى ترقيم فيضع هذه الشرطات، كذلك بين العدد والمعدود** مثل: أولاً أو (–).

الشرطتان اللتان تكونان متجاورتان لكن بينهما جملة اعتراضية(– –) مثل الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وجملة الترحم وجملة الترضي على الصحابة، الجملة الاعتراضية.

هناك علامتان يسمونها الشولتان وتسمى **علامة التنصيص ("")** وهما القوسان الصغيران متجاوران هذه تسمى علامة التنصيص، **وهي تكون عادة إذا نقل الإنسان نصاً لمؤلف أو كاتب أو نحوه** يضعه بين علامتي تنصيص، **ما عدا نص الحديث ونص القرآن فلهما أقواس أخرى**، فمنها أقواس مزهرة كانت، **والتي في وسطها أشبه بالنجمة ﴿ ﴾ وهي عادة تستخدم للقرآن الكريم**، والأقواس الهلالية ( ) **هذه تستعمل للأحاديث، وقد توضع للأسماء الأجنبية بينها، وقد توضع للمصطلحات ونحو ذلك.**

القوسان المركنان [] التي تأتي بشكل ركني، **هذان يوضعان حينما يضيف الإنسان إضافة في البحث، ليدل بهما أن ما بين هذه القوسين هو من إضافته وليس من كلام المؤلف الذي نقل منه.**

نقاط الحذف ثلاث نقاط أفقية (...) لما يضع ثلاث نقط أفقية يدل على أن الباحث حذف شيئاً من الكلام.

أمور يحسن التنبيه عليها: مثل بعض الأشياء التي تحتاج إلى إيضاح، **فلابد من وضع الشكل** [أي الحركات]، **لا يطالب الباحث أن يشكل بحثه كله، إنما يشكل على ما كان مظنة الاستشكال**، مثلاً: في حالة البناء للمجهول، (يُكْتَبُ) لابد أن يضع عليها التشكيل حتى تفترق عن (يَكْتُبُ) و(يُكْتَب) لابد أن يضع الشكل حتى يتضح أن هذا مبني للمجهول.

الكلمات التي تتشابه في اللفظ وتختلف في المعنى يعني (حمْد) (حَمَد) هنا كلمتان مثل بعض لكنهما لا نعرف ما المراد بهما، إما بالشكل وإما بالسياق، الكلمة موجودة في سياق معين يجعلك تفهم كيف تنطق، وإن لم تكن في سياق مفردة لابد أن تكون مشكولة وإلا لما عرف ماذا يراد بها، وأيضا يعني بعض الكلمات من هذا القبيل مثل (الكتاب) و(الكتّاب) متشابهتان.

وبعض الحالات التي يقدم فيها المفعول على الفاعل {إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ} مع أمر مهم وهو أن هذا الشكل فقط في الأشياء التي قد توهم أو توجد لبساً لدى القارئ، لكن لا يضع الباحث شكلا لبحثه كله إلا ما دعت له الحاجة، وأيضا التشكيل يكون عادة للحروف التي يرد فيها الإشكال، فهي التي يضع فيها.

بالنسبة للحواشي التي تكون في أسفل الصفحات

الحاشية للباحثين طرق في استخدام الحواشي من الطرق

أولاً: أن البعض قد يضع الحواشي آخر البحث، ولا يكتب في أثناء البحث أي حاشية، وإنما يضع الأرقام عند المكان في أثناء البحث، ويستمر في الترقيم المتسلسل إلى آخر البحث، ويضع الحاشية في نهاية بحثه.

الناحية الثانية: أن بعض الناس يضعها في آخر الفصل أو آخر كل مبحث مع التزام طريقة الترقيم المتسلسل أو الترقيم المتسلسل لكل فصل أو لكل مبحث على حدة.

الطريقة الأخرى: التي هي ما يجري عليه معظم الباحثين وهو أن يضع الحاشية في أسفل كل صفحة، معنى الإحالات التي وردت في أعلى الصفحة يراها القارئ في أسفل الصفحة مبينة ما المراد، أو على أي شيء أحال في هذه الصفحة أو في بحثه هذا.
هذا بالنسبة لطريقة الحواشي، إما أن تكون في نهاية الكتاب، وإما أن تكون في نهاية الفصل أو المبحث، وإما تكون في آخر الصفحات أول بأول.
ثانياً: بالنسبة للحاشية ما هي وظيفتها؟ الحاشية لها وظيفة معينة تخدم النص الأصلي في البحث من حيث:
أولا: التوثيق معنى بيان مصادر هذا النص الأصلي.
وطريقة التوثيق: النقل إما أن يكون نصا، وإما مع التصرف، فإن كان النقل بالنص فتكون الإحالة بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب والجزء إن وجد والصفحة، وبعض الباحثين يرى أن بعض مناهج البحث ترى أنه يجب أن يذكر المعلومة كاملة حينما يرد المرجع لأول مرة، بمعنى أنه يذكر مكان النشر وتاريخ النشر والطبعة والتحقيق ونحو ذلك، يذكر كل المعلومات إذا كانت أول مرة، والبعض يقول لا بل يُكتفي فقط باسم الكتاب والمؤلف والجزء واسم الصفحة، هذه الطريقة الإحالة.
ثانياً: بيان مواضع الآيات.
ثالثاً: تخريج الأحاديث، **والتخريج يتضمن أمرين**:
الأول: بيان من خرجه من أصحاب المسانيد والصحاح والسنن، والحكم على الحديث درجة الحديث.
ثم غير التخريج **رابعاً**: بيان التعريف بالأعلام غير المشهورين أي تراجم الأعلام، كذلك التعريف بالكلمات الغريبة في البحث بالأماكن والعلامات والمصطلحات وما يحتاج إلى شرح كشرح غامض الكلمات فيكون شرحها في الحاشية.
وهكذا فالحاشية لها عدة وظائف يمكن أن تخدم من خلالها النص.
مما ينبغي وضع الفاصل بين الحاشية والأصل، وتكون الحاشية بخط أدق من المكتوب في الأصل، وأن لا يثقل الحواشي كثيرا، بعض الباحثين نجد أنه يكتب تراجم موسعة جدا يكتب كل مصطلحات العلم، فإذا كنت تكتب لعلماء مثلك في الفن فيجب أن لا تتكلم في المصطلحات بهذا التوسع، إن كان هناك كلمة غامضة أو مصطلح له صله قوية بالموضوع، أما المصطلح العارض فلا يقف الإنسان عنده، لكن قد يكون بعض المصطلحات له صله قوية في البحث.
فإذن من الأشياء التي يهتم فيها الإيضاح إذا كان هناك شيء مجمل أو يحتاج إلى شرح يوضحه، لأن الشرح في الأصل يؤدي إلى قطع التسلسل الذهني وإلى إقحام شيء هامشي وليس أصليا في البحث، ولذا كان الإيضاح والشرح يكون في الحاشية.
قد يستخدمها أيضا للإحالة، فمثلاً الباحث يخرج حديث ثم يحتاج للاستشهاد بالحديث في موضع آخر، فهل يحتاج إلى إعادة تخريج الحديث؟ الأصل أن يقول: انظر سبق تخريج الحديث صفحة كذا من البحث، فيحيل على هذا التخريج ويكفي ذلك.
كذلك قد يكون مصطلحا أو علما أو أن يكون هذا الموضع له صلة بموضع آخر من البحث فيقول: انظر صفحة كذا أو الموضع الفلاني.
هذا أهم ما يمكن أن نشير إليه مما يجب على الباحث أن يراعيه في كتابة بحثه، سواءً من ناحية الأخلاقيات، أو من ناحية الأسلوبية، أو من الناحية الفنية أو من الناحية المنهجية.
ننتقل إلى نقطة أخرى وهي **ما استجد بالنسبة للحاسب والاستفادة منه** في البحث، هذا أمر مهم قد أشرت في مسألة البطاقات الإلكترونية فذكرت أن **البطاقات ثلاثة أنواع**:
بطاقة الملف والبطاقة الورقية والبطاقة الالكترونية أو المجلد الإلكترونية هذا في الحقيقة عن طريق الحاسب يعني فتح آفاق

أمام الباحثين، بحيث يستطيع الباحث أن يكتب بحثه على الجهاز مباشرة ويحول هذه المسودة إلى تبييض، يعني لا يحتاج أن يكتب المسودة ثم يرميها ويكتب المبيضة، يكتب مباشرة فيطور عمله شيئا فشيئا إلى أن يكتمل بصورته النهائية، فيبدأ بكتابة الهيكل، ويطور هذا الشيء، وينقل من النصوص التي يريدها، من المجلدات التي جمعها أثناء بحثه، هنا أحد المتخصصين في هذا المجال يذكر **إيجابيات للحاسب الآلي** قال منها:

١.**القدرة العالية على تخزين كم هائل من النصوص والصور والأشكال** في مجال جمع المادة العلمية تجمع الكم الكبير في الحيز الصغير، في حين أنك لو كنت تجمع ورقيا ربما احتجت إلى ملفات كثيرة وإلى أدراج عديدة تحوز هذه البطاقات الورقية التي تجمعها، في حين أن الحاسب يحفظها لك في جهاز صغير تحمله في جيبك.

٢.كذلك قال **المجال الثاني القدرة الفائقة على تحرير النصوص وكتابتها وتنسيقها وكتابة هوامشها دون الحاجة لمسح النص أو إعادة كتابته مرة أخرى، كما يسهل إضافة نص جديد له،** هذا الجانب مهم جداً، لأن الكاتب باليد يستغرق وقتا، ولو أخطأ ولو في جزئية يحتاج إلى طمس ثم إعادة كتابة أو تمزيق الورقة وإعادة كتابتها، أما في الحاسب من السهولة أن يمسح ويحذف وأن يضيف وأن يزيد، حتى يخرج كتابته في أجمل صورة وأبهاها دون أن يخسر وقتا طويلا في ذلك.

٣.قال أيضا هذه أشرت إليها **عدم الحاجة إلى ملفات ودواليب** فهنا **توفير مبالغ مالية وتوفير جهد وتوفير مكان كذلك الحيز** قد تكون عشر ملفات وعشرين ملف ألف بطاقة فتحتاج إلى حيز لتحفظها في الغرفة فتضيق عليك في مكتبتك.

٤.**كذلك القدرة على تحرير الفصول،** قلت أنك لن تحتاج أن تكتب مسودة ثم تلغيها فتكون مثل الناحت الذي ينحت رسما معينا من الصخر يعدل فيه ويعدل، أو مثل ذلك الرسام الذي يرسم حتى يفرغ منه، فأمامك هذا الشيء لا يحتاج إلى تمزيق أو غيره.

٥. **أيضا القدرة على التدقيق الإملائي والتصحيح اللغوي والترتيب الأبجدي تلقائيا وعمل الفهارس بالمحتويات والأشكال والأعلام والأماكن وغيرها** كان الباحثون يعانون منه كثيرا الفهرسة، الآن هناك برامج تفهرس لك مباشرة وتخرج لك ما شئت من هذه الفهارس، فهذا أيضا جهد كبير جدا يوفره الباحثون عن طريق الحاسب.

٦. القدرة على التخزين وإدخال هذه الصور ضمن بحثك يسهل عليك هذا.

٧. **أيضا القدرة على استلام البيانات عن طريق البريد الالكتروني أو من خلال إنزال المعلومات من الإنترنت** فالآن بسهولة تنزل الكتاب بكامله وتأخذ ما تريد من هذا الكتاب، وتوفر وقت الرجوع للمكتبات، فعن طريق مواقع المكتبات وأنت جالس في بيتك ستزور المكتبات كمركز الملك فيصل، مكتبة جامعة الملك سعود، مكتبة جامعة الإمام، مكتبة الملك عبد العزيز، إلى آخره من مكتبات في داخل الرياض وخارجها بل وفي خارج المملكة تستطيع أن تدخل إلى قواعد المعلومات في أي مركز علمي في العالم وأنت في بيتك لا تحتاج إلى سفر أو الخروج من البيت والبحث والمعاناة.

٨. قراءة البحوث والكتب الالكترونية وتوفرها في شكل أقراص مدمجة تيسر وتقرب المعرفة، موسوعات متعددة في العلوم الإسلامية سواء في القرآن الكريم وعلومه أو في الفقه الإسلامي أو في أصول الفقه أو في الحديث والتخريج أو التاريخ وكافة العلوم ميسرة وموفرة على هذه الأقراص المدمجة، تأخذ القرص الواحد وتبحث فيه، مع سهولة البحث والوصول إلى المعلومة بيسر وسهولة بدل أن كنت تبحث في الفهرس العام وتقلب فيه ثم تبحث في المعلومة هل هي ملائمة أو غير ملائمة أصبحت تدخل الكلمة في المعلومة التي تريدها وبسهولة تخرج لك الذي تريد.

٩.**كذلك تبادل الاستبانات لمن بحوثهم تتطلب الاستبانات.**

١٠.القدرة على المسائل الحسابية هذا لمن لديه هذه الجوانب.

تلك بعض الإيجابيات التي للحاسب الآلي، والتي من خلالها يمكن للباحثين الآن أن يستفيدوا من هذه الأمور التي يسرت ووفرت للباحث الجهد والمال وهذا من فضل الله عز وجل.

الحلقة (١٧)

المصادر: جمع مصدر، وقد فرق بعض أصحاب مناهج البحث بين المصدر والمرجع، فرأوا أن المصدر يعني شيئاًوأن المرجع شيئاً آخر.

ومما قيل في تعريف المصدر بأنه: أقدم ما يحوي مادة عن موضوع ما، أي أنه الكتاب أو المصدر الذي هو أصلٌ في بابه، **وأيضاً عرف بأنه** الوثائق والدراسات الأولى منقولة بالرواية أو مكتوبة بيد المؤلفين الثقات الذين أسهموا في تطور العلم أو عاشوا الأحداث والوقائع أو كانوا طرفا مباشراً فيها، أو كانوا هم الواسطة الرئيسة لنقل العلوم والمعارف السابقة للأجيال اللاحقة.

إذن إما أن تكون الوثائق نفسها أو الوثائق التي كتبها من شهد هذه الأحداث أو عاشها أو أن تكون تلك الوثائق التي نقلها آخرون اعتبروا هم الواسطة لولا وجودهم لضاعت تلك المعلومات.

قيل ومما يعتبر في هذا القسم سجلات الدواوين الحكومية وما ينشره الكتاب بأقلامهم في الدوريات العلمية والصحف والمجلات وغيره.

ما المصدر؟ وما المرجع؟ لو كنا نريد أن ندرس شخصية ما، **المصادر هي تراث هذا الشخصية**، يعنى ما كتبه هذا الشخص سواء من سيرة ذاتية أو مؤلفات يعتبر في حال دراسة الشخصية هو المصدر، **وما كُتِب عنه يعتبر هو المرجع.**

وقد يراد **بالمصدر الكتب التي يفيد منها بشكل أساس، والمرجع ما يفيد منها بشكل ثانوي**، مثلاً: إنسان أراد أن يبحث في الفقه، فرجع إلى كتب الفقه في بحثه فتعتبر هذه مصادر، ورجع إلى معاجم لغوية ورجع إلى كتب التراجم فهذه تعتبر مراجع، وتلك تعتبر مصادر.

وقد عُرِّف المرجع بأنه كتب يرجع إليها بقصد الحصول على معلومات وحقائق محددة وتكون في الغالب مرتبة بطريقة تيسر الحصول على المعلومات، هي في ما يبدو أن المسألة فيها نوع من الاجتهاد في تحديد المصدر والمرجع، لكن في كل الأحوال **نلاحظ أن المصدر** له اتصال مباشر أو أساس في البحث، سواء كان أساسا في الفن أو كان أساساً في دراسة الشخصية أو كان أساساً في معالجة الموضوع، فلذلك عُرف بأنه **كل كتاب تناول موضوعاً وعالجه معالجة شاملة وعميقة، أو هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول والتعمق بحيث يصبح أصلاً لا يمكن أن يستغنى عنه.**

مثلاً:كتاب المغني في الفقه، درس الفقه دراسة شاملة ومحيطة فأصبح أساساً في هذا العلم، لا يستغني عنه أصحاب الفكر الفقهي، فيعتبر مصدراً في الفقه، بعكس كتاب كتب في جانب من جوانب الفقه فإنه يعتبر مرجع، **فنلحظ أن المصدر** ينحى منحى الأساس أو الأصل، **والمرجع** ينحى منحى الشيء الثانوي أو المكمل أو الذي ليس أصلا في بابه.

في عصرنا هذا لم تعد الكتب هي المصدر الوحيد، أصبحنا نتكلم عن أوعية معرفة، أوعية لخزن المعرفة وهذه المعرفة تتعدد وتختلف، مثل المجلة والصحيفة والشريط والقرص المدمج وشبكة الإنترنت وقواعد البيانات والحواسيب والفضائيات والإذاعات المسموعة.

لكن إذا جئنا إلى الكتب **نجد أن المصادر من هذه الناحية و المراجع من هذه الناحية أنواع: منها كتب تدل على الكتب**، أي كتب وضعت لتدل على الكتب سواء الكتب المخطوطة مثل كتاب "تاريخ التراث العربي" لفؤاد سسكين و"تاريخ الأدب

العربي" لكارل بروكيلمان ونحوها، مثل فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ومثل فهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام، ومثل فهارس عن الرسائل العلمية، أو عن مطبوعات حكومية، وهكذا تتنوع وتتعدد فهي كتب وإنما تدل على كتب، بمعنى أنها تتضمن فهارس لهذه الكتب الموجودة، وترشد إليها.

هناك من الأنواع: **الدوريات** سواء كانت مجلات محكمة تصدر دورياً، أو أي شيء يصدر دورياً حتى ولو لم يكن مجلات، قد تكون أدلة تصدر بشكل دوري، قد تكون كشافات تحليلية للصحف ونحو ذلك.

هناك **كتب عن الكلمات** مثل القواميس والمعاجم، وهي تبين معاني الكلمات من الناحية اللغوية، منها الموسع مثل تاج العروس، لسان العرب، ومنها الضيق مثل مختار الصحاح، مجمع اللغة العربية أصدر المعجم الكبير والأوسط والصغير، وميزة المعجم الذي أصدره مجمع اللغة العربية أنه أدخل فيه الكلمات المحدثة والمولدة، ومعنى المولدة هي الكلمات التي استخدمها الناس بعد دخول اللسان العربي الألسن الأخرى، وليست سماعاً من العرب، ويشير إلى كل كلمة برمز (م و) يعني مولدة و (م ح) أي محدثة، وأدخلت كثير من الكلمات الحديثة في هذه المعاجم التي أصدرها مجمع اللغة العربية.

ولكن الكتب التي عن الكلمات أوسع من كتب المعاجم اللغوية، لأن لدينا معاجم في مختلف الفنون، وفي العلوم الاجتماعي ومعاجم فلسفية ومعاجم للقانون وللفقه ومصطلحات الفقه وأصول الفقه ومصطلحات علم النفس والتاريخ، وهذه عبارة عن معاجم لكنها معاجم لعلوم وليست عن كلمات لغوية فقط.

كذلك هناك **كتب متخصصة عن الأماكن** مثل الأطالس والقواميس الجغرافية، كقاموس معجم البلدان لياقوت الحموي.

هناك **كتب عن الأشخاص** مثل التراجم، مثلاً سير أعلام النبلاء للذهبي، تاريخ الحضارة الإسلامية، تهذيب التهذيب، ونحوه، لسان الميزان، وميزان الاعتدال، كلها كتب في أسماء الرجال وسيرهم.

هناك أيضاً من الكتب عن الناس **كتب السير الذاتية** بعضهم يكتب لنفسه سيرة ذاتية.

كذلك **الموسوعات ودوائر المعارف**، هذه الموسوعات تحتوي معلومات عامة، تجد فيها تحت هذه القواميس قد ضمت معارف متنوعة ومتعددة وتأتي على شكل مواد، مثل دائرة معارف القرن العشرين ومثل الموسوعة العربية الميسرة و ونحوها، كذلك مثل الموسوعة العربية الإسلامية، وموسوعة دائرة المعارف الإسلامية وقد أخرجها مستشرقون بريطانيون وترجمت ترجمة جزئية أي ترجم جزء منها وعليها تعليقات ترجمت في مصر، ثم أُعيدت ترجمتها ولكن بشكل مختصر وطبعت هذه المختصرة كاملة، أما الأولى لم يطبع منها سوى ستة عشر جزءاً، هذه دوائر المعارف أيضاً تسمى مراجع المراجع، وتسمى بذلك لأن الباحثين الذين كتبوا فيها إذا كتبوا فيها عن فلان عن ابن حنبل مثلاً بعد أن ينتهوا من هذه الشخصية يضع تحت المادة المراجع عن الشخصية، فأنت لكي تستفيد من هذه مراجع المراجع ترجع إلى ترجمة العلم وسيدلك على مراجع حول هذا العلم أو الفن أو المصطلح، لأن موسوعة دائرة المعارف الإسلامية البريطانية هذه احتوت على أشياء كثيرة، على مذاهب وعلى أشخاص وعلى علوم ومصطلحات وعلى موضوعات كثيرة لأنها مختصة بالحضارة الإسلامية.

هناك **كتب عن الحضارات والتطور الحضاري**، مثل قصة الحضارة لولبيرانت، هذه قصة الحضارة حاول أن يستعرض فيها حضارات البشرية، كذلك كتاب دراسة التاريخ لتوينبي ومثل تاريخ العلم ونحو ذلك من الكتب التي تعنى بالجانب الحضاري التطوري للإنسان.

هناك مراجع للموضوعات المتخصصة بحسب ما يعرض في المكتبة وقد سبقت الإشارة إلى التصنيف العشري الذي تجري عليه معظم المكتبات وتفرع منه العلوم، فإذا أراد الإنسان أن يبحث عن شيء عن الإسلام مثلاً يذهب إلى الديانات ثم إلى

الدين ثم يبحث في الإسلام وما يندرج تحته من علوم، لكن البحث في المكتبات تيسر كثيراً بحيث أصبح الباحث يستفيد من المكتبات عن طريق العرض الموجود في قواعد البيانات في الحاسب الآلي، يُدخِل أي كلمة يريد أن يبحث عنها في أي مجال فيجدها بسهولة.

بالنسبة للمصادر الإسلامية، الحقيقة أن الأمة الإسلامية اعتنت بالمعرفة وبالكتابة وبتأسيس العلوم وذلك لأن الوحي لما تنزل كان لا بد من وجود علوم تخدم هذا الوحي، وقلت إن العلوم بعضها مُوَثِّقة وبعضها شارحة وبعضها مُعِينة على الفهم، مثلاً نشأت العلوم الإسلامية والعلوم العربية لخدمة هذا النص العظيم حتى يتيسر فهمه ويعرفه الناس ويطبقونه ويعيشونه في حياتهم.

المصادر أو ما يسمى مدونات المصادر الإسلامية عملت بعدة طرق ونعني بها الكتب التي تعنى بالحديث عن العلوم وعن الكتب التي كتبت في هذه العلوم، لذلك اختلفت طرق المؤلفين:

منهم من يجعل اسم العلم هو الأساس ويدرج تحته ما كُتب في هذا العلم من أسماء المؤلفين وكتاباتهم ونحو ذلك وممن سلك هذا المسلك فهرس العلوم لابن النديم، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبري زادة، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكيلمان، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، فطريقة هؤلاء المؤلفين أنهم يذكرون العلم ويتكلمون عنه ثم يبينون ما خدمه من مؤلفات.

من المؤلفين من آثر ترتيب أسماء الكتب حسب ترتيب حروف الهجاء، ويذكر الكتاب واسم مؤلفه بحسب الفن الذي هو فيه، مثل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا البغدادي.

طريقة ثالثة للمؤلفين في المصادر أنهم اتخذوا أسماء المؤلفين أي عكس الطريقة السابقة التي هي كانت تبدأ بأسماء الكتب، هؤلاء يبدؤون بأسماء المؤلفين ويبدؤون بالكلام عن حياة المؤلف ثم تسرد المصادر والمؤلفات المنسوبة إليه تحت اسمه، من هذه الكتب: معجم المصنفين لنظام شاه آصف، وكتاب هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.

الطريقة الرابعة: عرض المصادر التي في تخصص معين، فجعل لدراسة مصادر علم بعينه، وهؤلاء متخصصون في فن، نجد أن كتبهم لا تحوي فنونا عدة لكنها تكون في فن واحد، مثلاً: التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، والرسالة المستطرفة لمحمد جعفر الكتاني، والحديث والمحدثون لمحمد أبو زهو.

هذه مجموعة من مصادر المصادر أي كتب تتكلم على المصادر، واختلفت طرق المؤلفين في استعراض هذه المؤلفات أو استعراض هذه الفنون، ولكنهم جمعوا فيها خيراً كثيرا، وربما من الأيسر لمن أراد أن يبحث في التفسير وحده أو الحديث وحده أن يذهب للذين نهجوا منهج الحديث عن الفن، لأن ذلك سيكون أعمق وأجود وأكثر فائدة، لكن لا يعنى أنه لن يستفيد من الآخرين الذين كتبوا عن الفنون بشكل عام، بل سيستفيد ذكر مصادر ومراجع، **ولذلك ينصح من أراد أن يبحث في تخصص معين أن يلجأ أولاً إلى الذين تخصصوا في الفن، ثم بعد ذلك إلى المؤلفات الأخرى.**

مثال هذه الكتب:

١- **إحصاء العلوم للفارابي**، قسم الفارابي العلوم في هذا الكتاب إلى ثمان مجموعات، درسها في خمسة فصول، وعرض لكل مجموعة منها، فذكر فروعها وموضوع كل فرع وأغراضه ووجوه الانتفاع به وما يتبع ذلك، مثال لذلك: أحدها مجموعة علوم

اللسان، ثم علم المنطق بجميع فروعه،... وسار في هذه العلوم بهذا الشكل، كل علم وما يندرج تحته من علوم وتفصيلات.

٢ - **الفهرس لابن النديم لأخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين** وأسماء ما صنفوه من الكتب هذا توفي سنة ٣٨٥ أي ترجم للعلم أو الفن ومن خلاله ينفذ إلى التعريف بعلماء، كل علم من هذه العلوم وكل مؤلف في موضوعه، ويحاول استيعاب جميع الكتب التي في زمانه، قسم كتابه إلى عشر مقالات، وكل مقالة اشتملت على العديد من العلوم، مثال عليه المقالة الأولى تحتوى على ثلاثة فنون: وصف اللغات، أسماء الشرائع المنزلة، نعت الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأسماء الكتب المصنفة في علومه، ويلاحظ أن المقالة قد لا يظهر فيها رابط واضح بأنها ليست فن قائم بذاته مثل ما كان الفارابي يصنع، الفارابي مثلاً يقول: علوم اللسان ولا يدخل معها شيء آخر ليس منها، علم المنطق وهكذا، هنا نجد أن المقالة الأولى احتوت على ثلاثة أمور أقرب لثلاث تخصصات.

المقالة الثانية وهي ثلاثة فنون في النحويين واللغويين وأسماء كتبهم، وهكذا كل مقالة ليست في علم معين، وإنما تحوي مجموعة فنون يكون بينها نوع من التقارب، مثلاً الثالثة ثلاثة فنون في الأخبار والآداب والسير والأنساب وأسماء المؤلفين فيها، الرابعة في أخبار العلماء وأسماء من صنفوهم والشعر والشعراء.

نلاحظ أحياناً أن المقالة الواحدة في فن معين كما في الثالثة والرابعة، لكن بعضها قد يكون فيها أكثر من فن.

مثلاً في الخامسة فن واحد هو الكلام والمتكلمين، السادسة ثمانية فنون: في الفقه والفقهاء والمحدثين وأسماء ما صنفوه، فهكذا إذن لا يسير على نمط واحد.

هنا نعطي مثال آخر ٣- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** ذكر في أوله فضيلة العلم والتعليم أي مقدمة عن العلم، ثم ذكر العلوم المتعلقة بالألفاظ وأسماء الكتب المدونة فيها وتراجم المصنفين والشعراء ونحو ذلك، وفي الدوحة الثالثة لأنه يذكر دوحات الدوحة الأولى مقدمة عن العلم، ثم عن العلوم المتعلقة بالألفاظ وأسماء الكتب المدونة فيها وتراجم المصنفين والشعراء ثم عن علم المنطق وهكذا وسار بهذا الشكل، وهكذا تأتي هذه الكتب.

ومن ضمنها ٤- **كتاب الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة** تأليف محمد بن جعفر الكتاني متوفي متأخراً ١٣٤٥ هـ يُعتبر الكتاب متخصص في علم الحديث فقط، ولم يتطرق إلى علوم أخرى، ومعروف أن علوم الحديث علوم متعددة، ويقول وقد أتى على حصر معظم الكتب المؤلفة في أربعة وخمسين فناً من علم الحديث، ليس هذا فحسب بل ضمن هذا التأليف شرحاً وتحليلاً لمصطلحات المحدثين في تسمية الفنون الحديثية، ليجعل القارئ على معرفة تامة بالمقصود بها لدى المحدثين، والكتاب نادر في موضوعه مفيد فيما تناوله.

الحلقة (١٨)

انتهينا من الحديث عن مدونات المصادر والتي تعرف أيضا بمراجع المراجع، وذكرت مصادر متنوعة من المصادر القديمة والمصادر الحديثة ومن المصادر التي تعتني بالمراجع المطبوعة، والمصادر التي تعتني بالمراجع المخطوطة، كان من آخر ما ذكرت المراجع التي تعنى بالمخطوطات مثل

٥- **تاريخ التراث العربي** لفؤاد سزكين، الذي أشرت إلى أن مؤلفه كان قد بدأه تكملة لكتاب كارلبروكلمان في تاريخ الأدب العربي ولكنه لاحظ أن المادة كثيرة، وتستحق أن تفرد بمؤلف مستقل، فكتب كتابه تاريخ التراث العربي والذي تُرجم إلى اللغة العربية، فتولت جامعة الملك سعود ترجمة جزء منه، وجامعة الإمام ترجمة جزء منه آخر، وطبع في الجامعة، ووزع هذا الكتاب، وهو كتاب نافع ومفيد فيما يتعلق بالتاريخ للعلوم الإسلامية ولمعرفة أماكن المخطوطات في العالم، صنفه صاحبه

على العلوم، يتحدث عن العلم أولاً، ثم يذكر الكتب المؤلفة فيه وأماكن وجودها في مكتبات العالم.

نذكّر هنا بأن الطالب في العلوم الشرعية ولا سيما في الفقه وأصوله والثقافة الإسلامية التي هي تخصصات كلية الشريعة بالرياض يحتاج إلى العديد من المصادر حين إجراء بحوثه التي يطالب فيها أثناء دراسته في الجامعة، وهو مطالب بكتابة بحث في المستوى الرابع وفي المستوى السادس وفي المستوى الثامن، ويبحث في كل بحث منها، أو يكتب كل واحد من هذه البحوث الثلاثة في تخصص من تخصصات الكلية، فيكتب بحثاً في الثقافة الإسلامية، ويكتب بحثا في الفقه، ويكتب بحثا في أصول الفقه، فلذا هو بحاجة إلى إعطاء مدخل أو تعريف للمصادر الإسلامية والعربية التي يحتاجها في بحوثه.

البحث كما هو معلوم يستقى من مادة هي هذه الكتب المتنوعة، بل أوعية المعرفة المتنوعة، سواء ما كان منها مكتوبا أو إلكترونيا أو مسجلا ونحو ذلك.

<u>فالمصادر التي يحتاجها بعضها من العلوم الشرعية</u>

أولا <u>القرآن الكريم</u>، فالباحث في العلوم الشرعية سيحتاج حتماً **إلى القرآن الكريم** لأنه المصدر الأول للأحكام الشرعية، فلذا يحسن أن يكون لديه نسخة الكترونية ينقل منها الآيات كما هي بالرسم العثماني ويلصقها في مواضع البحث التي يحتاجها، هذا في حالة الطباعة (أو الكتابة بالحاسب)، أما في حالة الكتابة باليد فعليه أن يحترز كثيراً عند نقل الآيات حتى لا يقع في خطأ، فيكون دقيقاً في نقله ومتوثقاً من هذا النقل.

ثانيا مما يحتاجه طالب العلم **<u>المعاجم التي خدمت القرآن الكريم</u>**: ومنها التي اختصت ببيان مواضع الآيات، لأن الباحث يحتاج إلى بيان موضع الآية، فيكون مثلاً قد حفظ جزءاً منها ويريد أن يهتدي إلى الآية أين تكون، ويأخذ كلمة من الآية ومن الكلمات التي يقل ورودها عادة ويرجعها إلى أصلها الثلاثي، ثم يبحث عنها بحسب ترتيب هذا الأصل الثلاثي، إن كان يبدأ بالألف بحث في الألف، وإن كان يبدأ بالباء بحث في حرف الباء، وهكذا بحث حسب حروف الهجاء في هذا المعجم، المسمى المعجم المفهرِس لألفاظ القرآن الكريم وهذا وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، وفَهْرَسَ فيه للقرآن الكريم، وهو فهرس جيد لم يسقط منه إلا القليل، وقد نبه عليها المؤلف في بداية المعجم أن تلك آيات سقطت من مواضعها وبيّن المواضع التي سقطت فيها، ولعلها استدركت في طبعات حديثة، وهذا الفهرس من أجود الفهارس، وهو يدل الباحث على موضع الآية القرآنية إذا كان يحفظ جزءاً منها، فلا يستغني عنه طالب العلم، وقد يكون الآن عن طريق البحث الإلكتروني من يُحسن البحث أسرع من الرجوع إلى مثل هذا الكتاب أو غيره من الكتب، لأن الرجوع للنسخ الالكترونية أيسر كثيرا ليسر البحث فيها وليسر العثور عليها وسرعته، وهو يوفر وقتا وجهدا يختلف عن بحثه عن المعلومة في الكتاب الورقي، لكن نقول هذا لأنه في إمكانية الجميع أن يحصل عليه وأن يتعامل معه، لكن النسخة الالكترونية لا يستطيع التعامل معها إلا من يمتلك الأداة ويُحسن التعامل.

وهناك غيره من المعاجم مثل المعجم الذي أخرجه مجمع اللغة العربية لبيان ألفاظ القرآن الكريم ونحوه، المهم أن يكون الإنسان يستفيد من مرجع في هذا الشأن.

هناك نوع آخر من الفهرسة للقرآن الكريم وهي **<u>الفهرسة للموضوعات</u>**، وهناك كتاب وضعه المستشرق الفرنسي جون لابوم اسمه تفصيل آيات القرآن الحكيم وأتبعه مستشرق آخر اسمه دوار منتييه ألحق به مستدركا، وقد ترجمه للعربية محمد فؤاد عبد الباقي، ميزة هذا المعجم أنه يحاول استخراج الموضوعات التي تحدث عنها القرآن الكريم، فهو يفيد الباحثين فيما يتعلق بالموضوعات، ولاسيما الذين يبحثون في التفسير الموضوعي أو في الثقافة الإسلامية، يفيدهم كثيراً في اختيار موضوعات

للبحث من الموضوعات الجارية في القرآن الكريم، فمثلاً يضع أبواب جامعة وتحت كل باب يفصل تفصيلات، ومن الأبواب التي وضعها الإلاهيات، العبادات، الإيمان، الجهاد والهجرة، الرسالة، يوم القيامة، المحرمات، التاريخ، محمد، التبليغ، بني إسرائيل، التوراة، النصارى، ما وراء الطبيعة، الأحكام والحدود، وكذا أشياء كثيرة جداً تصل إلى أربع وعشرين باباً، ووضعها لبيان الموضوعات الموجودة في القرآن الكريم وفصّل تحت كل موضوع عدد من الموضوعات.

ومن الأشياء التي يحتاجها طالب العلم **الكتب المعنية ببيان غريب القرآن** يعني معاني الكلمات الغريبة في القرآن أو تفسير المعاني اللغوية، فهنا مثلاً من الكتب الجيدة التي طبعت أخيراً طباعة ممتازة وملونة كتاب "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني مرتب ترتيبا معجميا على حروف المعجم، الألف وما بعده، وهو كتاب جيد ومفيد ومختصر.

من الأشياء التي يحتاجها طالب العلم **مصادر التفسير،** لابد أن يكون عنده علم بمصادر التفسير وكيف يتعامل معها ويستفيد منها، ومن أجمع المصادر وهو الحقيقة قالوا أنه تفسير بالمأثور، وهو تفسير بالمأثور ولكن لمؤلفه استنباطات واجتهادات لأنه بعد أن يورد الآثار التي قالها السلف في تفسير القرآن الكريم يدلي برأيه في التفسير معلقا على ذلك، ويعنى بالجوانب اللغوية وغيرها، فهو كتاب جامع واسمه "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطبري وهو كما قلت مصدر جيد لما فيه من التفسير، أو جمع بين المعقول والمنقول، وصاحبه يرجح الآراء ويميز ويورد قراءات، فهو كتاب مميز في مجال تفسير القرآن الكريم، هناك تفاسير أخرى "تفسير ابن كثير" وغيرها لكن حسبنا أن نشير إلى بعض الكتب.

هناك جانب آخر لكتب التفسير يحتاجه الطالب في بحثه للعلوم الشرعية منها **كتب التفسير التي اعتنت بآيات الأحكام** وهذه تهم طالب كلية الشريعة على وجه الخصوص، لأنهم يبحثون في الأحكام الفقهية من حيث هي أحكام تبين وتوضح، أو من حيث الأدلة التي تستثمر بها بواسطة هذه الأحكام، فمن الكتب المفيدة في هذا المجال المؤلفة عدة كتب مثل: "أحكام القرآن الكريم للجصاص" و"أحكام القرآن للشافعي" و"أحكام القرآن لابن العربي" وهذا كتاب أحكام القرآن لابن العربي المالكي في أربع مجلدات، وهذا كتاب شهير، قد يؤخذ عليه التعصب في بعض الأمور لمذهب مالك، لكن الإنسان الذي يقرأ يستفيد مما يرد من آراء.

من الكتب الجامعة "الجامع لأحكام القرآن للقرطبي" فهو كما قيل من أجمع ما صنف في تفسير آيات الأحكام، وجمع فيه جانب الحديث عن آيات الأحكام، وأسباب النزول، والقراءات، ووجوه الإعراب، وتخريج الأحاديث، وبيان غريب الألفاظ، إلى غير ذلك ،كما أنه جمع ونقل الكثير من أقوال السلف، فالكتاب يعتبر من الكتب الرائدة والرائعة والجامعة في أحكام القرآن الكريم.

من الكتب التي قد يحتاجها الطالب **كتب في علوم القرآن،** كما أنه كُتب في علوم الحديث كذلك كُتب في علوم القرآن، فهناك العديد من هذه الكتب منها الإتقان للسيوطي والبرهان في علوم القرآن للزركشي، وهناك كتب ألفت حديثا في الدفاع عن القرآن منها "النبأ العظيم" وغيره من الكتب، يستفيد منها الطالب فيما يتعلق بأبحاثه في الثقافة الإسلامية.

الحديث أيضا هو المصدر الثاني من مصادر التشريع، ولا بد من معرفة المصادر التي تهم طالب الشريعة في جانب علوم الحديث، والحديث خدمته العديد من العلوم التي ألفت خدمةً للسنة، سواء في توثيقها أو في شرحها أو في بيان الاصطلاحات الخادمة لهذا العلم، أو في التأريخ للعلم، أو في بيان رجاله من أجل التوثيق، والمجالات كثيرة في مجال كتب علوم الحديث، فهناك كتب الحديث نفسها التي جمعت علوم السنة، كالصحاح والمسانيد والسنن، وهناك الكتب التي هي عبارة عن مختصرات أو جامعة، ككنز العمال، وجامع الأصول ونحوه، وهناك كتب في أحاديث الأحكام خاصة، وهناك معاجم

للحديث "كتحفة الأشراف لمعرفة الأطراف"، وهناك ما صنف في الأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس، وفي الأحاديث الموضوعة، وفي مختلِف الحديث ومشكلِه، وفي ناسخ الحديث ومنسوخه، وفي أسباب وروده، وغريبه، وعلله، والرواة من حيث تراجمهم، والرواة الضعفاء والأقوياء، وتخريج الأحاديث، والدفاع عن السنة، ومصطلح الحديث، وهكذا.

فالمجالات كثيرة جدا في علم الحديث، طبعا بالنسبة لطالب الشريعة يَحسُن أن يكون له مدخل في علم الحديث يستفيد منه فيما يهمه أو تمس الحاجة إليه في تخصصه.

من ذلك الذي هو في حاجة إليه **كتب الحديث وشروحها** ولا سيما الكتب الستة ومسند الإمام أحمد، ففيها الخير الكثير وجمعت الكثير من السنة، والبخاري تميز بأنه ليس كتاب حديث فقط، ليس كتابا جامعا للنصوص فقط، وإنما هو كتاب فقه وحديث، فمن المعروف أن تراجم البخاري هي استنباطات وأحكام توصل إليها من خلال نظره في الحديث، فله طريقة مختلفة في تبويب كتابه، حتى أن بعض العلماء ألف كتبا في فقه البخاري في تراجمه، فهنا إذن صحيح البخاري يأتي في مقدمة كتب السنة، لأنه أولاً تلقته الأمة بالقبول، وهو حديث اشترط صاحبه شرط اللقاء والمعاصرة، فلا يضع فيه من الأحاديث إلا ما توفر فيه الشرطان، وتحقق من صحته، وكذلك الأمر الآخر وهو ما تميز به صاحبه من الفقه والاستنباط في كتابه، فله ميزات أميز من غيره، فلذلك جُعلت له الأولوية.

ثم يليه صحيح مسلم وهو معروف كالبخاري لدى العامة فضلاً عن الخاصة، لكن من المعلوم والمؤكد أن البخاري ومسلم لم يستوعبا كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحاديث، وإنما ما وافق شروط الصحة أو ما اجتهدا في تصحيحه وفق شرطهما، فما كان صحيحا وفق الشروط التي وضعها كل منهما فهو وضعه في كتابه، أما ما خالف هذا الشرط أو ذاك فلا يضعه في كتابة، فلذا جاء بعدهم من كتب كتبا سميت الصحيح، كصحيح ابن خزيمة والمستدرك وغيرها.

ثم بالإضافة إلى البخاري ومسلم كتب أخرى مشتهرة كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرها من السنن العديدة، ليس هنا نحن في مجال حصر، وإنما نشير إشارة إلى بعض الكتب كالموطأ ومسند الإمام أحمد وغيرها، هذه من الكتب المشتهرة في فن الحديث، ولذلك يحسن لطالب العلم أن يكون عنده إلمام أو تعرف على هذه المصادر.

من المصادر الأخرى في مجال الحديث كما قلنا أنه لا بد أن يستفيد أو يهتم بوجه خاص بآيات الأحكام، كذلك طالب العلم **لابد أن يهتم بوجه خاص بأحاديث الأحكام،** لأن طالب الشريعة هذا هو اختصاصه، سواء في المجال الكلي للشريعة كالثقافة، أو المجال الجزئي الفرعي العملي كالفقه، أو في المجال المنهجي الذي يستثمر الأصل الكلي أو الأصل الجزئي أو الثمرة الكلية أو الثمرة الجزئية كعلم أصول الفقه، فأصول الفقه يستفيد منه صاحب الثقافة ويستفيد منه صاحب الفقه على حد سواء، لأنه علم منهجي، لابد لكل منه الرجوع إليه واستثماره والاستفادة منه في علمهما، نعود إلى ما قلت بأن هناك كتب ألفت في أحاديث الأحكام، لا بد لطالب الشريعة أن يكون عارفا بهذه الأحاديث مستفيدا منها، منها ما ربما سبق بمن درس في المعاهد العلمية أن درسه كالعمدة في الأحكام وهو مقرر الحديث في المعهد العلمي يدرس في المعهد العلمي بشروحه، وهناك أيضا بلوغ المرام من أدلة الأحكام وشرح هذا في شرح سبل السلام الذي يدرس في كلية الشريعة أيضا في فقه الأحاديث، كذلك هناك كتاب اسمه المنتقى من أخبار المصطفي لأبي البركات مجد الدين عبد السلام بن تيمية هذا الكتاب شرحه الشوكاني في كتابه نيل الأوطار، فإذن كل كتاب من هذه الكتب شُرح في كتاب آخر كما أشرت.

هناك كتب وضعها العلماء في بيان **مواضع الأحاديث أو الدلالة على مواضع الأحاديث** كالجامع الصغير وذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث هذه من الكتب القديمة، كذلك الجامع الكبير ونحوه، هناك كتاب وضع حديثا وترجمه محمد

فؤاد عبد الباقي نقله إلى العربية اسمه مفتاح "كنوز السنة" وضعه انجليزي اسمه فينسنك، والأشهر منه كتاب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي وضعه مجموعة من المستشرقين وجمعوا فيه أو فهرسوا فيه تسعة كتب، سأتحدث عنه أو أكمل الحديث عنه إن شاء الله في الحلقة القادمة بإذن الله.

الحلقة (١٩)

توقفنا في الحلقة الماضية على الحديث عن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، **فهذا الكتاب فهرس لتسعة من الكتب وهي**: السنن الأربعة، والصحيحين، والموطأ، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، وهذا كتاب ميسر، حيث وضع مختصرات في أسفل كل صفحتين متقابلتين في الكتاب، فإذا نسي الباحث الرموز يجدها مرقومة أسفل الصفحتين المتقابلتين في الكتاب مثل خ: البخاري، أ: أحمد بن حنبل، ط: موطأ مالك، م: مسلم وهكذا لكل واحد من الكتب رمزا معينا، وحينما يكون الحديث في كتاب معين يذكر: خ صلاة ١١، أي كتاب البخاري الصلاة الباب الحادي عشر، وهكذا، بعضها بالكتاب ورقم الحديث كمسلم، وبعضها بالكتاب ورقم الباب، وبعضها بالكتاب ورقم الصفحة، في مسند الإمام أحمد نجده يذكر الجزء والصفحة، وهكذا عمل فهرسا للأحاديث، وهو فهرس جيد وييسر على الباحث الوصول إلى الكتب التي خرجت الحديث، لكن الآن أصبح هناك تطورا كبيرا في هذا المجال، لظهور الفهرسة الالكترونية والموسوعات الحديثية، التي يستطيع بواسطتها الطالب الوصول إلى الحديث بيسر وسهولة وإلى من خرجه من أصحاب الصحاح أو الأسانيد أو السنن أو نحوها، فلم يعد التخريج أمراً صعبا يحتاج التقليب في الصفحات والنظر فيها كما كان من قبل، لكن حينما نذكر مثل هذه الكتب لأن الباحثين ليسوا على حد سواء من حيث توفر الوسيلة والقدرة على استخدام الحاسب، فالكتاب عادة في متناول الجميع وأمره متيسر، وإلا الجانب الالكتروني يغني عنه ويوفر الجهد والوقت.

هناك **كتب مؤلفة في الأحاديث الموضوعة** منها "اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة" للسيوطي و"الموضوعات" لابن الجوزي وغيرها من الكثير.

من الكتب **في غريب الحديث، شرح معاني الحديث** كتاب "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير وهذا الكتاب متأخر وجامع، واستفاد ممن سبقه في هذا الفن، وهناك كتب في إعراب الأحاديث.

بعض الكتب المهمة في هذا مجال الحديث التي صنفت في أسماء الصحابة ومن أميزها وأجمعها كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر، هذا الكتاب عمله حسب حروف الهجاء، وقسمه إلى أربعة أقسام، قسم الصحابة إلى مستويات، مثلاً الذين ثبتت صحبتهم، والذين لم تثبت، وخص للنساء قسما، وللرجال قسما، فهو كتاب مميز في فنه، ولأن ابن حجر كان متأخرا فكان كتابه جامعا.

من الكتب في الرواة "تهذيب التهذيب" ونحوها.

المصادر في تخريج الحديث بالإضافة للكتب التي ذكرت في الدلالة على مواضع الأحاديث **كتب تخريج تتضمن بيان من خرجه من أصحاب الصحاح أو المسانيد أو السنن والحكم على الأحاديث** ومن تلك المصادر كتاب "نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية" و"الدراية في تخريج أحاديث الهداية" و"تلخيص الحديث" لابن حجر وغيرها من الكتب التي اعتنت بتخريج الأحاديث.

بعض المحدثين عملوا تخريجاً لبعض الأحاديث لعض من الكتب، سواء من القدماء مثل "تخريج الأحاديث" عمله زين الدين العراقي على كتاب إحياء علوم الدين للغزالي فخرج أحاديثه.

ومن المعاصرين الذين خرج الأحاديث لبعض الكتب مثل الألباني الذي خرج أحاديث بعض الكتب سواء في الفقه أو في غيره.

بعض الكتب التي ألفت في الرد والدفاع عن السنة مثل الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، والأنوار الكاشفة في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، والسنة ومكانتها في التشريع، هذه مجموعة من الكتب المفيدة.

الكتب الأخرى هي لأصحاب الاختصاص لا نتعرض لها.

بالنسبة للسيرة النبوية طبعا الكتاب المشهور هو كتاب ابن هشام الذي اختصر فيه كتاب ابن إسحاق، وهناك كتب أخرى في السيرة كثيرة، نحن نسير ونذكر بعض المراجع مثل "كتاب زاد المعاد لهدي خير العباد" لابن القيم جمع فيه بين الفقه وبين السيرة، وهو كتاب جامع وقد حقق تحقيقا طيبا وخُرّج.

الفقه وأصوله هناك كتب التي تهم حقيقة طالب العلوم الشرعية وهي الكتب المؤلفة في الفقه وفي أصوله، وهي كثيرة جدا، لكن يحسن بطالب الشرعية **أن يكون لديه علم على الأقل بأمهات المراجع في المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة**، فمثلاً **في الفقه الحنفي** هناك "المبسوط" وهو يعتبر موسوعة واسعة، ويعتبره البعض من أنه أكبر ما صنف في الفقه والفقه المقارن، وأن الذي جاء من بعده كان عالة عليه في كثير من النقل، هذا طبعا في المذهب الحنفي في الفقه الحنفي، وفي **الفقه المالكي** طبعا معروف أساس الفقه المالكي "المدونة الكبرى" للإمام مالك وما كُتب من بعد، سواء حول هذه المدونة شرحا أو غيره، ومن الكتب الجيدة ليس لاتساعها وكونها أساس في المذهب؛ ولكن لأنها تعوِّد أو يمكن أن تعين الطالب على تكوين الملكة الفقهية كتاب: "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" لابن رشد كتاب فقه مقارن، وهو كتاب مختصر، لكن فيه ميزة ممتازة جدا وهو أنه يبدأ بالكليات ثم الجزئيات التي تتفرع منها في ترتيب منطقي دقيق إلى أن يصل إلى المسائل مسألة مسألة، ويورد بعد ذلك الآراء الفقهية والمناقشات والترجيح، قد لا يستوفي الآراء الفقهية وقد لا يذكر بعض أئمة المذاهب، لكن الميزة كما قلت أنه يعوّد الطالب على التفكير المنطقي المرتب، وهو آخذ برقاب بعضه بعضا حتى ينتهي إلى أدق جزئية التي هي المسألة.

هناك بالنسبة **للفقه الشافعي** "الأم" للإمام الشافعي وهناك "المجموع شرح المهذب" للنووي وقد أكمل من بعده.

الفقه الحنبلي معروف، وأظنه لا يجهل كثير من الطلاب المرجع الأساسي فيه الذي هو "المغني" لا بن قدامة، وهناك كتب أخرى ككشاف القناع وغيرها والكافي ونحوها من الكتب التي هي أساس في المذهب.

هذه المراجع الفقهية الكلية لا تغني الباحث عن المراجع الجزئية التي قد يحتاجها في المسألة، لاسيما بعد مجيء العصر الحديث وظهور الكثير من النوازل الفقهية التي تتطلب بيان الحكم الشرعي فيها، فهذا التطور الذي حدث في العصر الحديث جعل العلماء يهتمون **بفقه النوازل** ويكتبون في هذه النوازل المستجدة، ولاسيما في مجال الاقتصاد والطب والأنظمة ونحوها من الموضوعات التي تستحق من طالب العلم الشرعي أن يوليها اهتمامه وأن يستفيد مما كُتب من البحوث المعاصرة في هذا المجال، لأن بحثه قد يكون ليس مما في موضوع قد بحثه الفقهاء القدامى، ولكن قد يكون في نازلة فقهية معاصرة، فيحتاج هنا إلى الرجوع إلى هذه الكتب والأبحاث الفقهية المعاصرة، وهذه مظانها الرسائل العلمية، وأيضا فتاوى المجامع الفقهية، وأيضا البحوث المحكمة التي تنشر في المجلات الفقهية، سواء في داخل المملكة أو في خارجها، فإذا رجع الباحث إلى هذه المراجع في الفقه يستفيد إن شاء الله من الخير الكثير، ويغتني ذهنه وتغتني تجربته بالكثير من العلوم الجديدة والمعارف الجديدة في مجال الفقه مما كان نتيجة هذه النوازل المستجدة.

بالنسبة لأصول الفقه كما يُعلم مَن أسس أصول الفقه أو وضع أصوله الأولى هو الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة"، والرسالة قد طبعت محققة، ويمكن لطالب العلم الوقوف عليها، بجانب ذلك هناك الكثير من الكتب، من أشهرها والذي يرجع الناس إليه ومختصره في كلية الشريعة كتاب ا بن قدامة "روضة الناظر" اختصر المستصفي فـ"المستصفي" للغزالي يعتبر من الكتب التي يدور عليها علم أصول الفقه، كذلك هناك كتب أخرى كـ"قواعد الأحكام في مصالح الأنام" و"المسودة" لابن تيمية، "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لا بن القيم الجوزية وغيرها من الكتب الكثيرة في مجال أصول الفقه، وقد اعتني بهذا العلم أخيرا، وظهرت فيه العديد من الرسائل العلمية، فيستفيد الباحث مما يجده سواء كان يريد جزئية من علم أصول الفقه فسجدها في الغالب في هذه الرسائل التي تُعنى بجوانب من علم أصول الفقه، يأخذ الباحث موضوعا معينا أو قطاعا معينا من العلم ويبحثه بحثا موسع.

كذلك من الكتب المهمة في مجال أصول الفقه **كتب مقاصد التشريع،** مقاصد التشريع أولها الشارع أساسا، حتى عدها الشاطبي أنها هي الأدلة القطعية التي ترد إليها الأدلة الجزئية، ومقاصد التشريع من أشهر من كتب فيها ونظّرها وأصّل لها وتوسع فيها هو الشاطبي في كتابه "الموافقات" ولكن لا يعني أنه هو الذي ابتدع هذا الفن، إنما قد سبق إليه من علماء كثر، فالأصل أن الاعتناء بالمقاصد أساسا هو في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من الذين اعتنوا بها أو كانوا يلاحظونها في الفتوى من الصحابة مثلاً عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، ومن التابعين إبراهيم النخعي وغيره، ثم بدأت تظهر أو تُنظّر ويُكتب عنها، مثلاً كتب عنها الجويني وكتب الغزالي، وأيضا ابن تيمية اعتنى بها اعتناء كبيرا، وإن كانت عنايته مفرقة، وقد كتب رسالة عن المقاصد عنده، ومن التميز الذي اهتم به أنه اهتم بمقاصد التشريع في الجانب الأخروي، وليس فقط مقاصد التشريع في الجانب الدنيوي أو في حياة الناس، فكان الذي اعتنى به السابقون -بحسب علمه- هو العناية بمقاصد التشريع ذات الصلة بحياة الناس ومعاشهم، والتي هي تعتبر من الضرورات الخمس ثم ما بعدها، لكن ابن تيمية توسع في المقاصد الأخروية وجعلها هي الأساس للمقاصد الدنيوية والحاكمة عليها، أيضا تلميذه ابن القيم اهتم بمقاصد التشريع وركز عليها كثيرا، ومن جاء من بعدهم كما قلت جاء الشاطبي وتوسع وأصّل هذا الموضوع على أساس أنه علم وأنه أساس في الاستنباط من الشريعة، وبيّن المنهجية التي توصّل من خلالها إلى مقاصد تشريع وهي **منهجية الاستقراء** ولا سيما الاستقراء المعنوي، فالاستقراء المعنوي كان أساسا في منهجيته أو في إبراز مقاصد التشريع الإسلامي.

في العصر الحديث اعتني بكتاب الشاطبي كثيراً، وكتبت حوله العديد من الأبحاث والرسائل، وبدأ الاهتمام بعلم المقاصد مرة أخرى، وهو جدير حقيقة بالاهتمام، هذا ينبغي أن لا يغفل عنه طالب العلم في الشريعة، وأن يكون مستحضرا لهذا الجانب ومعتنيا به على وجه الخصوص.

<u>طبعا من الأشياء التي تكمل هذا الجانب</u> **الاهتمام بتاريخ التشريع أو تاريخ الفكر الفقهي في الحضارة الإسلامية، فالتشريع الإسلامي** كتب فيه كثيرا ككتاب محمد الخضري وعبد الوهاب خلاَّف وغيرهم ممن كتب في هذا المجال، حيث يمكن أن يستفاد منه في جانب أصول الفقه.

<u>التاريخ</u> قد يحتاجه الإنسان، والكتب كثيرة في مجال التاريخ، سواء كتاب الطبري وكتاب ابن الأثير وكتاب ابن كثير البداية والنهاية، هذه كلها كتب كتبت في علم التاريخ فيمكن للطالب أن يستفيد منها، بما أن من تخصصات الشريعة **الثقافة الإسلامية** نشير إلى بعض المسائل التي لها صلة بحاضر العالم الإسلامي، فهناك كتاب "حاضر العالم الإسلامي" لكاتب

أمريكي وهذا ترجمه عجاج نويهض وطبع الكتاب، لكن يعتبر الكتاب ليس عن الحاضر الآن المعاصر وإنما عن وضع العالم الإسلامي في العصر الحديث، لأن الكتاب وقف عند حد معين، لكن جاءت بعده كتب يمكن أن تفيد عن حاضر العالم الإسلامي، هناك كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" هو كتيب صغير لكن بالرغم من صغره يكشف عن استراتيجية التنصير ورسائله وآلياته في اختراق العالم الإسلامي.

ممن عني بمشكلات العالم الإسلامي مالك بن نبي في كل كتاباته، وكتبها تحت مشكلات حضارة، يحلل فيها واقع العالم الإسلامي ويبين أسباب تخلفه والظواهر المرَضِيَّة فيه، وكيف يمكن الخروج من هذه الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي، هناك من الكتب ذات الصلة بالفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، هذا للدكتور محمد البيهي تحدث عن الاتجاهات الفكرية الإسلامية وآثار الاستشراق في بعضها وكيف كان صدى الاستشراق عليها، وبين أخطر المستشرقين الذين كتبوا حول العالم الإسلامي.

هناك جانب آخر يحتاجه طالب الشريعة وحاجته إليه أكيدة وهي ما سموه العلماء **علوم الوسائل (علوم اللغة)** لأن اللغة يحتاج إليها طالب العلم الشرعي لضبط اللسان، وأيضا فهم الكلمات وفهم الجمل ونحوها، ويحتاج إليها في معرفة المعاني والتأويل ونحوه أي تفسير المعاني، كل هذه الأمور هو بحاجة إليها، فحاجته إلى اللغة العربية وحاجته إلى ضبط الأسلوب حاجته إلى اللغة العربية حاجة أكيدة وضرورية، ولذلك أذكر بعض الأشياء مثل:

المعاجم والمعاجم عديدة جدا، لكن من أوسعها "لسان العرب" لابن منظور، وهناك معاجم أخرى يمكن أن يستفيد منها الطالب ومن المعاجم المشهورة "القاموس المحيط" لفيروز أبادي، هذا من المعاجم المشهور، نكتفي بهذا القدر بالنسبة للمعاجم، وإلا فهي كثيرة جدا، لكن كما قلت نأخذ بالأشياء المهمة.

من الكتب التي تفيد حقيقة في ضبط اللسان وفي الاستفادة لمن أراد أن يمارس ما يسمى **النحو الوظيفي أو ضبط الجانب العملي من النحو** "جامع الدروس العربية" وفي كتاب "النحو الوظيفي" أيضا اعتمد فيه على الجانب التطبيقي، وأَكْثَرَ من الشواهد من القرآن الكريم وغيره، فهنا ينفع في معرفة النحو وأيضا ضبط لسانه من الناحية اللغوية، هناك في **جانب تصريف الأسماء** "البيان في تصريف الأسماء" للدكتور أحمد كحيل رحمه الله وهو من العلماء المشهورين والمجيدين في مجال النحو ومجال اللغة، وهذا الكتاب كما يقول المؤلف عرض فيه تصريف الأسماء وبسط أصوله ووضح ما غمض من مسائله وكشف عما أبهم من مذاهبه وطرائقه، وعرض لآراء الأئمة ودلائلهم وحججهم، واختار الآراء التي تساير اللغة في نموها وتقدمها من غير أن تقف بها جامدة، ويقول أنه طبع الجزء الأول منه عام ٩٠ لا أدري هل طبع باقي الكتاب أم لا، إنما بحسب ما كتب عنه أنه كتاب جيد ويستفاد منه.

هناك **كتب فيما يتعلق بالبلاغة وفي الموسوعات** لا نتوقف عندها كثيرا، لكنها تفيد الكاتب في جانبه الثقافي أو في تثقيفه اللغوي، وفي تجويد أسلوبه، والكتب فيها كثيرة جدا، سواء في النثر أو في الشعر، في النثر من الأمثال أو نحوها.

أيضا هناك **كتب عن الأدباء وتاريخ اللغة** يجدها الإنسان في مظانها، لا نقف عندها كثيراً.

هناك كتب لم تصنف تحت فن معين، لأنها كتب جامعة يمكن أن يستفيد منها الباحث مثل "مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" فهذه المجموعة جمعت العقيدة على الحديث على القرآن على التفسير على الفقه على الأصول على السلوك على الفرق، لأنها فتاوى في أشياء كثيرة جدا فجمعت، فبالتالي لا يمكنه تصنيفها تحت فن معين، وإنما يستفيد منها كل الباحثين كل بحسب مراده، هناك كتاب جامع ومفيد في بيان أسرار التشريع اسمه "حجة الله البالغة" لعبد الرحيم الدهلوي هذا

حاول أن يركز على مقاصد التشريع وحكمة التشريع، أحكام الشريعة بعامة، سواء بجانبها العقدي أو جانبها العبادي أو جانبها العملي أو التعاملي كل هذه الجوانب، حاول أن يتلمس الحكم، وأيضا لكي يبين كلية الشريعة وتكاملها.

الحلقة (٢٠)

في هذا الحلقة أحاول أن أعطي مدخلا مهما في جانب لابد منه لكل باحث، وهو **التفكير العلمي**، والتفكير أنواع، هناك التفكير الشائع العادي الذي يمارسه كل منا في حياته العامة، هناك نمط من التفكير يسير وفق قواعد دقيقة صارمة لكي يصل إلى نتائج محددة وهو ما يسمى بالتفكير العلمي، **وعرف لدى البعض بأنه: النشاط العقلي الهادف الذي يتصرف بشكل منظم في محاولة حل المشكلات ودراسة الموضوعات وتفسير الظواهر المختلفة وفق منهج واضح أو معين دقيق**، فهنا إذن التفكير العلمي هو نمط من التفكير أو نوع من التفكير، له سمات خاصة لا بد أن يتصف بها الباحث حتى يوسم تفكيره بأنه علمي، وبما أن البحث سمي بحثا علميا فإذن لا يمكن أن يوجد باحث علمي دون أن يفكر تفكيرا علميا، فهو من شروط الباحث التي لابد منها، ولأهميته أردت الإشارة إلى بعض النقاط في هذا الموضوع إتماماً للحديث عن مناهج البحث.

ما صفات هذا التفكير العلمي؟

هل له صفات معينة؟ نلاحظ أنه ذكرت له عدة من الصفات منها:

١.الدقة والضبط في العرض والوصف والتحليل.

التفكير يتم عبر مراحل، والبحث يتم عبر مراحل، هناك وصف يعرض من خلاله الباحث الموضوع الذي يتناوله، ثم هناك مناقش قبل المناقشة لا بد أن يحلل هذا الموضوع إلى جزئياته التي تركب منها، ثم يبدأ في مناقشته، فالتحليل شرط أساس أو عنصر أساس في التفكير العلمي ما لم يصل أو ما لم يعرف ويفكك ويحلل هذا المركب كيف يمكن أن ينتقده؟ كيف يمكن أن يعرفه معرفة تامة؟ الشيء كأنما هو مغلف، لا بد أن تفتح هذا المغلف جزءاً جزءاً وتخرج ما في باطنه حتى تعرفه ويظهر واضحا أمامك، وهذا التحليل هو الذي يقوم بهذه المهمة.

٢.البحث عن الأسباب: ما من شيء إلا وله أسباب سببته، فوجد من أجلها، فهنا حينما ينظر الباحث عن الشيء بغض النظر عن أسبابه يكون نظره قاصرا، ومن هذا الباب يتطرق الكثير من المشكلات والأخطاء إلى الأحكام التي يحكمها الناس في حياتهم وفي سلوكياتهم، حينما يقال لهم عن حادثة معينة لا يخضعونها للتحليل ولا للأسباب ولا لمعرفة الأسباب، وهل هذه الأسباب ممكنة أو غير ممكنة، لا يخضعونها لشيء، مباشرة يصدقون الحدث فيأخذونه وينقلونه، وقد يكون مجرد شائعة لو وقف معها أول من استمعها وحللها وحاول التعرف على أسبابها لوجد أنها لا يمكن أن تصح، ولا يمكن أن يكون لها وجود، لكن بما أن طريقة التفكير العامة: القبول لما يلقى دون نظر أو تمحيص؛ فهنا تظهر العديد من المعلومات التي هي أقرب إلى الأسطورة في أحاديث الناس، والمعلومات الكاذبة التي لا أساس لها من الصحة، في حين أن البحوث العلمية يقل فيها الخطأ، لماذا؟ متى تقل؟ إذا كان صاحبها دقيقا في عرضه وفي تحليله وفي تتبع الأسباب ونحو ذلك من الأمور.

٣.أيضا قالوا من صفات التفكير العلمي التراكم المعرفي: هو يستفيد من المعارف السابقة ويراكم عليها ويبني عليها، فلا يبدأ كل مرة من الصفر، وإنما هذا التراكم معتبر، فالتراكم العلمي يؤدي دائما إلى تطور وإلى جديد، لأن التطبيق دائما يثمر علما، والعلم يثمر تطبيقا، وهكذا، المسألة جدلية، أيّ علم يكون له ثمرة بالتطبيق لهذا العلم، إذا طبقنا هذا العلم

ظهرت الجوانب السلبية في التطبيقات، فأورثت لنا علما جديدا وهكذا، وبهذه الروح تطورت الحضارة الغربية الحديثة تطورا كبيرا لأن النقد العلمي عندهم صارم لا هوادة فيه، لابد من تطبيقه ومعرفة الأخطاء وتلافيها مباشرة وإعادة التصويب مرة بعد أخرى، لأنهم لاحظوا أن العلم يثمر تطبيقا والتطبيق يثمر علما، وهكذا ساروا به فطوروا أنفسهم في علومهم ومعارفهم وتطبيقاتهم، فهذه من سمات التفكير العلمي.

٤.**كذلك الشمول في التفكير أو الكلية في التفكير:** لا يكون الإنسان منحصراً في جزئية أو في جوانب من الموضوع الذي يدرسه، لا بد أن ينظر له نظرة كلية تكاملية شاملة، فالكلية مع الجزئية لابد أن تتكامل، ولذا من سمات البحوث أن يكون لها موضوع أو عنوان، ثم هذا العنوان يتفرع إلى جزئيات أقل من الكلية الكبيرة، وتعتبر كليات صغرى، وهكذا يتدرج فيها حتى يصل إلى أصغر جزئية التي هي المسألة، فإذا نظر الناظر في خطته وجد أنها منطقية ومترابطة ومرتبط بعضها ببعض، ليس فيها تناقض وليس فيها تعارض وليس فيها نقص وليس فيها استطرادات وزيادات، لماذا؟ لأن سمة التفكير العلمي الربط بين الكلية والجزئي في شمول تام.

٥.**كذلك ما يمكن أن نسميه السننية أو القانون:** بمعنى أنه يتأسس على سنن وقواعد معينة، فهو ينطلق من قواعد ويصل من خلال تفكيره إلى سنن وقوانين تحكم الظواهر وتحكم الأحداث وتحكم الأشياء، أو قانون كلي بمعنى حكم كلي يستغرق ما تحته، فإذن لا بد من وصول إلى الحكم الكلي أو إلى السنة العامة التي تندرج تحتها الجزئيات، فهو يصدر عنها ويعود إليها، ويستنبط هذه الكلية ليستفيد منها في الموضوعات الأخرى.

٦.**اليقين:** لا بد أن تكون الأشياء التي يؤسس عليها أو أدلته يقينية، لا يؤسس على أشياء ظنية يمكن ألا توصله إلى يقين، لابد من الوصول إلى اليقين العلمي والتدقيق في شواهده وفي أدلته لكي يصل منها إلى اليقين، طبعا هنا قد يكون اليقين نسبيا، وهو ما يسميه العلماء بالأدلة الظنية، لكنها تصدق في الغالب.

في مقابل الصفات التي يتصف بها التفكير العلمي، هناك عوائق قد تعرض للإنسان فلا يفكر تفكير علمي،

<u>من أهم هذه العوائق:</u>

١.**عوائده في التفكير التي تَعوّد عليها:** يعني قد يكون تربى في بيئة لا تعوِّد على التفكير تعوِّد على الحفظ والتلقين، وبالتالي هو يحفظ لكن لا يفهم، وهذا عيب كبير يحول دون الفكر العلمي الناضج، فمن تعوَّدَ على التلقي دون فهم لما يتلقى فلا يستطيع أن يفكر تفكير علمياً، وقد وجهنا الله عز وجل إلى أهمية التفكير والاعتبار والنظر والسير في الأرض والاعتبار بأيام الله والاعتبار بالأمثال وغيرها، لماذا؟ لأنه يريد منا أن نبعث تفكيرنا وأن يكون تفكيرنا حياً وحاضراً، لأن الضلال في الغالب يأتي حينما يغيب الفكر، حينما يغيب التفكير يضل الإنسان، ولذلك الجاهليين ضلوا باتباعهم لآبائهم دون تفكير ودون إخضاع هذه العوائد أو العقائد التي اعتقدوها للتفكير والنظر والتحليل، ولذلك قال الله عز وجل: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ} لأن عقلية الجمع التي تريد مصادرة التفكير، الله عز وجل يوجههم إلى أن يتحرروا منها وأن يفكروا بشكل فردي أو بشكل ثنائي، لأن التفكير بشكل فردي أو بشكل ثنائي يحرر الإنسان من عقلية المجموعة، وبالتالي يعود إلى ذهنه.

أحب أن أضرب مثلاً على تأثير البيئة في الحد من التفكير في حادثة وقعت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، لما كان القرشيون قد قرروا بعد أن فكروا وكشف الله عز وجل مكرهم فكروا وفكروا وأخيرا توصلوا إلى أن يقولوا إنه ساحر، وقالوا إن سحره ليس نفثاً ولا عُقداً، وإنما هو كلام يأتي به فيفرق به بين المرء وزوجه، وإلى آخره، فأشاعوا هذه

الإشاعة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذات يوم دخل إلى مكة الطفيل الدوسي، وهو سيد في قومه، فخشوا أنه إن أسلم انتشر الإسلام، فعملوا دعاية له فحذروه تحذيراً من النبي صلى الله عليه وسلم، وبالرغم من أنه رجل عاقل ويفكر وحكيم إلا أن شدة الدعاية جعلته كما قال:"حشوت أذني كرسفاً " أي قطناً حتى لا يسمع النبي صلى الله عليه وسلم، فوصل إلى هذا الحد مع أنه رجل كان يستخدم عقله، لكن التجهيز الذي جاء حوله والهجمة الإعلامية التي جاءت عليه أفقدته عقله فاستسلم من دون أن يشعر، ووقع ضحية لدعاية هؤلاء القوم، ولكن لما أراد الله به خيراً يقول: فلما كان الليل وذهب الناس من حولي، قام محمد صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة عند البيت، ففكرت؛ أنا رجل عاقل لي عقل وأفكر وأستطيع أن أحل المشكلات وأنظر، سيد في قومي، فأزال من أذنيه هذا القطن وسمع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسمع كلاماً في غاية الإحكام والروعة والعلو والسمو، فما كان منه إلا أن أسلم.

فهنا مصادرة العقول بالإعلام وبالبيئة أو بنحوها من المشاكل التي قد تصادر الذهنية وتطمس التفكير، تجعل الإنسان غير مفكر وبالتالي مشلول الذهن وغيره، فحري بطالب العلم أن يكون مستحضرا لعقله مراقبا لله سبحانه وتعالى في هذه الأمور، لأنه أمانة عنده من الله سبحانه وتعالى: { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا }، ولذلك نبه الله عز وجل العقل كثيراً، ونبه الإنسان لاستخدام الفكر والسير في الأرض والنظر والاعتبار، لأن العقل الحاضر المتجرد من الهوى يوصل إلى الحق ولا يباعد عنه، ولا يحول دونه ودون الحق، وإنما الذي يحول دون الإنسان ودون الحق الأهواء والبيئة ونحوها مما يكون عارضاً ووسيطاً بين الإنسان وبين عقله، فإذن طريقة التعليم والتعلم من الأشياء التي تحول دون التفكير، إما أن تصنع إنساناً مفكراً، وإما أن تصنع إنساناً غير مفكر، وقلت إن طريقة التلقين من الطرق التي لا تصنع التفكير، هي تعين على إيجاد تراكم معرفي ومعرفة نعم، لكنها لا تصنع مفكراً، فلذلك لا بد أن نجمع في تعليمنا بين الإلقاء والتفكير، بين التلقي وبين التدريب على التفكير فيما يلقى على الطلاب، كذلك الطالب الأصل أنه حينما يلقى إليه معرفة أن يفكر فيها ويحللها ويتفهمها، فالتفهم أو الفهم شرط من شروط التعلم.

٢.**أيضاً قد يكون عدم الثقة في النفس يقول** لا أستطيع أن أفكر وهو لديه القدرة لكن لا يستطيع أن يفكر، أو لديه كسل فكري بمعنى كسل عقلي، لا يريد أن يتعب نفسه في التفكير والتحليل والنظر، فهذه من العيوب من عوائق التفكير العلمي.

٣.**التعود أن يكون عادة للإنسان أنه يأخذ ولا يعطي** يأخذ دائما المعلومات لكن لا يهتم بإبلاغها وبأدائها، مع أن العلم أمانة لا بد لمن تلقاه أن يبلغه وأن يفيد الآخرين به، وإلا كان عبئاً عليه ومسؤول عنه يوم القيامة؛ (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع وذكر منها وعلمه ماذا عمل به الحديث) هل طبقه هل بلغه هل هل...إلخ.

٤.**البيئة المحيطة بالإنسان** وقد ذكرت نموذج لها.

٥.**ضعف الإدراك**: وهذا قد يكون عيب في الإنسان نفسه، عيب خلقي بأنه ليس لديه القدرة، مستواه الذهني متدني قد يكون.

٦.**ومن العيوب الاجتماعية التي هي من البيئة مرجعها البيئة ولكن يمكن أن تخص لأهميتها التعصب**: قد يكون التعصب سبب من أسباب قتل التفكير والحيلولة دونه ودونه، فيعرف الإنسان أن هذا حق ولكنه لا يريد أن يفكر في أدلة هذا الأمر، ولا يريد أن يرضخ للحق تعصبا لباطله، فحينما يكون متعصباً بهذا الشكل نجد أنه حتى يحاول أن يعتسف الأدلة والأفكار حتى يصل بها إلى مراده، ويتجاهل ما لا يناسب مع اتجاهه من الأفكار، وهذا من أخطر الناس على الفكر،

ذلك الذي يكون متعصبا لمذهبه، ويكون عنده قوة في الجدال وفي الحجاج وفي المناقشة، هذا من أخطر الناس، لماذا؟ لأنه ينتقي الأدلة التي تلائمه، ويتغاضى عن الأدلة التي لا تلائمه، وهذا يسمونه التفكير الأيدلوجي في العصر الحديث، هذا التفكير الأحادي الاتجاه الذي يريد أن يقر مذهبا معينا أو اتجاها معينا ويتجاهل ويسقط غيره من الاتجاهات، لماذا؟ لأنه لا يلائمه ولا يخدم وجهة نظره أو لا يؤيد مذهبه أو نحو ذلك، وبالتالي نجد أنه انتقائي في أدلته، انتقائي في استدلالاته، في أخذه، في عطائه، يتجه تجاه إسقاط الآخرين وتعزيز ما يذهب إليه، هذا من أسوأ أنواع التفكير التي تتضمن الخداع والغش للأمة، وهو نتيجة البغي والظلم فالله عز وجل قال عن الإنسان: {وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا }، وقال:{ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣) }من سورة البقرة.

٧.**يقابل هذا: التقليد بلا حجة** طالب العلم المفترض فيه أن يعرف الحجج ليس كالعامي، العامي قد يكون يشق عليه أن يقال ما حجتك في كذا وما حجتك في كذا، لكن طالب العلم المفروض حينما يكتب أو يفكر أن يكتب بعقلية علمية وبأدلة واضحة، لا أن يسير وراء غيره هكذا سيرا بدون حجة أو بدون دليل.

هناك مهارات للتفكير العلمي مهارات قد يستخدمها الإنسان أثناء جمعه للمعلومات، ومهارات قد يكون في مرحلة معالجة المعلومات، ومهارات لتوليد أفكار من المعلومات، ومهارات لتقديم ونقد هذه المعلومات، يحتاج في كل مرحلة من مراحل البحث إلى مهارة معينة، ويحتاج أيضا إلى مهارة الاستدلال، هذه المهارات الخمس **مهارات أساسية لابد للباحث منها.**

١.**فعند جمع المعلومات فمن المهم أن يكون متدربا على الملاحظة والمقارنة والتصنيف والترتيب** لأنه يحتاج هنا إلى معلومات يجمعها، فإن لم يكن لديه قدرة على التميز والتصنيف ومعرفة الموضوعات؛ قد يمر عليه أشياء كثيرة لا تستحق أن تجمع، فتتضخم لديه المادة العلمية بشكل كبير وهو لا يحتاج إلى الكثير منها، فالملاحظة أمر مهم، وكذلك المقارنة والتصنيف والترتيب.

٢.المهارة الأخرى عندما يبدأ في معالجة المعلومات، عندما يجمع المعلومات **يحتاج إلى التطبيق والتفسير والتلخيص والتعرف على العلاقات والأنماط**، وكذلك يحتاج إلى ما ذكرناه من **مهارة الاستدلال.**

٣.مهارة الاستدلال أساسية لأنه سيناقش هذه المادة العلمية التي جمعها، سيعمل معالجة لها، من ضمن معالجاتها هي المناقشة والترجيح، ولا يمكن أن يتم مناقشة وترجيح إلا باستدلال.

٤.**مهارة النقد والتعرف على الأخطاء والمغالطات**، فهذه المهارت مهارات متكاملة، يحتاج إلى هذه المهارات بحسب مراحل البحث، فقلنا البحث سيكون:

أولاً: في التخطيط له.

ثانياً: ثم في جمع مادته العلمية.

ثالثاً: ثم في تحليل هذه المادة ومعالجتها.

رابعاً: ثم نقد ما يكون فيها والاستدلال على الآراء، سواء إقامة الحجة أو نقدا لأدلة الآخرين، ففي نقدك لأدلة الآخرين تحتاج إلى التعرف على مهارة النقد، فالنقد والاستدلال متساوقان مع بعض، لابد منهما في نفس المرحلة التي تعالج فيها معالجة المعلومات.

فهذه المراحل الخمس للبحث تحتاج إلى هذه المهارات المتكاملة لكي يستطيع من خلالها الباحث أن يعالج بحثه بطريقة مناسبة وجيدة وطريقة علمية.

بقي جانب معين وهو ما يسمى بالتفكير الناقد: هو نوع من التفسير لهذه المهارات، لأن التفكير الناقد يستخدم الاستدلال ويستخدم التصنيف ويستخدم الترتيب، ويستخدم الكشف عن العلاقات والأنماط ونحو ذلك، بل أيضا يستطيع طرح الفروض على البحث أو الأسئلة على البحث، فالتفكير النقاد أساسي ومهم، طبعا له تعريفات:

التفكير الناقد هو استخدام قواعد الاستدلال المنطقي وتجنب الأخطاء الشائعة في الحكم.

التفكير الناقد الاعتماد على التحليل والفرز والاختيار والاختبار لما لدى الفرد من معلومات لأجل التمييز بين الأفكار السليمة والخاطئة.

طبعا غاية التفكير النقدي أن يصل المعرفة الصحيحة هذه هي الغاية، لأن المعارف تتداخل، وقد يكون نقص جانب سبب في الوصول إلى حكم خاطئ، فمن المهم أن يستوفي الإنسان المراحل ويرتبها منطقيا حتى يصل إلى حكم صحيح، وهذه من الأشياء المهمة، لماذا؟

قال يتضمن التفكير الناقد أو يحتاج إلى أدلة وشواهد لدعم الآراء والنتائج التي تُوصِله إلى حكم معين.

أيضا أساليب البحث المنطقي التي تعينه على فهم العلاقات وفهم الجزئيات وربط الجزئيات بالكليات ونحوها.

وقال استخدام كل الاتجاهات والمهارات الخمسة التي أشرنا إليها.

هذه الأمور لابد من التفكير، لذلك كان التفكير الناقد هو الإطار العام الذي يستخدم كل هذه المهارات، لأن الهدف في النهاية هو تحصيل المعرفة الصحيحة.

هناك خطوات لابد منها للاتسام بالفكر الناقد (خطوات لتحصيل الفكر الناقد)

* لابد من جمع المعلومات والوقائع المتصلة بموضوع الدراسة.
* استعراض الآراء المختلفة حول الموضوع.
* مناقشة الآراء المختلفة لتحديد الصحيح منها وغير الصحيح.
* تمييز نواحي القوة ونواحي الضعف في الآراء، وهذه تأتي أثناء المناقشة.
* تقييم الآراء بطريقة موضوعية بعيداً عن التحيز والذاتية، يبعد هواه ويفكر فيها تفكيراً علمياً مجرداً.
* البرهنة أو الاستدلال على صحة وهو ما يسمى الترجيح.

إذا رأى أنه لم يستوفِ المعلومات ويحتاج إلى مزيد من البراهين فيرجع إلى المزيد من البراهين، حتى يرى أنه قد وصل إلى الحكم بطريقة مجردة بناء على أدلة علمية واضحة وبينة، هكذا إذن نأتي على التفكير الناقد وقد ذكرته بإيجاز.

هناك أمور ذات صلة به، كالأمور أو القدرات التي تتطلبها هذا النوع من التفكير، وقد سبقت الإشارة إلى بعض منها في المهارت المطلوبة، مما يعين عليها:

* التعليم المبني على التفكير.
* القراءة النقدية.
* إجراء تدريبات، وهناك دورات متخصصة كثيرة الآن لتعليم التفكير الناقد، يحسن بطالب العلم إن تيسر له الالتحاق بدورة فيما يتعلق بتعليم التفكير أن يسارع إليها.